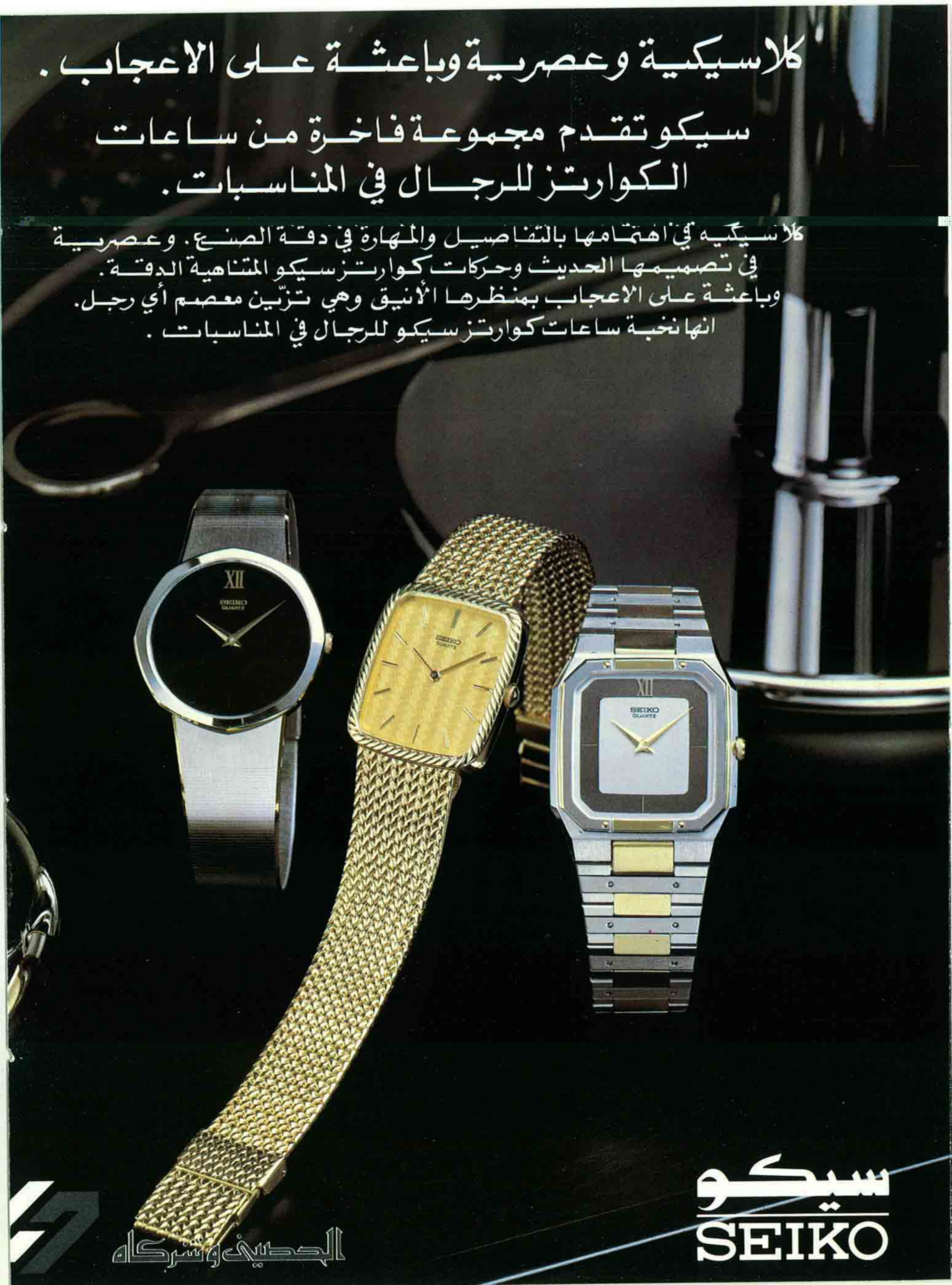


مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 80 - SEVENTH YEAR - NOVEMBER. 1983.

العدد (٨٠) ـ صفر ١٤٠٤ هـ ـ السنة السابعة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣ م


كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة.
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل.
انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
XII
SEIKO
QUARTZ
SEIKO
QUARTZ
XII
SEIKO
QUARTZ
سيكو
SEIKO
الحصيني وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE | مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE | تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 80 - SEVENTH YEAR - NOVEMBER. 1983. | العدد (٨٠) ـ صفر ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٨٣م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات :

All Correspondence To:

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

EUROPE – AMERICA – ASIA

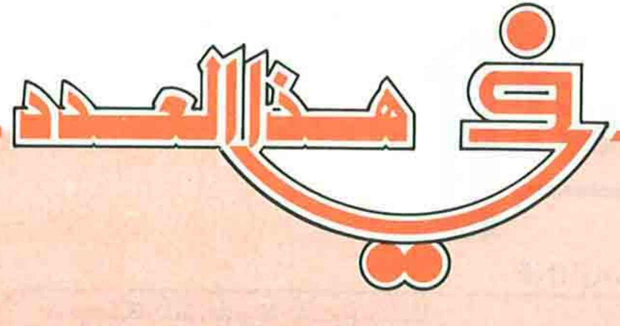
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

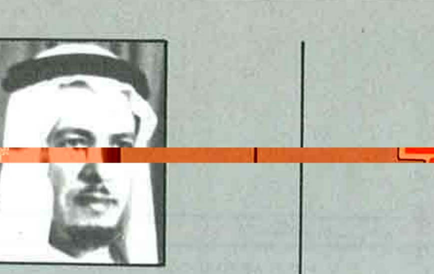
Personal Subscription S.R 150 Others S.R.250

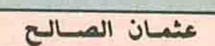
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٨٩٠



من كتاب العدد





عثمان الصالح

★ من مواليد «المجمعة» بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٣٥ هـ.

★ درس في مدينة عنيزة ما يعادل الثانوية العامة، كما درس على عدد من العلماء في مدينته «المجمعة» وفي مدينة الرياض في اللغة والفقه والتوحيد والفرائض.

★ أسس مدرسة أهلية في «المجمعة» استمرت من عام ١٣٥٤ هـ، إلى أوائل عام ١٣٥٦ هـ.

★ عمل مدرساً في أول مدرسة حكومية بالمجمعة، ثم معاوناً لمديرها، ثم عين مديراً لمدرسة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن.

★ عين مديراً لمعهد الأنجال الذي خطا به خطوات تطويرية واسعة أصبح الآن من أبرز المعاهد في المملكة يتلقى فيه الطلبة الدراسة ابتداء من الروضة إلى الثانوية العامة، ويطلق عليه حالياً «معهد العاصمة النموذجي».. ثم طلب إحالته على المعاش عام ١٣٩٠ هـ.

★ عمل رئيساً لتحرير مجلة «البحوث الإسلامية» التي تصدر عن هيئة كبار العلماء، بضع سنوات.

★ عضو في عدد من مجالس الإدارات والمؤسسات الاجتماعية والصحفية والخيرية.

★ شارك في عدد من المؤتمرات، كما حصل على عدد من النياشين والأوسمة.

★ له مشاركات في الكتابة بالصحافة والأدب، وله باب ثابت بعنوان «ملاحظات عابرة» في مجلة «المنهل» الشهرية.

★ يعتبر أحد رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية.



د. عبد الكريم محمد الأسعد

★ من مواليد برقة ـ فلسطين، عام ١٣٥٠ هـ.

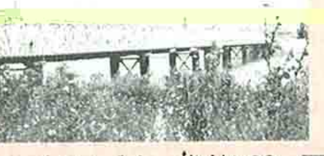
★ دكتوراه في النحو والصرف.

★ عمل مدرساً، في المعاهد

●● «الموصل» أكبر مدن العراق في الشمال، وثاني مدينة، من حيث الأهمية بعد العاصمة العراقية «بغداد».

«الموصل» أهم مركز للتجارة والصناعة والمواصلات في العراق.

«الموصل» مدينة عريقة في القدم.. إذ كانت مستوطناً في العهود الآشورية، كما أنها عريقة في عروبتها.. إذ كانت مستوطناً لبعض القبائل العربية. طالع ص (٢٠).



●● «إن الأدب في قلم المرأة، كما أعتقد، أكثر صدقاً، والتصاقاً بالواقعية من الرجل.. لسبب بسيط: إن (الفسيولوجية) للمرأة، تتحاشى الصدام، والتهويل، والمبالغة، والتعالي؛ وهي – في ما تعطي من فكر – أكثر التصاقاً للتقبل، لأنها تتحرك بواقعية الإنسان الضابط لموازينه وانفعالاته، [illegible]».

سعد البواردي

طالع ص (٥١).



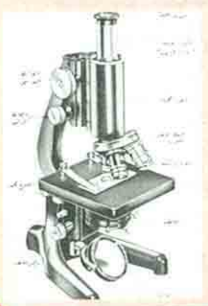
●● مضى الآن خمسة أعوام على بقاء الماركسيين في حكم أفغانستان، مثلما مضى نحو ثلاثة أعوام على اكتساح الجيش السوفييتي الغازي لهذه البلاد المسلمة. وخلال ذلك، عاد رجال القبائل الجبليون المحاربون القدماء يرفعون السلاح، ربما للمرة المليون، خلال ألفي عام متتالية، في وجه قوات احتلال أجنبية. طالع ص (٣٩).

●● من عادة «اليانومامي» أنه إذا مات أحدهم، قاموا بحرق جثته، ثم يجمعون بقايا العظام والرماد فيسحقونها ويمزجونها بحساء نبات «موز الجنة» المغلي.. يقوم بعدها أقارب الفقيد وأصدقاؤه بشرب هذا الحساء!!

يطلقون على هذه الوليمة الجنائزية اسم: «رياهو»!. طالع ص (٢٨).



●● ظل الكثير من تركيبات ودقائق تكوين أجسام الكائنات الحية، سراً مغلقاً عن البحث والفهم، إلى أن اكتشف الجهر «الميكروسكوب»، ومنذ فجر التاريخ، والإنسان يحاول إيجاد طرق لتكبير الأشياء، بغية اكتشافها، والتعرف على دقائقها وجزئياتها الصغيرة. طالع ص (٩٩).



العلمية، وعضواً في الهيئة الفنية بالتعلم المتوسّط بوزارة المعارف، فأستاذاً مساعداً بجامعة الملك سعود – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – بالرياض.

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في تعلم النحو والصرف بجامعة الملك سعود – كلية الآداب – الرياض.

★ له كتابان تحت الطبع «في النحو والمنطق وعلوم الشريعة»، و«تاريخ البلاغة».

★ له عدة أبحاث نشرتها المجلات العربية.

صلاح الدين حافظ

★ من مواليد محافظة المنيا – صعيد مصر، عام ١٩٣٨ م.



★ كلية الآداب – جامعة القاهرة.

★ عمل في عدة صحف مصرية كان آخرها جريدة «الأهرام».

★ أعير للعمل مديراً لتحرير جريدة «الراية» القطرية.

★ له عدة مؤلفات أبرزها:

● صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي.

● حرب البوليزاريو.

● صحفي مع الثوار.

إضافة إلى دراسات ومجموعات قصصية.

★ قام بزيارة للمجاهدين الأفغان في مواقعهم.





علي الحاج بكري

★ من مواليد اللاذقية – سورية، عام ١٩٢٠ م.

★ ماجستير في التاريخ، دبلوم أدب عربي، دبلوم تربية.

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية.

★ عمل في وزارتي التربية والثقافة في سورية.

★ يعمل حالياً مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية.

★ له كتاب «العقلية العربية بين الحربين»، وعدد من البحوث المختلفة.

★ شارك في عدد من المؤتمرات في سورية والمملكة العربية السعودية.



عناقيد

نقل التكنولوجيا

تطرح المجلة من خلال الموضوع المنشور في هذا العدد بعنوان «نقل التكنولوجيا .. والتنمية وجدواهما» قضية في غاية الأهمية .. لها خطرها وخطورتها على بلدان العالم النامي التي بهرتها معطيات تكنولوجيا الغرب بصورة جعلتها من أكبر همومها ، ووضعتها على رأس خططها التنموية بحيث أصبح السباق على أشده في استيراد هذه التكنولوجيا استيراداً عشوائياً قد يضر أكثر مما ينفع ، وقد يقود في المستقبل إلى استعمار غربي للبلدان النامية من نوع جديد أبشع من الاستعمار القديم الذي عرف في الماضي ، والذي ما زالت كثير من البلدان النامية تعاني من نتائجه إلى اليوم .

وإذا كانت التكنولوجيا في الغرب «قد ارتبطت وتفاعلت مع مجمل التحولات الاقتصادية والاجتماعية» كما يذكر كاتب الموضوع ، فإن نقل هذه التكنولوجيا على علاتها إلى البلدان النامية سوف يؤدي إلى خلق مشكلات تقود هذه البلدان ـ أي البلدان النامية ـ إلى الوقوع تحت عجلات هذه التكنولوجيا ، كما «سيؤدي إلى زيادة الاعتماد على الدول الصناعية المتقدمة ، وتعميق التبعية التكنولوجية لهذه الدول ـ الصناعية ـ» .

ولكي تحقق الدول الصناعية الكبرى أهدافها الاستعمارية والاحتكارية «المقنعة» فقد أنشأت ما يسمى بـ «الشركات متعددة الجنسيات» للهيمنة على الأسواق العالمية ، وخاصة أسواق البلدان النامية .. فهذه الشركات كما يقول الكاتب من خلال الحقائق «تشير إلى أن احتكار التكنولوجيا من جانب الشركات المتعددة الجنسيات لا يعني فقط تجميع رؤوس الأموال للشركات الأم في مختلف الدول الرأسمالية المتقدمة ، بل تأخذ شكل امتداد النشاطات المختلفة لكل مجموعة احتكارية خارج الحدود القومية لها لتوجد بذلك شبكة ضخمة واسعة من المصانع والوحدات التابعة لتغطية القارات الخمس» .

وفي دراسة للأمم المتحدة أبرزت فيها دور الشركات المتعددة الجنسيات في ممارسة احتكارها للتكنولوجيا المصدرة فقدرت قيمة صادراتها لعام ١٩٧١م ، حوالي (٣١٢ بليون دولار) ، وبلغ إجمالي أرباح الولايات المتحدة الأمريكية وحدها «الناتج عن تصدير التكنولوجيا أو نقلها إلى الدول النامية عام ١٩٧٢م ، مبلغ ١٢٥٦ مليون دولار» بعد أن كانت في عام ١٩٦٠م ، مبلغ (٦٥٠ مليون دولار) أي بزيادة ١٠٠٪ تقريباً .

وعن طريق الشركات المتعددة الجنسيات تمكنت الدول الصناعية الكبرى من تحقيق مجموعة من الأهداف الاحتكارية العالمية مثل :

١ ـ تركيز المعرفة والخبرات التكنولوجية في يد المجموعات الاحتكارية المتعددة الجنسيات للبلدان الرأسمالية المتقدمة للسيطرة على الأسواق العالمية ، وتحقيق الأرباح ، ومن ثم السيطرة الاحتكارية على التجارة الدولية .

٢ ـ التحكم في عقود واتفاقيات نقل التكنولوجيا إلى البلدان النامية بما يحقق تبعية هذه الدول ، واستغلال ثرواتها .

إذن ، فإن قضية نقل التكنولوجيا المتمثل في «شراء الآلات والمعدات واستعمال القدرات الإنتاجية المنقولة بشكل يؤدي إلى زيادة الاعتماد على الدول الصناعية المتقدمة ، وتعميق التبعية التكنولوجية لهذه الدول» سوف يضع البلدان النامية مرة أخرى تحت عجلات استعمار من نوع جديد أكثر سوء من مظاهر الاستعمار التقليدية المعروفة التي انحسرت مع نضال شعوب هذه الدول لتحقيق استقلالها السياسي .

والكاتب لا يطرح المشكلة فقط ، لكنه يضع الحلول المناسبة لها في نهاية الموضوع ، التي يمكن بواسطتها تحقيق الأهداف الوطنية لبلدان العالم النامي من نقل التكنولوجيا ، وتنمية بلدانها وشعوبها .

والحل قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك بيد دول العالم النامي التي تملك إصدار القرارات وتنفيذها للمحافظة على مكاسب نضال الاستقلال وفاء للدماء التي أريقت في سبيل الحرية والاستقلال ، والتحرر من التبعية بكل أنواعها .

أفغانستان .. والغزاة

خمسة أعوام مرت على غزو واحتلال الاتحاد السوفييتي الماركسي لأفغانستان المسلمة !! .

خمسة أعوام .. ومائة الف جندي بكل وسائل الحرب والقتال الحديثة بما فيها الطيران أمام شعب يمتلك أبسط وسائل الدفاع الخفيفة !! .

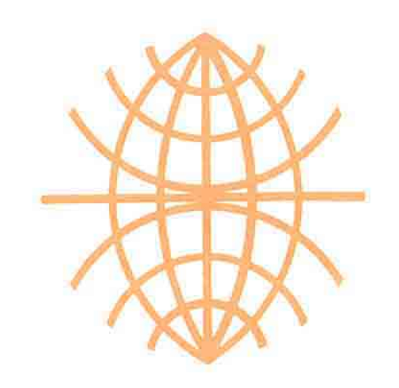
خمسة أعوام يخوض فيها السوفييت ثاني الدولتين العظميين في العالم الحرب ضد شعب ليس له من وسائل الدفاع غير عقيدته الإسلامية ، وإصراره على الجهاد في سبيل الله لا في سبيل قومية أو حزب ، وذلك للفوز بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة لا من أجل المناصب والمراكز وتولي السلطة .

لقد تحول الشعب الأفغاني المسلم إلى مجاهدين ، هدفهم الأول المحافظة على الإسلام في أفغانستان ، وتحقيق الحرية والاستقلال لبلادهم وأهلهم المسلمين لتبق راية الإسلام كما كانت تخفق على كل المنازل ، ويرتفع الأذان من كل المآذن ، وتردد آيات القرآن الكريم في المساجد والجوامع والمدارس والجامعات ، بل في كل شبر يعيش عليه مسلم .

لقد أثبت الغزو فشله العسكري ، وهو الآن يخوض غزواً جديداً هو الغزو الفكري حيث شرع في تدريس الماركسية والإلحاد وإلغاء المواد الدينية من المناهج لتحويل الشعب المسلم عن عقيدته .. وكما فشل في غزوه العسكري فسيلق نفس المصير في غزوه الفكري لأن الله مع عباده المجاهدين الصابرين في أفغانستان .

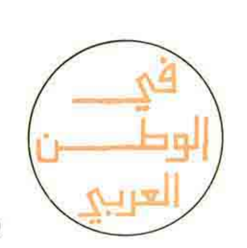
وفي هذا العدد يتناول أحد كتّاب المجلة قضية أفغانستان من الناحية السياسية والدولية ، والصراع بين الدول العظمى وأصحاب المصالح الذين يرون في بقاء أفغانستان مسلمة غير منحازة إلى الشرق أو الغرب خطراً وأي خطر على مخططاتهم وأطماعهم .. فاللهم انصر عبادك المسلمين في أفغانستان ، وفي غير أفغانستان .. والله المستعان أيها المسلمون !! .

رئيس التحرير

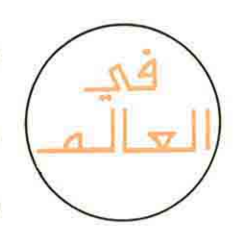


** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- رفع القيمة المادية لجائزة الدولة التقديرية في السعودية .
- وفاة الكاتب المسرحى المصري محمود دياب .
- جوائز الدولة في البحرين .
- مفكِّر مصري يُرشَّح لجائزة «مبرة آل بصير» .
- ندوات ومعارض وأسابيع ثقافية في الوطن العربي .
- متحف جديد في مطار القاهرة .



- افتتاح كلية إسلامية في شيكاغو بأميريكا .
- ندوة عن (الإسلام) بفرنسا ، وأخرى عن الفلك في (إيطاليا) .
- ترجمة مجموعة قصص عربية إلى الإنجليزية .
- وفاة الشيخ شمس الحق ، أحد العلماء المسلمين في الباكستان .
- الإعلان عن منح جائزة نوبل لعام ١٩٨٣م .



السعودية

رفع القيمة المادية لجائزة الدولة

صدرت الموافقة السامية برفع قيمة جائزة الدولة التقديرية في الأدب من : خمسين ألف ريال سعودي ، إلى مائة ألف ريال سعودي سنوياً ، تمنح مدى الحياة لكل من يرشح للفوز بها ، بالإضافة إلى مسكوكة ذهبية قيمتها (٤٠) ألف ريال سعودي وشهادة براءة ، ويأتي هذا التكريم حرصاً من حكومة جلالة الملك على الاهتمام بالأدب والأدباء والدور الذي يضطلعون به في حياة المجتمع .

الجدير بالذكر أن أول من منح هذه الجائزة من **الأدباء السعوديين** الأساتذة (أحمد السباعي ، عبد الله بن خميس ، حمد الجاسر) .

دليل عن الأحجار السعودية

أصدرت وكالة وزارة البترول والثروة المعدنية لشؤون الثروة المعدنية دليل أحجار المملكة العربية السعودية لعام ١٤٠٣ هـ ، متضمناً كافة المعلومات عن الأحجار السعودية المتوفرة في الوقت الحالي ، ويبلغ عددها أربعة وعشرين نوعاً من الجرانيت ، والأحجار ، والرخام السعودي ، كما تشتمل المعلومات على الوصف البتروغرافي متضمناً أيضاً النوع والمعادن الرئيسية ، والتركيب واللون والصفات ، كذلك الثقل والمساحة ، ودرجة المقاومة للانضغاط والثني والتآكل والتجلد والأحماض . هذا وقد قامت الوكالة في هذا الدليل بتوضيح وضم كل نوع من الأحجار المذكورة في « كاتلوج » ضم صوراً وخريطة توضح موقع وجود الحجر ، كما أن هناك دليلاً يبين إمكانات استخدام كل نوع من الأحجار ، **كما أصدرت المديرية العامة للثروة المعدنية بالوزارة كتيباً عن أحجار الزخرفة والزينة بالمملكة** يوجز الاستعمالات التقليدية والحديثة للأحجار الزخرفية العربية ، وكذلك النوعيات والألوان المكتشفة والممكن استغلالها ، وطريقة استخراجها وتصنيعها ، وتمثل محتويات هذا الكتيب نتائج أعمال فرق الاستكشاف التي جهزتها المديرية .

معرض للكتاب السعودي

بمناسبة الاحتفال بتوزيع جائزة الدولة التقديرية ، تقيم الأمانة العامة للجائزة بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية معرضاً متخصصاً بالكتاب السعودي ، حيث يشتمل على كتب الفائزين بالجائزة ، وكتب المرشحين الآخرين الذين بلغ عددهم (٤٥) أديباً ، بالإضافة إلى نموذج من الإصدارات الأخرى للأدباء السعوديين كافة .

أسبوع للمكتبات

أقامت عمادة شؤون المكتبات بجامعة



الأدب الصادق

قال : أتسمح لي أن أغبطك على قدرتك الكتابية . . لقد جربت أن أكتب مثلك فلم أجد في دماغي ما يستحق النشر في صحيفة على قارئ . أنت تدري أني صرفت أعواماً عديدة في مدارس عالية ، وأن والدي بذل من أجلي المبالغ الضخمة لأكون أديباً . إني أجيد تركيب العبارات ، ولا يخفى عليّ سرٌ من أسرار البلاغة ، ولكن ينقصني « **الشيء** » الذي يجب أن أدير الكلام عليه ، فبالله أخبرني كيف تفعل أنت ؟ أخبرني أين تجد الموضوعات ؟

هذا ما قاله لي صديقي « **فلان** » وهو يسير على يميني في شارع عريض دون أن تكون لنا غاية معينة من السير .

ولم يكن مبالغاً فيما نسبه لنفسه من الإلمام الواسع في علم **الصرف والنحو** ، فقد كنت أسأله عن كلمة أو عبارة مستفيداً أو مختبراً ، فكان جوابه دائماً يرضي ويقنع ، ولطالما حمّسته على الكتابة ، فاعتذر بكثرة أعماله . غير أن اعترافه لي ، ونحن نتنزه ، جلا الحقيقة التي كان يخفيها خجلاً . فهو يريد الكتابة ولا يستطيعها .

وحولت وجهي إليه ، وقلت وفي لهجتي أثر المزاح :

ـ ماذا يفيدك يا صاح أن تتبع المنهج الذي أتبع ، إني أديب يكتب عن الشؤون البسيطة كما يقول البعض . ماذا يفيدك مثالي ، وهذا البعض يريد من الكاتب أن يخدع القراء ، فيتظاهر بأنه أعلم الناس بالسياسة . وكيف يكتب « **الأدباء السياسيون** » ؟ إنهم يشترون جريدة فيطالعون فيها برقية عن معركة أو مؤتمر ، فيعلقون على الخبر برأي ، وتتكفل الأيام القريبة بتكذيب ملاحظاتهم ، وهذه المقالات السياسية لا يزيد عمرها ، مهما حافظت على صحتها عن يوم واحد .

أما أنا يا صديقي ، أنا الكاتب الذي لا يطرق الموضوعات العالية فشأني غير ذلك ، أنا أكتب عما أشعر به ، وشعوري لا يكون دائماً « عظيماً » بل كثيراً ما يكون الألم في إصبعي كثيراً ما يكون إعجاباً بنملة ، ولذلك تظل مقالاتي جديدة ، ذلك لأن الحياة تتدفق منها ، والحياة لا تعتق بل تظل جديدة .

وأنا أريد أن أسأل هؤلاء الذين يضعون حداً بين القشر واللباب كيف يميزون الأول عن الثاني ، أيحسبون اللباب المقالات التي تتناول الموضوعات الكبيرة ، والتي تشمل الدنيا برمتها كقضية السلام العام مثلاً ؟

أليس في وسع المرء ـ إذا لم يكن ملهماً ـ أن يكتب في هذا الموضوع كتابة هي التفاهة بعينها ؟

وكيف يفسرون أدب القشور ؟ أيخالونه المقالة التي تبحث في موضوع صغير أم التي تعرض موضوعاً لا يهمهم ؟

إنني أقسم الأدب هكذا :

★ الأدب الصادق

★ والأدب الكاذب

الأول يخرج من صميم القلب ، عظيماً كان الموضوع أو حقيراً .

والثاني هو **أدب المقالة السياسية** وما لفها ، هو الذي يكتبه الأديب مستقرضاً ومستعيراً شعور غيره .

وإذا كان الثوب المستعار لا يدفئ – كما يقول المثل – فكيف يهز النفوس إحساس هو دَين (بفتح الدال) على قلب «صاحبه»؟

وكانت الحماسة قد بلغت بي حداً كبيراً بعيداً فالتفت إليَّ صديقي وقال:

– هدئ أعصابك لما كنت أنوي بسؤالي أن أغيظك، وإنما كنت أرغب في الاستفادة، وأعود إلى سؤالك: أين تجد موضوعاتك؟

وكنا قد وصلنا قبالة دار جديدة لم ينته الداهن بعد من تجميلها، فوقفت محدثي وقلت مشيراً إلى الدار:

– هاك موضوعاً لكتابة مقال طريف.

فسكت صديقي لحظة ثم قال:

– لا أرى ما يصح أن يكون سبباً لمقال:

فقلت:

– اسمح لي بدوري أن أقول لك إنك لم تخلق لتكون أديباً، وإن الكاتب الحقيقي يجب أن يكون دقيق الملاحظة فيرى في «الشيء» ما لا يراه غيره.

إن الكاتب الحقيقي يجب أن يكون واسع التصور، فيتغلغل في ماضي «الشيء» وفي مستقبله، ويزيح عنه طبقات الزمن.

إن الكاتب الحقيقي يجب أن يكون رقيق الإحساس فيدرك علاقة «الشيء» بالنفس الإنسانية، فكل ما في الوجود يتصل بالنفس البشرية.

وعلى هذا تمر أنت بهذه البناية فلا تبصر فيها ما يبصره الكاتب، وليس لديَّ متسع من الوقت لأجعلها موضوعاً لمقالة، فتول أنت ذلك، وهذه رؤوس أقلام عنها:

في هذه الدار مظهر من مظاهر الصراع بين القديم والجديد، فقد قامت ولا شك، على أنقاض دار عتيقة.

وفيها تتجلى فكرة المهندس الذي صرف وقتاً وهو يجانس بين أقسامها، فقد كانت في ذهنه جنيناً، وها هي الآن مولود له حظه من الوجود.

وفيها ارتياح صاحبها لامتلاكها، والمرء يشعر بلذة خفية حين يدرك أن له ما يستطيع أن يتصرف به كما يشاء.

ويظل الكاتب الأديب الحقيقي يشاهد في هذه البناية ما يكفيه لتأليف كتاب فيه عشرات الصفحات كلها نابضة بالحياة.

وكان صديقي يهز رأسه مصادقاً على قولي.. وكنت أنا قد تعبت من المشي، فبسطت له كفي مودعاً، وقلت:

إنك لن تلمس في نزهتنا هذه جديداً، أما أنا فأسمع نفسي تلح عليَّ بأن أسجل تفاصيلها..

إلياس قنصل
الأرجنتين

الملك سعود بالرياض، أسبوعاً تحت اسم **«أسبوع مكتبات الجامعة»** وذلك خلال شهر محرم ١٤٠٤هـ، بهدف الأسبوع إلى:

★ تعريف الطلبة والباحثين بالمكتبات الجامعية والخدمات التي تقدمها لهم.

★ حث الطلبة والباحثين على التردد على المكتبات للبحث والاطلاع وتنمية عادة القراءة لديهم.

★ تعليم الطلبة كيفية استخدام المكتبة، واستخدام فهارسها، والوصول إلى موقع المعلومات وموضوع البحث في البطاقات المتعددة.

★ مناشدة أعضاء هيئة التدريس ربط المقررات الدراسية بالبحث، واستخدام المكتبة ومساعدة الطلبة في اختيار المقتنيات المناسبة لأغراض البحث والدراسة، ومن ثم تقديم الاقتراحات المناسبة إلى المكتبة التابعة للكلية المنتسب إليها، أو إلى قسم التزويد بعمادة شؤون المكتبات.



★ أحمد السباعي ★ ★ حمد الجاسر ★

مسابقة دينية

أعد **نادي أبها الأدبي** مسابقة دينية سيكون موعد التحكيم فيها في منتصف هذا الشهر بحضور لجنة متخصصة. تضم هذه المسابقة «حفظ وترتيل وتجويد القرآن الكريم» وذلك للشباب السعودي المقيم بالمنطقة الجنوبية، وتشمل المسابقة:

★ حفظ وتجويد القرآن الكريم كاملاً.

★ حفظ وتجويد خمسة عشر جزءاً.

★ حفظ وتجويد خمسة أجزاء.

★ حفظ وتجويد ثلاثة أجزاء.

هذا وقد أعدت إدارة النادي جوائز مادية للفائزين بهذه المسابقة.

اعرف بلادك

سلسلة جديدة يكتبها حشد من الأدباء والمؤرخين والمثقفين للتعريف بكافة المدن والقرى في المملكة العربية السعودية. **تصدر السلسلة عن إدارة الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب**، وتقوم الإدارة بطباعة كتيبات خمسة هي باكورة إصدارات السلسلة بالمدن الآتية:

★ «بريدة»، إعداد حسن الهويمل.

★ «الجواء»، إعداد صالح الوشمي.

★ «حائل»، إعداد فهد العريفي.

★ «فرسان»، إعداد إبراهيم مفتاح.

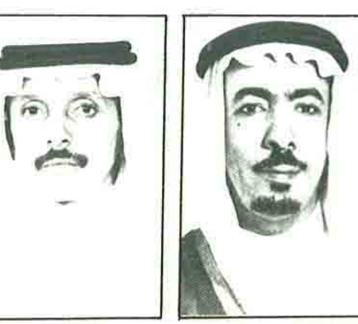
★ «بلاد زهران»، إعداد الدكتور محمد الزهراني.

ويتراوح عدد صفحات كل كتيب من هذه الكتيبات ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ صفحة، وتشتمل مواده على تعريف تاريخي وجغرافي بالمدينة.



معرض للفن السعودي المعاصر

بمناسبة الاحتفال بجائزة الدولة التقديرية خلال شهر محرم ١٤٠٤ هـ، **تقيم إدارة الشؤون الثقافية** التابعة لرئاسة رعاية الشباب **معرضاً للفن السعودي المعاصر** وهو المعرض السادس في مختلف فروع الفنون التشكيلية (رسم، تصوير، حفر، مجسمات، خزف، باتيك، طرق على النحاس، تشكيل معادن، تشكيل خشب، نسيج)، يشترك فيه العديد من الفنانين التشكيليين، وفي نهاية المعرض سوف توزع العديد من الجوائز للفائزين.



★ عبد الله بن خميس ★ ★ إبراهيم مفتاح ★

كتب جديدة

● «**في رأيي المتواضع**»، تأليف **الدكتور غازي القصيبي**، صدر عن تهامة.

● «**من فكرة لفكرة**»، ج ٢، تأليف **الكاتب الصحفي مصطفى أمين**، صدر عن تهامة.

● «**مجموعة النيل**»، **مجلد** يتضمن ستة **دواوين للشاعر طاهر زمخشري**، صدر عن **تهامة**.

● «**الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام**»، **بقلم الدكتور حسن محمد باجودة**، صدر عن **تهامة**.

● «**الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأميريكية**»، تأليف **عبد الله أحمد الداري**، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ فرع جدة**.

● «**بين يدي الشباب**»، تأليف **أبي الأعلى المودودي**، ترجمة **خليل أحمد الحامدي**، صدر عن **مكتبة الراشد بالرياض**.

● «**نغم وألم**»، **ديوان شعر للشاعر الشريف منصور بن سلطان**، صدر عن **نادي جدة الثقافي**.

● «**الكلب والحضارة**»، **مجموعة**

الزاوية الطبية

غرس الأعضاء .. بين الإعاقة والنجاح



★ القلب الصناعي قبل زرعه في الجسم ★

★ سيدة تبصر، بعد استبدال قرنيتها ★

كان تفكير الإنسان يتجه **نحو غرس الأعضاء** منذ أزمان طويلة، لكن التقنية الجراحية والعلم الحديث لم يتوصلا لحل مثالي لغرس الأعضاء في جسم الإنسان إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

ومنذ بداية القرن ومشكلة الغرس تواجه صعوبة رفض الجسم المستقبل للعضو المغروس. وهذه العملية تتضمن موضوعاً حساساً في الطب **هو علم الحساسية** وتكوين الجسيمات المضادة ضد أي جسم غريب، أو عضو غريب يدخل جسد الإنسان.

وقد جرب غرس جلد من أحد الشقيقين لجلد شقيق له أصيب بحروق عامة في جسده، وقد تمت هذه العملية وتكللت في أحيان عديدة بالنجاح، وبنمو الجلد المغروس من أحد الشقيقين على جسد «شقيقه التوأم». ويعزى ذلك لتشابه الأنسجة في جسدي الشقيقين التوأمين وتماثل تصنيفها المتجانس، ويعزى ذلك لأن كلا التوأمين من بويضة واحدة في الأصل انقسمت عند التكوين الجنيني إلى توأمين جنينين منفصلين في رحم الأم.

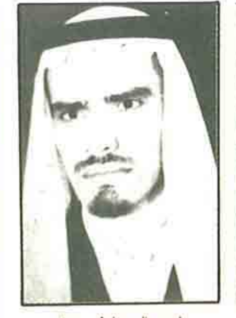
تعدد غراسي الأعضاء

وقد تعددت **التجارب لغراسي كلية وقلب وكبد** في الحيوانات المخبرية، وكانت النتائج مشجعة مما حدا بالجراحين إلى البدء بعملية زرع الكلى، وأدت إلى نتائج مشجعة وإلى إنقاذ أعداد هائلة من المرضى المصابين بفشل عمل كلاهم، وفي المرضى صغار السن، ولم يؤثر ذلك حتى على النساء اللواتي أنجبن أولاداً بعد عملية زرع كلية من جسد آخر.

ولكن الأمر الصعب والمؤدي إلى فشل عمل الكلية المزروعة هو رفض جسم المريض المستقبل للكلية المزروعة وذلك نتيجة تكوين الجسيمات المضادة للكلية المزروعة ومن ثم إلى خرابها وتدميرها. وقد بدأ الطب الحديث يتغلب على هذه المشكلة باستخدام الأدوية والأمصال ضد اللمفاويات التي تساعد في عملية الطرد إلى تصنيف أنسجة الكلية المغروسة بحيث تتوافق في تصنيفها النسيجي أنسجة



★ فهد العريفي ★



★ صالح الوشمي ★

★ د. غازي القصيبي ★



★ طاهر زمخشري ★

قصصية للقاص عاشق الهذال، صدرت عن **نادي جدة الثقافي**.

كما صدرت الكتب التالية عن دار أبو حسن بجدة:

★ «**دعاء آدم عليه السلام**»، إعداد **يعقوب إسحاق**.

★ «**دعاء نوح عليه السلام**»، إعداد **يعقوب إسحاق**.

★ «**الكمبيوتر المصغر**»، تأليف **چودي تاتشل وآخر**، ترجمة **وفاء أشرف**، إشراف **يعقوب إسحاق**، صدر ضمن سلسلة «**كتاب أبو حسن للشباب**».

★ «**ألعاب الفيديو والكمبيوتر**»، تأليف **أيان جراهام**، ترجمة **وفاء أشرف**، تقديم **يعقوب إسحاق**، صدر ضمن سلسلة «**كتاب أبو حسن للشباب**».

● «**تقويم النمو الجسماني والنشوء في الأطفال المصابين بمرض الأنيميا التحللية المزمنة**»، تأليف **الدكتور طلال محمود رضا**، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة «**رسائل جامعية**».

● «**معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان**»، إعداد **محمد بن أحمد العقيلي**، صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**».

● «**البلاط الأدبي للمعز بن باديس ــ دراسة تاريخية أدبية نقدية**»، تأليف **الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة**، صدر عن **عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود**.

● «**أبيات المعاني في شعر المتنبي**»، تأليف **الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة**، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض**.

● «**الجماجم تنخر من الداخل**»، **مجموعة قصصية للقاص خالد أحمد اليوسف**، صدرت عن **الجمعية العربية**

جسم المريض المستقبل للغرس.

هل الجنين عبارة عن غرسة حيّة؟

والجنين يحتوي على شطرين في أنسجته: شطر يماثل أنسجة الأم وشطر يماثل أنسجة الأب [illegible] والحالة هذه اعتبار الجنين [illegible] جسد الأم، وقد تمكنت حكمة الخالق من الاحتفاظ بالجنين في رحم الأم مدة الحمل وهي تسعة أشهر وبعدها تحدث الولادة ومن الممكن اعتبارها رفض الأم لغرسة الجنين في رحمها.

وقد درس العلماء هذه الظاهرة وتمكنوا من العثور على مواد بروتينية معقدة في رحم الأم أثناء الحمل، وهذه تنخفض في حالات الإجهاض المبكر عديم السبب. ولذلك عزي وجودها إلى احتفاظ الأم بالجنين مدة تسعة أشهر وعند الولادة تنخفض كمية هذه المواد البروتينية المعقدة فيحصل الرفض أو الولادة بمعنى أصح.

وهناك دراسات عديدة للموضوع وهناك احتمال من استخدام مثل هذه المواد المعقدة لإزالة عملية رفض الجسم للأعضاء المغروسة.

هل من الممكن غرس الأطراف؟

لقد تمكن جراحون مختصون في **الصين وشنغهاي** (ومن ثم في أماكن متعددة في العالم منها **مستشفيات بريطانيا**)، تمكنوا من إعادة **وصل الأطراف المبتورة كالقدم أو الساعد أو الإصبع** وذلك باستخدام طرق الجراحة الميكروسكوبية باستعمال المجاهر وبذلك تمكّن الجراحون من خياطة الشرايين والأوردة الدقيقة ووصل الأعصاب الدقيقة المبتورة. وقد نجحت حالات عديدة. إذن فمن الناحية التقنية الجراحية من الممكن وصل الأعضاء الطرفية المبتورة تماماً ومن ثم إعادة الفائدة منها وعليها.

وقد أجريت عدة تجارب على غراسة الأطراف في الحيوانات وكانت تؤدي سريعاً إلى رفض الجسم للطرف الغريب وبسرعة.

وتختلف الأطراف عن الكلى أو القلب أو الكبد بأنها تحتوي على عدة أنسجة منها الأوعية الدموية والأعصاب والعظام والروابط والأغلفة والعضلات والجلد وهذه كلها تؤدي إلى سرعة عملية الرفض. ومن الممكن أن العضلات الهيكلية الموجودة في الأطراف تحتوي على بروتينات خاصة تختلف باختلاف الأنسجة والأشخاص مما يؤدي للرفض.

كما أن الجلد يحتوي على مواد بروتينية ودهنية وهلامية وكلها تختلف باختلاف الأنسجة والأجسام وتؤدي لسرعة عملية الرفض.

إلا أن الأبحاث الجارية [illegible] والطرق المختلفة لإبطال أو إبطاء عملية رفض الجسم المستقبل للعضو أو الطرف المغروس قد يؤدي إلى تحقيق الحلم الطبي وهو غراسة الأطراف المبتورة باستخدام أطراف الموتى المحفوظة لذوي الأطراف المبتورة الأحياء.

بقي أن نقول: **ما رأي القانون والدين؟**

يا علماءنا ويا قضاتنا، افتونا قبل أن يتحول الحلم إلى حقيقة. إنها أحلام قد تتحول إلى حقائق، ومعجزات الطب في تقدم، فما حكم الدين في هذا الأمر؟

الدكتور: عصام غنيم



★ لن يتكرر هذا إذا تم زرع الأطراف المبتورة ★



السعودية للثقافة والفنون بالرياض.

مصر

وفاة محمود دياب

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب المسرحي «محمود دياب» عن ٥٠ عاماً وذلك خلال شهر محرم الماضي ١٤٠٤ هـ، ويعد دياب من أعلام المسرح المصري الحديث منذ أن كتب مسرحية «الزوبعة» عام ١٩٦٦ م، وقبلها كتب «البيت القديم»، و«ليالي الحصاد»، و«رسول من قرية تميرا»، و«رجل طيب»، و«باب مفتوح»، كما كتب مجموعة قصص منها:

★ «خطاب من قبلي».

★ وروايتين «الظلال في الجانب الآخر»، و«رأس محموم»، وقد تحولتا إلى فيلمين سينمائيين، كما كتب أيضاً السيناريو والحوار لفيلمي «الإخوة الأعداء»، و«سونيا والمجنون».

الترشيح لجائزة سعودية

رشحت جامعة المنصورة الدكتور رمضان عبد التواب عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس لجائزة «مبرة آل بصير السعودية»، وقد سبق أن رشحته لنفس الجائزة «جامعة عين شمس»، وكذلك «المجمع اللغوي»، وذلك عن أبحاثه في مجال اللغويات والنحو العربي.

متحف للآثار

. اقامت هيئة الآثار المصرية متحفاً للآثار بمطار القاهرة الدولي، يضم (٤٠) قطعة أثرية تمثل **الحضارة المصرية** في مختلف عصورها منذ عصر ما قبل الاسرات حتى العصر الإسلامي، وقد تم اختيار القطع الأثرية **من المتحف اليوناني بالإسكندرية، والمتحف القبطي، ومتحف الفن الإسلامي، والمتحف المصري.**

كتب جديدة

● «**الأحزاب السياسية وجماعات الضغط**»، تأليف **الدكتورة سعاد الشرقاوي**، صدر في **القاهرة**.

● «**ملامح القاهرة في ١٠٠٠ سنة**»، **مجموعة مقالات للكاتب جمال الغيطاني**، صدرت في **كتاب بالقاهرة**.

● «**تأملات في أزمة العقل العربي**»، **للدكتور محمد إبراهيم الفيومي**، صدر عن **مكتبة الأنجلو المصرية**.

تونس

أسبوعان ثقافيان

اقيم في (تونس) اسبوع سنغالي اشتمل على معارض للسجاد الحائطي والكتب واللوحات الزيتية وذلك في الفترة من ١٧ إلى ٢٤ من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ م، كما أقيم خلال الفترة من ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) إلى ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) أسبوع ثقافي عراقي اشتمل على عروض للفرقة القومية للرقص الشعبي العراقي، ومحاضرات.

التاريخ القديم والآثار

عقدت في مدينة (الكاف) التونسية الدورة السابعة **لملتقى (يوغرطة) للتاريخ**



بوب أثرلي .... والندم

أصدرت غرفة العمليات الأميركية في يوم ٦ أغسطس (آب) من عام ١٩٤٥ م، أخطر أوامرها إلى **الطيار الأميركي بوب أثرلي** الذي كان قد أقلع بطائرته دون أن يعرف وجهته على وجه التحديد، لكنه كان يدرك أنه مكلف بمهمة كبيرة وخطيرة، فهو يحمل في طائرته الفتى الصغير «Little boy» وكانت قوتها الانفجارية تعادل ١٢,٥ كيلوطن من الكيماويات المتفجرة، وعلى إثر تلقي بوب أثرلي الأمر الخطير اتجه بطائرته إلى **هيروشيما**، وكان أهلها يتأهبون لاستقبال يوم جديد دون أن يدركوا أن بوب أثرلي سوف يصل إليهم حاملاً معه الموت والدمار الرهيب.

ثم صدرت الأوامر بعد ذلك بإلقاء القنبلة، وانفجرت القنبلة فوق سماء المدينة على ارتفاع ٥٨٠ متراً، وانطلقت حرارة تساوي ١٠٠ مليون درجة مئوية وسحاب يشبه عش الغراب، بدأ يرتفع إلى السماء ولم يبق شيء من هيروشيما.

وفي أميركا استقبل أثرلي استقبال الأبطال ومنح عدد من الأوسمة والنياشين، لكنه عندما علم بما حدث في هيروشيما أصيب بصمت مطبق لعدة أيام، ورفض أن يتحدث إلى أحد، واعتبر نفسه المسؤول عما حدث بالرغم من أن المسؤول الأول والأخير في هذه الحالة هو **رئيس الولايات المتحدة الأميركية في ذلك الوقت هاري ترومان**.

وإذا أخذنا موقف بوب أثرلي من ناحية، وهاري ترومان من ناحية أخرى نجدهما على النقيض، فعندما سئل الرئيس هاري ترومان من قبل الصحفيين ما الحادث الذي تندم عليه كثيراً؟ فأجاب بدون تردد: أنا آسف لأنني لم أتزوج مبكراً، فهذا الموقف يدل على الهدوء النفسي وراحة البال، بينما موقف الطيار أثرلي كان الشعور بالذنب والندم. وقد حاول مقاومة هذا الشعور، فنجح في البداية واستأنف عمله لكن أموات هيروشيما أخذوا يظهرون له في أحلامه، فترك الجيش وعاد إلى زوجته التي تزوجها سنة ١٩٤٣ م، وحاول لمدة سنوات طويلة أن يعيش كما يعيش الآخرون في منزله وسط أسرته لكنه لم يستطع.

ثم عمل بعد ذلك في شركة بترول في هيوستن بولاية تكساس وأصبح رجلاً رزيناً عند رؤسائه وبالرغم من هذا المظهر الخارجي الذي يتخذه أمام الناس في النهار فإنه في الليل كان لا يرى إلا الرعب من جحيم هيروشيما. وحاول أن ينسى فاتجه إلى المسكرات والمخدرات والأدوية المخدرة لعله ينسى. ولكن شيئاً لم يتغير، فقد ظلت هيروشيما وما فعله بها وبسكانها كابوسه الدائم.

ثم هداه تفكيره إلى اقتطاع جزء من مرتبه الشهري وإرساله إلى هيروشيما باسم الضحايا، وأخذ يكتب خطابات عديدة إلى سلطات المدينة يطلب منهم أن يسامحوه، وعندما أعلن الرئيس هاري ترومان في عام ١٩٥٠م، أن الولايات المتحدة سوف تقوم بإنتاج القنبلة الهيدروجينية، ذهب أثرلي إلى الفندق الذي كان ينزل فيه وحاول الانتحار، إلا أنهم استطاعوا انقاذه، وتم نقله إلى **مستشفى للأمراض النفسية** واستمر تحت العلاج، وعندما صرحوا له بالخروج لم يحدث أي تحسن في حالته.

وترك شركة البترول وتحول إلى عامل في أشغال شاقة حتى يستطيع أن ينام من الإجهاد وبالتالي تبعد عنه أصوات هيروشيما لكنه لم يستطع.

وفي بداية عام ١٩٥٣م، حكمت عليه المحكمة بـ ٩ شهور سجن في نيوأورليانز بتهمة التزوير في شيك بمبلغ ضئيل أرسله إلى ملجأ أطفال أيتام إلا أنه أفرج عنه بعد قليل لأنه في نظر المجتمع الأمريكي بطلاً فذاً، ولكنه أرسل مرة ثانية إلى مستشفى الأمراض النفسية بعد أن سطا على محل تجاري.

وعندما صرحوا له بالخروج عمل مستخدماً متجولا، وقد حاول الانتحار مرة أخرى فقطع شرايين يديه لكنهم أنقذوه وأدخلوه المستشفى للمرة الثالثة، وبعد ستة أشهر خرج من المستشفى ليجد أن زوجته تطالبه بالطلاق فتم ذلك.

وعاش أثرلي لمدة خمسة أعوام في هيروشيما في الفترة من عام ١٩٥٤م، إلى عام ١٩٥٩م، لكنه دخل للمرة الرابعة المستشفى وهناك أخذ يتبادل الرسائل مع **الفيلسوف النمساوي جوفتر أندرز**، وكانت الرسائل تدل على أن أثرلي ليس مجنوناً وإنما كان يناشد العالم أن يترك هذا السلاح، وينادي البشرية بوقف إنتاج السلاح الذري، وأخيراً تماثل للشفاء وأخذ يكتب في الصحف المختلفة موضحاً خطورة ذلك السلاح، ثم ذهب إلى هيروشيما، وهناك استقبله اليابانيون كأخ عزيز.

وفي عام ١٩٦٢م، اشترك في **نيويورك** في مظاهرة شعبية ضخمة ضد السلاح الذري، واستمر في نضاله حتى النهاية. وفي يوليو (تموز) عام ١٩٧٨م، عندما توفي في هيوستن بداء السرطان عن **٥٩** عاماً، كانت وصيته الأخيرة ألا تدفن جثته بعد موته، بل تحرق مثل كل الذين ماتوا محروقين في هيروشيما قبل ٣٣ عاماً.

مجدي عبد العظيم عثمان
الإسكندرية ـ مصر

القديم والآثار، شارك فيها العديد من المؤرخين والباحثين وذلك خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٣ من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م، ونوقشت فيها العديد من الأمور التي تتعلق بالتاريخ القديم والآثار.

البحرين

جوائز الدولة التقديرية

صدر في (المنامة) قرار بشأن جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية، ونص القرار على أن يكون **عدد الجوائز التقديرية في مجال الإنتاج الفكري (٣ جوائز)** تمنح للمبدعين سنوياً ممن هم إنتاج فكري في صورة مؤلفات، أو أعمال، أو دراسات نشرت أو نفذت ولها قيمة متميزة، وقيمة كل جائزة (٥٠٠٠) دينار وميدالية تذكارية. **أما جوائز الدولة التشجيعية** فتحدد بقرار من رئيس الوزراء كل سنة وتشمل: (الأدب، العلوم، الفنون، الخدمات الاجتماعية، التراث الوطني).

وقيمة كل جائزة (ألفا دينار) وميدالية تذكارية.

وتمنح هذه الجوائز (التقديرية والتشجيعية) لأبناء دولة البحرين فقط.

جغرافية الشرق الأوسط في معرض

أقيم في (المنامة) معرض لمجموعة من الكتب والرسومات والخرائط الجغرافية تتعلق **بالشرق الأوسط** وتوضح مدى **انتشار الإسلام في أوروبا** منذ حوالي ٤٠٠ عام، وقد عرضت فيه مجموعة من كتب ورسومات وخرائط



★ محمود دياب ★ ★ مصطفى أمين ★

طبعت باللغات العربية والفرنسية واللاتينية، كما عرضت فيه أيضاً صور فوتوغرافية ورسومات مطبوعة على الحجر عن الشرق الأوسط صورها ورسمها مشاهير الفنانين والرحالة الأوروبيين قبل ١٤٠ سنة، أخذت من البيئة العربية أثناء جولاتهم وزياراتهم لها، من أشهرهم «ديفي روبرتس» بريطاني الجنسية وذلك في الفترة من ١٨١٦ ـ ١٨٦٤م، والمصور التركي «باسكال شيبا» وذلك في الفترة من ١٨٦٠ ـ ١٨٨٠م. هذا وقد عرضت أيضاً في هذا المعرض صور تمثل الدول التي كانت تقع تحت السيطرة العثمانية، وتوضح الخرائط المعروضة دول الخليج بأسماء متعددة.

ومما يذكر أن «عبد الوهاب الكوهجي» وهو صاحب معرض فني بالبحرين كان له الدور الرائد في هذا المعرض بما عرض من نفائس فيه.

الأردن

معرض للصور الفوتوغرافية

أقامت **«جمعية الصلت الخيرية»** الأردنية **معرضاً للصور الفوتوغرافية واللوحات الفنية** وذلك خلال شهر سبتمبر (أيلول) استمر ثلاثة أيام، حيث اشتمل على صور تمثل نشاط الجمعية عبر سنواتها العشر الماضية. وقد أقيم بهذه المناسبة معرض للوحات الفنية للهواة والفنانين من **مدينة الصلت**.

معرض صيني

اقيم في (عمّان) معرض صيني عرضت فيه اللوحات التقليدية الصينية، حيث اشتمل على (٥٩) لوحة للرسامين الصينيين، وقد جاء هذا العرض بناءً على اتفاقية موقعة بين البلدين عام ١٩٨١م. هذا وقد نظم المعرض



تحت إشراف «**دائرة الثقافة والفنون الأردنية**» بالتعاون مع سفارة الصين في عمّان .

معرض فني

أقيم في (عمّان) معرض المنحوتات البرونزية للفنانة الأردنية «ليلى حداد»، وضم المعرض الذي استمر أسبوعاً من شهر سبتمبر (أيلول) (١٧) قطعة و (١٠) لوحات فنية تمثل جوانب مختلفة من التراث والبيئة الأردنية .

المغرب :

ندوة عن المدن الإسلامية

عقدت في (فاس) ندوة خاصة حول **السكن في المدن الإسلامية** وذلك خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ م ، حيث نوقشت فيها أمور عدة تتمثل في :

★ طراز البناء الإسلامي .

★ جمالية الفن المعماري الإسلامي .

★ إمكانية استعادة الجوانب الحضارية هذا البناء في تحديث المدن الإسلامية .

استمرت هذه الندوة أسبوعاً ، وشارك فيها ما يقارب من (٣٠٠) مهنس وخبير يمثلون كبريات المدن الإسلامية .

اليمن :

ندوة عن الحداثة والتراث في العمران

عقدت في صنعاء ندوة دولية تحت عنوان «الحداثة والتراث ، وتأثير التطور على التخطيط العمراني في اليمن» . **اشترك في الندوة أكثر من أربعين متخصصاً في الآثار والتاريخ والهندسة والفن المعماري . أقيمت الندوة تحت إشراف هيئة جائزة «الآغاخان» للعمارة** التي تمنح جوائز قيمتها نصف مليون دولار لمشروعات معمارية منفذة في الدول الإسلامية .

قطر :

التراث القطري

عنوان أحدث نشرة علمية أصدرتها **إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام القطرية** ، تعنى النشرة بشؤون التراث القطري والقضايا المتعلقة به . هذا وقد جاء إصدار هذه النشرة في إطار الاستعدادات الجارية لإجراء مسح شامل للتراث القطري .

عمان :

كتب جديدة

● «**عمان وتاريخها البحري**» ، صدر عن **وزارة التراث القومي والثقافة** .

الكويت :

معرض للكتاب

يقام في (الكويت) معرض الكتاب العربي التاسع خلال الفترة من ٢ إلى ١٢ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ م ، تشارك فيه معظم دور النشر العربية حيث تعرض فيه العديد من الكتب القديمة والجديدة .



أمريكا :

كلية إسلامية

تعالى الهتاف بالتكبير لميلاد **أول كلية إسلامية خارج الوطن الإسلامي ، إذ افتتحت هذه الكلية في مدينة «شيكاغو»** بالولايات المتحدة الأمريكية في حفل أقيم يوم ٢٣ سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٨٣ م . ستدرس في هذه الكلية المواد الإسلامية إضافة إلى المواد الأخرى التي يدرسها الطلاب في أية كلية جامعية أخرى .

أحدث الكتب

● «**عبقرية الحضارة العربية**» ، صدر عن **شركة موبيل للبترول بواشنطن ط ٢** .

● «**لأطفال الحروب**» ، بقلم **روجر روزنبيلات** ، صدر في **واشنطن** .

فرنسا :

ندوة عن الإسلام في أوروبا

عقدت في كلية فرنسا بباريس خلال الفترة من ٣٠ سبتمبر (أيلول) والأول من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ م ، **ندوة** كان موضوعها «**الإسلام في أوروبا في العصر الحديث**» ، وهي ندوة علمية قام بإعدادها رابطة تقدم الدراسات الإسلامية من مقرها في باريس . هذا وقد نوقشت فيها عدة أمور منها :

★ مناقشة تقارير حول الإسلام في أوروبا في العصر العثماني .

★ الموقف الحالي للطوائف المسلمة في



★ وليام جولدن ★



★ دومينيك فرناندیز ★

(البلقان) ، و (يوغسلافيا) ، و (المجر) ، و (بولندا) ، و (فنلندا) .

★ مناقشة أوضاع المسلمين والإسلام في **فرنسا وألمانيا وبريطانيا ، كذلك هجرة المغاربة** إلى فرنسا .

رينو وفرنانديز وجائزة

فاز الروائي الفرنسي «جورج شاتو رينو» (٣٥ عاماً) بجائزة « رينودو » ، وذلك عن روايته (**خاصية الأحلام**) التي تصف عالماً من العزلة والهزيمة لأربعة أشخاص لجأوا إلى بناء مهجور حيث تسير التداعيات باتجاه أحلام الطفولة المخيفة بأسلوب كلاسيكي رقيق .

كما **فاز أيضاً بنفس الجائزة «دومينيك فرنانديز»** ، وذلك عن **كتابه «يد الملاك»** وهو عبارة عن رواية مأساوية تلخص تاريخ إيطاليا خلال خمسين سنة عبر ترجمة ذاتية وهمية للسينمائي **الشاعر الإيطالي «باولو بازوليني»** .

معرض للكتاب

أقيم في مدينة (نيس) الفرنسية المهرجان الدولي الرابع عشر للكتاب ، حيث شاركت فيه العديد من دور النشر العالمية ، وعرضت فيه كتب قديمة وحديثة ، ووزعت في نهايته جوائز أدبية ، منها **الجائزة الدولية « دل دوكا »** ، وتبلغ قيمتها ٢٠٠ ألف فرنك ، **وجائزة « جونكور »** ، للرواية ، و « الجائزة الكبرى للشعر » ، و « جائزة للسيناريو » .

بريطانيا

جائزة نوبل : ميلوسلاف !! . .

منحت الأكاديمية السويدية جائزة نوبل

رسائل جامعية

●● « التحكم اللامركزي النشط للأحمال والذبذبات مع التحسن المستمر للمسارات » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران ، تقدم بها السيد علي عبد القادر شريد .

●● « تحليل فوري للوقت القصير في تبويب الأحاديث » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران ، تقدم بها السيد ناهيد إقبال .

●● « العمليات الحسابية المعدلة ذات التوقيت المختلف لتمثيل الذبذبات المتوسطة لنظم القوى الكهربائية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران ، تقدم بها السيد سيد معضال إسلام .

●● « استخلاص أملاح الماغنيسيوم من مياه البحر ـ دراسة تجريبية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الهندسة التابعة لجامعة البترول والمعادن بالظهران ، تقدم بها السيد ميرزا حسين .

●● « العقد الثمين في شرح أصول الدين ـ للشيخ حسين بن غنام » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد إبراهيم يوسف الماس .

●● « حكم الإسلام في الحركات الباطنية في العالم الإسلامي وعقائدها » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها الشيخ محمد أحمد الخطيب .

●● « المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، تقدم بها السيد محمد صالح جابر .

●● « الولاية في النكاح » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد رجاء فريح العوفي .

●● « الاتجاه الإسلامي في آثار علي أحمد باكثير القصصية والمسرحية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تقدم بها السيد عبد الرحمن صالح العشماوي .

●● « تعيين التركيب البلوري والجزئي لمادة ٢ ـ ٧ الثنائي هيدروكسيد النفتالين ـ بطريقة نظرية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بقسم الفيزياء بكلية تربية البنات بجدة ، تقدمت بها السيدة رقية حسن العريفي .

●● « دراسة على فصل جزئي من الدول أحادية التكافؤ والقريبة من التحديث » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية للبنات بالرياض ، تقدمت بها السيدة فاطمة محمد ناصر العبودي .

●● « زكاة الخارج من الأرض » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد سليمان عبد الله العمير .

●● « الترادف اللغوي » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية تربية البنات بالرياض ، تقدمت بها السيدة سلوى سردار بكداش .



للأدب لعام ١٩٨٣م ، للكاتب البريطاني «**ويليام جولدن**» (٧١ عاماً) الذي ذاع صيته منذ ظهور أول رواية له عام ١٩٥٤م ، «**سيد الذباب**» التي وزع منها ٤,٥ ملايين نسخة ، وقد تحولت إلى فيلم سينمائي عام ١٩٦٣م ، أخرجه البريطاني بيتر بروك .

هذا وقد منحت الجائزة لهذا الكاتب من أجل رواياته التي تعكس بوضوح الفن الروائي الواقعي الممتزج بتعقيد الأسطورة ، مجسداً الوضع الإنساني في عالم اليوم .

ولعل من أهم رواياته :

★ «**الورثة**» ، كتبها عام ١٩٥٥م .

★ «**بنشر مارتن**» ، كتبها عام ١٩٥٦م .

★ «**الفراشة النحاسية**» ، وهي مسرحية ، كتبها عام ١٩٥٨م .

★ «**الخريف الحر**» ، كتبها عام ١٩٥٩م .

★ «**الأهرام**» ، كتبها عام ١٩٦٧م .

★ «**شعائر الممر**» ، كتبها عام ١٩٨٠م ، وحصل منها على جائزة «بوكرماكونيل» ، وقد بيع منها (١٤٠) ألف نسخة في بريطانيا وحدها .

وجولدن يعمل حالياً في رواية «**رجال من ورق**» .

مما يذكر ، أن الكاتب البريطاني من مواليد عام ١٩١١م ، حيث ولد في «**كورنويل**» جنوب غربي إنجلترا ، وهو حاصل على درجة الماجستير من **كلية براسينوز بأكسفورد** عام ١٩٦١م .

قصص عربية بالإنجليزية

صدرت مؤخراً في لندن مجموعة قصص عربية باللغة الإنجليزية عن دار «**كورايت للنشر**» ، وتضم خمساً وعشرين قصة عربية لكُتَّاب من مختلف البلدان العربية .



★ جورج شاتورينو ★



★ غسان كنفاني ★

★ من (مصر) **يوسف إدريس ، إدوار خراط ، محمود الورداني ، إبراهيم أصلان ، محمد البساطي** ، بهاء طاهر ، **عبد الحكيم قاسم** .

★ ومن (العراق) **محمد خضير ، وعبد الله عبد الرزاق** .

★ ومن (فلسطين) **غسان كنفاني** .

★ ومن (ليبيا) **إبراهيم الكوني** .

★ ومن (المغرب) **محمد برادة ، ومحمود شكري** .

★ ومن (سورية) **زكريا تامر** .

★ ومن (السودان) **الطيب صالح** .

★ ومن (اليمن) **محمد أحمد عبد المولى** .

هذا وقد قام باختيار القصص وترجمها **المستشرق الإنجليزي «دينيس جولسون ديفيز»** .

الباكستان

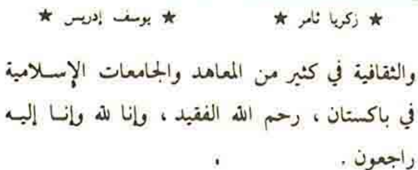
وفاة شمس الحق

انتقل إلى رحمة الله تعالى المحدث الشيخ (شمس الحق الأفغاني الباكستاني) ، عن عمر يناهز (٨٥ عاماً) ، فقد ولد رحمه الله في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك عام ١٣١٨هـ .

كان رحمه الله من أبناء **الجامعة الإسلامية «دار العلوم»** ديوبند ، وكان **أستاذاً لمادة التفسير** فيها قبل تقسيم الهند ، ولقد كان عالماً ضليعاً في علوم الكتاب والسنَّة ، فقد قضى عمراً حافلاً بخدمات إسلامية عن طريق التدريس والتأليف والخطابات والمحاضرات والرحلات للدعوة الإسلامية ، وقد شغل عدداً من المناصب العلمية



★ زكريا تامر ★



★ يوسف إدريس ★

والثقافية في كثير من المعاهد والجامعات الإسلامية في باكستان ، رحم الله الفقيد ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الهند

الثقافة

اسم مجلة إسلامية عربية شهرية ، صدرت عن **دار الثقافة للطباعة والنشر بديوبند ، الهند** ، وتهدف إلى نشر التعاليم الإسلامية ، ومعالجة قضايا المسلمين في العالم ، والتعريف بأحوال المسلمين في الهند وبقضاياهم ونشاطاتهم ، **يرأس تحريرها محمد إسلام القاسمي** .

ألمانيا

أحدث الكتب

● «**تاريخ حياة في صور**» ، تأليف **مارتين جريجور دبلين** ، صدر الكتاب في **بون** .

أستراليا

أحدث الكتب

● «**الإسلام ... دين ودولة**» ، تأليف **أحمد درويش** ، صدر في **أستراليا** .

إيطاليا

ندوة للفلكيين

شارك عشرات الفلكيين وعلماء الاجتماع


★ الطيب صالح ★

والكتّاب وعلماء الفيزياء من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية يومي الثامن والتاسع من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م، في ندوة دولية عن «**علوم الفلك**».

عقدت الندوة في مدينة (**نابولي**) الإيطالية تحت عنوان «**نحو عام ٢٠٠٠ ــ الأعوام العشرة القادمة في حياتنا**»، ونوقشت فيها أمور عديدة مثل:

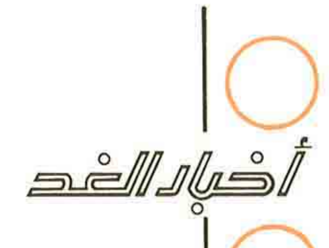
★ الخوف والأمل.

★ المستقبل القديم والمستقبل الجديد في القرن القادم.

بالإضافة إلى عدد من الموضوعات ذات الاهتمام بالحياة اليومية شارك فيها عدد من ألمع الفلكيين في العالم.

معرض فني بريطاني

أقيم في (روما) معرض للوحات المائية البريطانية حيث عرضت فيه (٤٢) لوحة مائية زيتية يعود تاريخها للقرن الثامن عشر، رسمها مشاهير الرسامين في ذلك العصر من أمثال «**بلاك تيرنر، روسكين**، وغيرهما»، ــ وقد نظم هذا المعرض لأول مرة بالتعاون بين بلدية العاصمة، **ومتحف فيكتوريا في لندن**، استمر المعرض شهرين من هذا العام ١٩٨٣م.



فهرسة الصحف المحلية

سيقوم «مركز الملك فيصل العالمي للأبحاث» التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض قريباً بأول خطوة منظمة **لفهرسة الصحف والمجلات المحلية**، وتحقيقاً لهذا الغرض، فقد دعا مدير المركز رؤساء تحرير الصحف والمجلات إلى اجتماع لمناقشة هذا المشروع الذي يسعى إلى اقتصار الجهد والوقت، وإعداد برنامج لفهرسة الصحف حسب ما تحتويه من معلومات ليسهل بالتالي الرجوع إليها.

مهرجان شعري

نادي الطائف الأدبي سوف يقيم **مهرجاناً شعرياً** يُدعى له كل الشعراء المجددين في الطائف، لذلك فإن لجنة الشعر بالنادي تقوم بالتنسيق مع مجلس الإدارة يأخذ موافقة الشعراء لتحديد الموعد والمقر الذي سيقام فيه هذا المهرجان.

المكتبات في الشرق الأوسط

سيعقد في البحرين وذلك خلال شهر ديسمبر (كانون الأول) المقبل **مؤتمر أكاديمي** يتناول «**موضوع أنظمة إنشاء المكتبات في الشرق الأوسط**»، سيشارك فيه خبراء من مختلف دول العالم والجدير بالذكر أن المؤتمر سيركز على دور المكتبات في جميع حقول الإعلام الأساسية.

ندوة عن تاريخ العلوم عند العرب

ستعقد في الكويت وذلك في العاشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) المقبل «**الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب**»، وذلك تحت إشراف وتنظيم **قسم التراث العربي التابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت** بالتعاون مع «**معهد التراث العلمي العربي بحلب**»، هذا وقد دعي إليها العديد من المختصين الذين سيسهمون ببحوث تبيّن جهود العلماء العرب في:

★ **علوم النبات**.

★ **والري**.

★ **والفلاحة**.

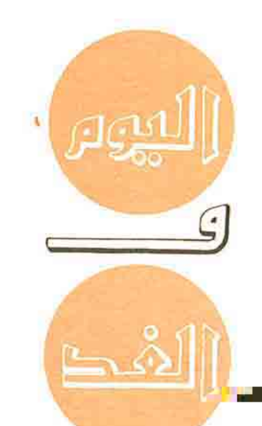
وسوف تناقش بالإضافة إلى ذلك عدة أمور هامة منها:

★ تحليل ما ورد في كتب التراث العلمي العربي وفي مؤلفات الجغرافيين القدامى وغيرهم من العلماء عن الزراعة من حيث ضوابطها، وأنماطها، وأساليبها، وأنواع الحاصلات الزراعية.

★ مناهج البحث التي اتبعها العلماء العرب في تناولهم لعلوم النبات والري والفلاحة.

★ دراسة أثر العلماء العرب وإضافتهم في تطور علوم النبات والري والفلاحة.

ومما يذكر أن الندوة ستستمر خمسة أيام.



بناء يهزم الزلازل

تشير الإحصائيات إلى أن **منطقة طوكيو** تتعرض إلى زلزال قوي مرة كل ٦٠ عاماً، وآخر هذه الزلازل كان في عام ١٩٢٣ م، وصلت شدته إلى ٧,٩ حسب مقياس **ريختر** وأدى إلى وفاة **١٤٠ ألف شخص** حول **طوكيو** والمناطق المجاورة لها إلى خراب. لذا فقد أجرى طاقم مؤلف من ٣٠ مهندساً أمريكياً ويابانياً في مركز أبحاث الزلازل في منطقة **توكوما** اليابانية اختبارات متعددة على مبنى مؤلف من سبعة طوابق للتأكد من تحمله لمثل هذا الزلزال المدمر. وعلى مدى ستة أشهر اختبر المبنى بتعريضه لمختلف الاهتزازات المماثلة للهزات الأرضية ذات الشدة المختلفة. ومع أن بعض الشروخ ظهرت هنا وهناك، إلا أن المبنى بقي متماسكاً.

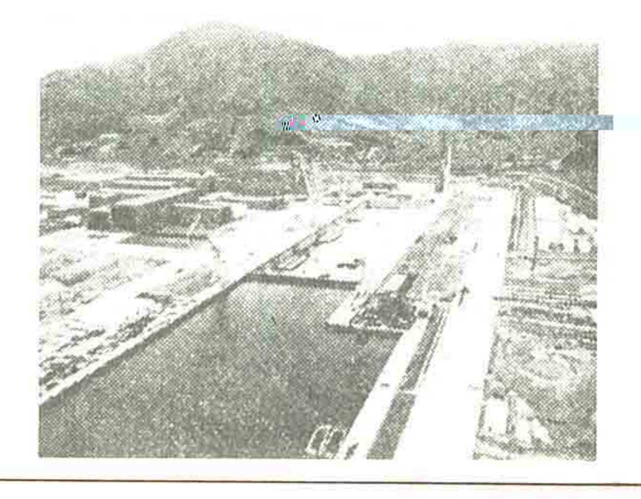
والمشروع ممول من قبل الحكومتين اليابانية والأمريكية بكلفة قدرها ٤٠٠ مليون ين لدراسة شروط إنشاء الأبنية لتحمل زلزال شبيه بزلزال طوكيو الشهير.

ومن المتوقع أن يتم ترميم البناء وتعريضه مرة أخرى إلى حملة جديدة من الاختبارات. ويعتقد العلماء أن لا خوف على المبنى من الوقوع بتأثير الزلازل.

كوريا وبناء السفن

قبل ٨ سنوات كان إنتاج **كوريا الجنوبية** في بناء السفن لا يتجاوز ٢٥٠ ألف طن، إلا أنه ازداد حتى وصل في العام الماضي إلى ٢,٨٠٠,٠٠٠ طن. في عام ١٩٧٣ م، كانت أكبر رافعة موجودة باستطاعة ٥٠ طناً، كذلك لم يكن تصميم السفن وتجميعها متطوراً. أما الآن فقد ركزت **كوريا** جل اهتمامها بحيث تصبح ثاني أكبر دولة في العالم في صناعة السفن، بعد اليابان.

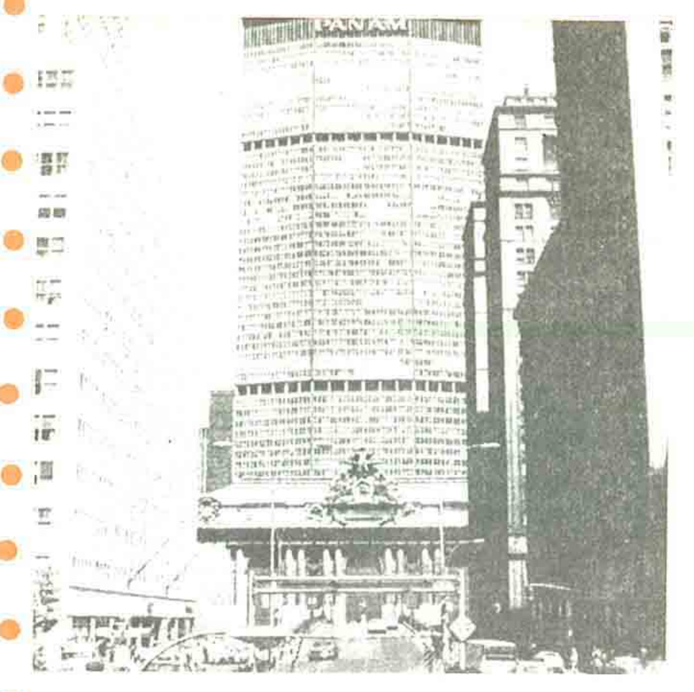
وقد اهتمت **كوريا** بهذا القطاع بعد انحساره في الغرب، بينما كانت أهمية النقل البحري في العالم في ازدياد مستمر. وأحد الأمثلة حوض **دايود** الجاف (الصورة) الواقع على جزيرة **كوجيه دو** بالقرب من شاطئ كوريا الجنوبي. يبلغ طول هذا الحوض ٥٣٠ متراً وعرضه ١٣١ متراً، وهو أكبر حوض من نوعه في العالم. تنتقل فوق هذا الحوض — الذي يبلغ عمقه ١٤,٥ م — رافعة جبارة باستطاعة ٩٠٠ طن لا مثيل لها إلا في **الولايات المتحدة الأمريكية** في حوض **فلوريدا** لبناء السفن. وتستطيع هذه الرافعة أن ترفع حمولتها الاسمية إلى ارتفاع ٩٠ متراً فوق أرض الحوض الجافة.



«شرف كبير» يمكن الاستغناء عنه

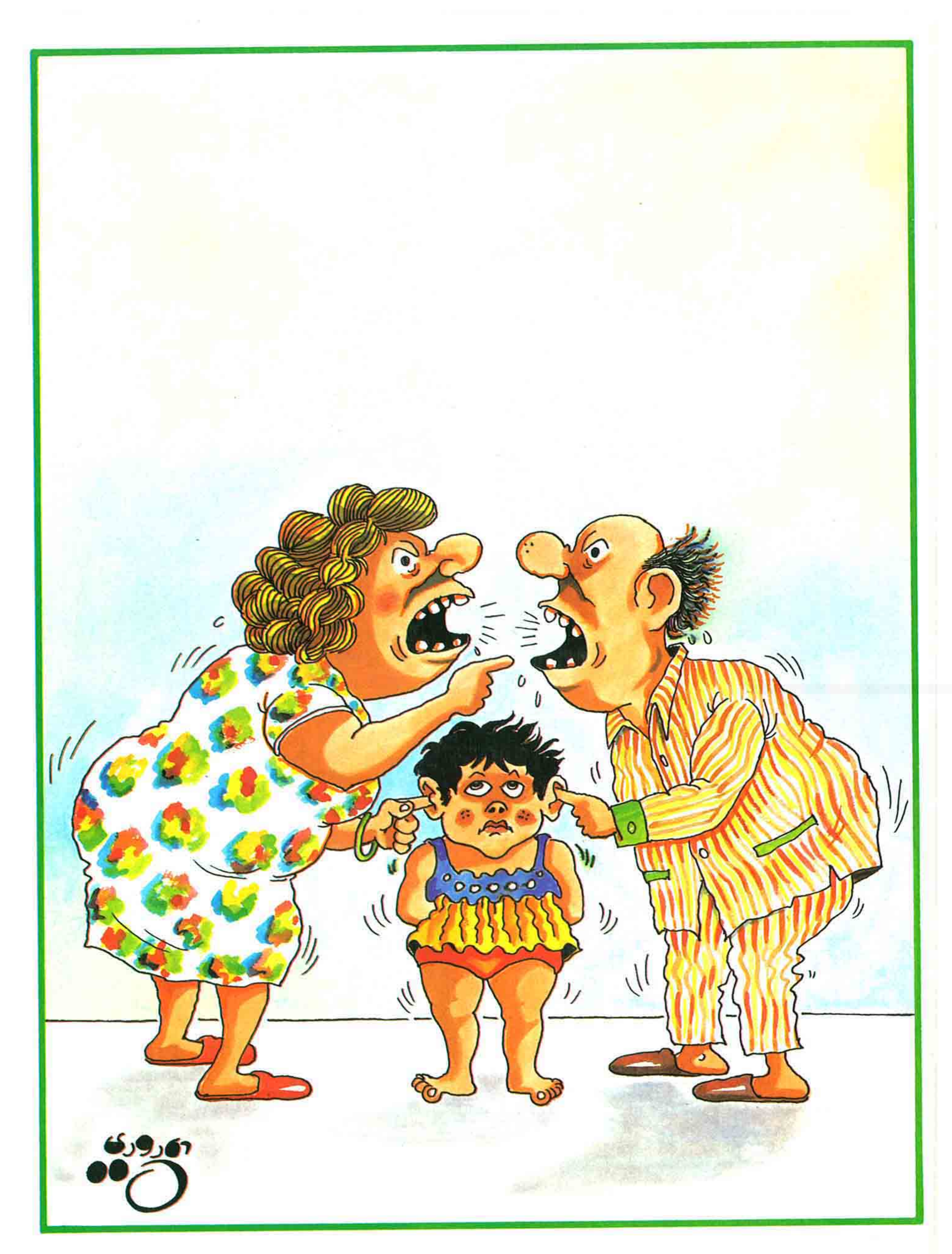
في عام ١٩٨١ م، أجرت شركة **الأعمال الدولية الأمريكية** دراسة مقارنة لتكاليف المعيشة بين ٨٣ مدينة كبرى في العالم فاحتلت مدينة **طوكيو** المرتبة الأولى برقم قدره ١٦٠,٤، وذلك استناداً إلى رقم مرجعي هو (١٠٠) في مدينة **نيويورك**. وقد أجريت الدراسة بالاعتماد على أسعار ١٥٠ مادة غذائية وضرورية للحياة اليومية. وقد تلى طوكيو مدينة **لاجوس** ١٥٢,١، ثم **بوينس آيرس** ١٤٦,٥، **لندن** ١٣٣,٦، **أوسلو** ١٢٨,٩، **أبيدجان** ١٢٨، **ستكهولم** ١٢٧,٨، **هلسنكي** ١٢٣,٦، **فيينا** ١٢٠,٢، **زيوريخ** ١٢٠,١. وفي آخر القائمة أتت **ليما** ٧٧,١.

والملاحظ أن الفرق بين أعلى مدينة وأخفض مدينة يتناقص مع الزمن. فالفرق بين **طوكيو وليما** هو الضعف تقريباً، ولكن قبل سنتين، عندما احتلت **طوكيو** أيضاً المرتبة الأولى فإن الفرق كان أربعة أضعاف.



والملاحظ أيضاً أن ترتيب المدن يختلف بشدة بين سنة وأخرى وذلك حسب تقلبات سعر العملة ومعدلات التضخم.

(الصورة: مدينة **نيويورك** اتخذت كمرجع برقم دليلي قدره ١٠٠).



★ جامع النبي يونس ★



الموصل
مدينة وتاريخ



★ جسر الموصل القديم ★



★ خريطة الموصل ★



★ جانب من سور الموصل القديم ★



★ دور المملكة (قره سراي) ★

أم الربيعين

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي

الموصل أكبر مدن العراق في الشمال، وثاني مدينة من حيث الأهمية بعد العاصمة العراقية (بغداد)، وأهم مركز للتجارة والصناعة والمواصلات في العراق، وفيها ثاني جامعة في البلاد، تضم مختلف الدراسات العلمية والإنسانية، هي (جامعة الموصل).

والموصل عريقة في القدم، إذ كانت مستوطناً في العهود الآشورية، كما أنها عريقة في عروبتها، إذ كانت مستوطناً لعدد من القبائل العربية التي نزحت من جزيرة العرب قبل الإسلام، ولعبت دوراً مهماً ومؤثراً في الفتوحات العربية الإسلامية.

موقع الموصل

تقع الموصل على نهر دجلة في منطقة سهلة خصبة، تعد من الناحية التضاريسية والجيولوجية جزءً من منطقة جغرافية واحدة متشابهة، تمتد من وادي الفرات غرباً حتى دجلة شرقاً، ثم تتصل هذه المنطقة جنوباً بدون فواصل طبيعية تقريباً بالسهل الرسوبي المنبسط الذي يجري فيه نهرا دجلة والفرات

حتى مصبهما في **شط العرب**، فتشكل المنطقة بذلك هلالا كبيراً يصل بين منطقتين حيويتين هما **الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط**.

أسماء وألقاب الموصل

●● **مسپلا**: لعل الموضع الذي ذكره «زينفون» في رحلة «العشرة آلاف» باسم «مسپلا» Muspile قريب من كلمة (موصل) كما يُستدل من لفظه. ويرجع تعليل هذا الاسم، إلى اشتقاقه من الكلمة الآشورية «**مشبالو**» التي تعني الأرض السفلى أو الواطئة.

●● **حصن عربايا**: أي الحصن العبودي، أو الحصن الغربي، وقد سماها بذلك النصارى القدماء الذين كانوا يقطنونها قبل الفتح الإسلامي. ولعلهم سموها بالحصن الغربي، تمييزاً لها عن الحصن الشرقي ـ **نينوى** ـ لأن العرب كانوا يطلقون اسم الحصنين على نينوى والموصل.

●● **نوـأردشير**: ولما استولى **الفُرس المجوس** على الموصل، اتخذوها مركزاً عسكرياً لقواتهم، التي كانت في نزاع مستمر مع **الرومان**، فسموها (**نوـأردشير**) أو (**بوـأردشير**).

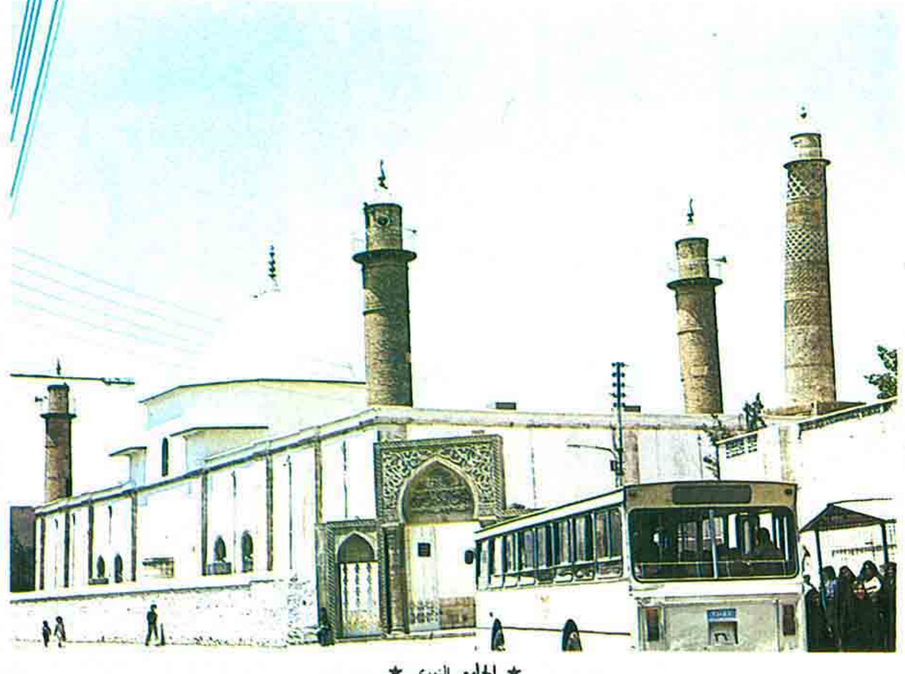
●● **الموصل**: ولما حرر العرب المسلمون الموصل بعد الفتح الإسلامي، سموها بهذا الاسم. وذهب بعض المؤرخين إلى أنها سميت بالموصل تيمناً باسم الملك الذي أمر بتشييدها. وقال آخرون إنها دعيت بالموصل لأنها (وصلت بين الجزيرة والعراق).

ويروي بعضهم أن (**مروان بن محمد الأموي**) أحب صفاء هوائها، وجمال موقعها، فبنى على شاطئ النهر قصراً منيفاً، ومد عليه جسراً خشبياً، فدعيت بالموصل، لأن الجسر المذكور ـ وصل ـ ضفة النهر اليمنى بضفته اليسرى، حيث تقع نينوى. والموصل، هو الاسم الشائع لهذه المدينة حتى اليوم.

●● **أم الربيعين**: وقد لقبت بهذا اللقب، لأن البقاع المحيطة بها تخضوضر بالأعشاب والزروع مرتين في السنة، في فصلي الخريف والربيع، وقد عرف هذان الفصلان بالربيعين من باب التغليب.

ويقام في الموصل (**مهرجان الربيع**) سنوياً، وقد أصبح سمة من السمات الحضارية التي اختصت بها الموصل دون غيرها، حيث يقدم المشاركون في المهرجان فعالياتهم الفنية والشعبية (الفولكلورية).

●● **الخضراء**: لقبت بهذا اللقب، لأنها تلبس وقت مجيء المطر حُلّة سندسية من «الخضرة»، يزينها ورد وزهر مختلفاً ألوانه.



★ الجامع النوري ★

●● **الفيحاء**: أما وجه تسميتها بالفيحاء، فلسعتها وقت تشييدها. قال (**أبو الحسن السري الرفاء**) الشاعر الموصولي يتشوق إليها:

سقى ربى الموصل الفيحاء من بلدِ
جَودٌ من المُزن يحكي جُود أهليها
أأندب العيش فيها أم أنوح على
أيامها أم أعزّي في لياليها؟
أرضٌ يحنُّ إليها من يفارقها
ويحمد العيش فيها من يدانيها

●● **الحدباء**: وقد اختلف المؤرخون في تعليل هذا اللقب، **فياقوت الحموي**، عزاه إلى احتداب في دجلتها، واعوجاج في جريانها. وعزاه (**ابن بطوطة**) إلى قلعتها المعروفة بالحدباء. وأيد ذلك (**الصائغ**) صاحب تاريخ الموصل.

ولعل هذا اللقب، جاء نسبة إلى (**المنارة الحدباء**) التي يبلغ ارتفاعها ٥٢ متراً وتعد أطول منارة في العراق، ويطبعها انحناؤها بطابع خاص.

ما قبل الإسلام

يتصل تأريخ الموصل بالقرون الأولى، فقد نشأت قصبة صغيرة فوق (**تل قليعات**) الذي يشرف على السهول الغربية المقابلة **لمدينة نينوى عاصمة الآشوريين** عام ٤٠١ قبل الميلاد.

وقد سبب هذا الموقع ويلات للمدينة، فكانت ساحة للحروب التي استعرت نيرانها بين المتنازعين على حكمها، حيث كانت الجيوش تتصارع لانتزاعها والهيمنة عليها.

ولما استولى **الفُرس** على الموصل خلال القرن الثالث للميلاد، اتخذوها مركزاً عسكرياً متقدماً لقواتهم الغازية، ونقلوا إليها خلقاً كثيراً.

وفي عهد **كسرى الأول أنوشروان** (٥٢١ ـ ٥٧٩ م)، كانت الحرب بين الفرس والروم سجالا، حيث أغار الروم على الموصل وخربوها أكثر من مرة.

وقام **كسرى أبرويز بن هرمز** (٥٧٩ ـ ٥٩٠ م)، بتعزيز موقع الموصل، فبنى فيها الدور والحصون، وأتى بخلق من فارس ليقفوا حائلاً دون زحف **الروم**.

تحرير الموصل

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حرر العرب المسلمون مدينة الموصل سنة ١٦ هـ ـ ٦٣٧ م، وانتزعوها من قبضة الفرس، وكان للقبائل العربية **تغلب وإياد والنمر** بقيادة **ربعي بن الأفكل العنزي** شرف المساهمة في هذا الفتح الجليل.

وبعد أن تحررت الموصل، سكنها العرب، ويذكر أن الخليفة **عمر** رضي الله عنه، كان قد عيّن **عقبة ابن فرقد السلمي** والياً على الموصل سنة ١٧ هـ ـ ٦٣٨ م، وكان بها أحد الأجناد الستة التي جندها الفاروق وجعلها تابعة للكوفة.

ومن الموصل خرجت الجيوش العربية الإسلامية باتجاه الشرق، وفتحت **أرمينية وأذربيجان** فيما بعد.

١٠٥ هـ ـ ٧٢٣م، بعث إلى الموصل عاملاً هو **الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم** وقد تولاها سنة ١٠٦ ـ ١١٣ هـ، ٧٢٤ ـ ٧٣١م، فنظم أمورها، وشق لها نهراً من دجلة بالقرب من **دير ميخائيل** وأدخله البلد، عرف بـ (**نهر الحر**)، وكان العمل به قد بدأ سنة ١٠٨ هـ ـ ٧٢٦م، وانتهى سنة ١١٥ هـ ـ ٧٣٣م، فأتمّ فتحه **الوليد بن تليد العبسي** وغرسوا على جانبيه الأشجار.

أما **مروان بن محمد** فقد تولى الموصل مرتين، الأولى سنة ١٠٢ ـ ١٠٤ هـ، ٧٢٠ ـ ٧٢٢م، والثانية سنة ١٢٦ ـ ١٢٧ هـ، ٧٤٣ ـ ٧٤٤م.

ويذكر المؤرخون عن مروان، أنه أول من عظم الموصل، وألحقها بالأمصار الكبيرة، وجعل لها ديواناً برئاسته، ونصب لها جسراً يربط بين ساحلي دجلة، ونظم طرقها وأحاطها بسور، فصارت الموصل قاعدة بلاد الجزيرة، بعد أن كانت تابعة للكوفة.

العهد العباسي

فتك العباسيون بالموصل على إثر ثورة أهلها على **محمد بن صول** سنة ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠م، حتى أن أسواقها بقيت معطلة عدة سنين، وكان ذلك على يد **يحيى بن محمد** شقيق أبي العباس السفاح.

وفي سنة ١٣٣ هـ، ولى **المنصور** على الموصل عمه **إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس**. ولما دخل هذا البلد وجدها بحالة يرثى لها، فجمع الناس وخطبهم ووعدهم بأن يرد عليهم المظالم، وأخذت المدينة تستعيد مركزها الاقتصادي وحيويتها، حتى بلغت جبايتها في خلافة **هارون الرشيد** (٢٤) مليون درهم و(٢٠) ألف رطل من العسل.

وفي سنة ١٧١ هـ ـ ٧٨٧م، ظهر **الصحصح الخارجي** بالجزيرة، فأفسد في الموصل، فاضطر الخليفة **الرشيد** أن يرسل إليه من يطرده عنها. ثم تناوبت عليها الفتن والإحن حتى ملكها **الحمدانيون** بعد دخولهم في طاعة **العباسيين**، وصارت عاصمة للدولة الحمدانية، وكان يحكمها (**ناصر الدولة**)، في حين كان **سيف الدولة** يحكم الدولة الحمدانية في **حلب**، كان ذلك ابتداءً من العام ٩٤٥م.

العهد البويهي

وعندما دخل **البويهيون** الفرس **بغداد** في عام ٩٤٦م، بدأ بذلك فصل جديد من العلاقات بين الخلافة العباسية والدول الإسلامية المرتبطة بها.. وكانت سياسة بني بويه ترمي إلى إجراء تبديلات واسعة في العاصمة (بغداد)، والحدّ من نفوذ (الحمدانيين) في الموصل.. ثم عقد البويهيون



★ جامع شيت ★



★ جامع شيت وتبدو العمارة الإسلامية الرائعة فيه ★

وفي خلافة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، كثرت هجرة القبائل العربية إلى الموصل **كالأزد وكندة وعبد قيس** فولى الخليفة عثمان عليهم **عرفجة بن عرثمة البارقي** الذي وسّع الموصل وعمّرها، واختط فيها منازل العرب، ثم صارت الموصل في عهده من المدن المعدودة في بلاد الجزيرة.

ويذكر المؤرخ **ابن الأثير**، أن القبائل العربية هاجرت من الكوفة والبصرة إلى الموصل بشكل متزايد في خلافة **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه فتوسعت الموصل توسعاً كبيراً.

العهد الأموي

وبذل **الأمويون** عناية خاصة بالموصل، فقد كانوا يختارون أقدر الولاة وأحبهم للعمران، ومنهم **سعيد بن عبد الملك** الذي تولاها في خلافة والده **عبد الملك بن مروان**، وكان محباً للخير والإصلاح، فأحاطها بسور ورصف طرقها بالحجارة، وبنى بها سوقاً خيرية عرفت **بسوق سعيد** لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب **سعيد الخير**.

ولما كانت خلافة **هشام بن عبد الملك** سنة

والحمدانيون صلحاً وسويت العلاقات فيما بينهم.

بيد أن العلاقة بين الحمدانيين والبويهيين في بغداد لم تستقر نهائياً.. وتفجر الصراع على نطاق واسع في عام ٩٥٦م، حيث هاجم **ناصر الدولة** بغداد واستولى عليها، لكن إقامته فيها لم تطل، وبعد ذلك هاجم **معز الدولة البويهي** الموصل **ونصيبين** واستولى عليها. وقد أدت هذه الصراعات إلى تدهور أحوال الموصل، وانعكس الوضع على ناصر الدولة الذي عجز عن تلبية رغبات البويهيين المتزايدة، وتوغل جيوشهم في الأقاليم التابعة له.

وبوفاة ناصر الدولة دبّ الضعف في دولة الحمدانيين بالموصل، وبدأ النزاع بين ولديه **حمدان وأبي تغلب**، ثم تحول إلى صدام مسلح، أجبر حمدان على اللجوء إلى البويهيين في بغداد.

لكن انتصار **عضد الدولة البويهي** على ابن عمه **بختيار** في عام ٩٧٧م، ودخوله بغداد، قلب الأوضاع من جديد، وبدل موازين القوى في العاصمة بغداد، وخلق وضعاً خطراً على الدولة الحمدانية في الموصل. وكانت طموحات **عضد الدولة** كبيرة، وهذا ما دفعه إلى إعداد القوة اللازمة لمدّ سلطته التوسعية إلى الموصل.

وفي عام ٩٧٨م، سار عضد الدولة إلى الموصل واستولى عليها، كما استولى على **ديار ربيعة وميافارقين وديار مضر**، وبذلك انتهت دولة الحمدانيين بالموصل.

عهد العقيليين

وحين كان الضعف يتسرب إلى كيان دولة بني حمدان، كان **بنو عقيل**، وهم من رعايا الحمدانيين، يتطلعون إلى الموصل، فاستولى **أبو الدرداء (محمد بن المسيب) أمير بني عقيل** على نصيبين وبلد سنة ٣٧٩هـ، ثم ضمّ إليها الموصل في السنة التالية بعد أن قتل **(أبا طاهر ابن ناصر الدولة الحمداني)** ثم أقر البويهيون (أبا الدرداء) والياً على الموصل، لكنهم ما لبثوا أن عزلوه سنة ٣٨٢هـ، وصاروا يتولون حكم الموصل حتى سنة ٣٨٦هـ، حيث تمكن **(المقلد بن المسيب – وهو أخو محمد بن المسيب العقيلي**– من استعادتها، وأسس بها دولة العقيليين التي ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩هـ – ١٠٩٦م.

ولقد تضافرت عوامل كثيرة داخلية وخارجية لإزالة دولة بني عقيل في الموصل، بعد أن دامت قرناً من الزمان معلنة راية العصيان والثورة ضد التسلط الأجنبي على بغداد حاضرة الدولة العباسية، كالبويهيين والسلاجقة الذين عملوا على إزالة نفوذ العرب فوق أرضهم.

عهد السلاجقة

ولما استولى **السلاجقة** على الموصل سنة ٤٨٩هـ، صارت تتبع لدولتهم، فعاد العقيليون إلى موطنهم الأصلي في بلاد البحرين، حيث كانوا يقيمون **مع بني تغلب وبني سليم**.

لقد تميزت حياة الموصل خلال حكم السلاجقة (٤٨٩ – ٥٢١هـ)، بالقلق وعدم الاستقرار، مما أدى إلى انصراف ولاة الموصل عن الاهتمام بالنواحي العمرانية، فشمل الخراب مناطق الموصل، وأصبح القسم الشرقي منها أنقاضاً، وقد أدى تدهورها إلى تقلص رقعتها ورحيل عدد كبير من سكانها إلى المناطق المجاورة.

العهد الأتابكي

وبعد انهيار السلاجقة ظهر **الأتابكة**[١] بالموصل عام ٥٢١ – ٦٦٠هـ، ١١٢٧، ١٢٦١م، **وقد أسس الدولة الأتابكية (عماد الدين بن آقسنقر)** وتعاقب أولاده وأحفاده، وكانوا كما قال فيهم **ابن الأثير**: «نعمة أنعم الله بها على أهل تلك العصور»، بما حققوه من الأمن والعدل والرخاء، ونشر العلوم والفنون، فتراجع الناس إلى الموصل، وعمروا ما كان قد خرّب منها، وظلت الموصل تتوسع حتى صارت إحدى بلاد الدنيا الكبيرة.

وقد تمثل النظام الأتابكي بظهور ما يدعى بـ**الأتابكيات**[٢] على المسرح السياسي في المشرق **الإسلامي**، وراح الخلفاء يشجعون **الأتابكيين**، الذين كانوا في الأصل مربين لأولاد السلاجقة، على الاستقلال، كلٌ بما تحت يده، توهيناً لسلطان السلاجقة، وإضعافاً لهيمنتهم عليهم. وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أقرّ حكم (أتابكية الموصل) التي كانت تعتبر من كبريات الإمارات الإسلامية في **منطقة الجزيرة** للملك **نور الدين أرسلان شاه، ابن عز الدين مسعود** الذي انتهت مدة حكمه سنة ٦٠٧هـ – ١٢١٠م. وقد اتخذ له **بدر الدين لؤلؤ ابن عبد الله الرومي الأتابكي** مديراً لدولته وقائماً بشؤونها.

وتسنى لبدر الدين لؤلؤ الحصول على تشريف الخليفة **المستنصر بالله العباسي** له بالاستمرار على حكم **إمارة الموصل خلفاً للملوك الأتابكة سنة ٦٣٠هـ – ١٢٣٣م. ويعتبر العصر الذي حكم فيه بدر الدين لؤلؤ (٦٠٦ – ٦٦٠هـ، ١٢٠٩ – ١٢٦١م) الموصل من الفترات المهمة في التاريخ العربي الإسلامي، وذلك لمعاصرته الغزو المغولي** الذي استهدف إقامة إمبراطورية مغولية عالمية تضم أواسط آسيا وإيران وروسيا وبعض أجزاء من أوروبا، ثم ضم دول المشرق العربي ومغربه إليها بالقوة بعد ذلك.

وفيما يتعلق بموقف بدر الدين لؤلؤ من المغول وأحداث غزوهم وعلاقاته معهم في الفترة من ٦١٦ – ٦٥٧هـ، ١٢١٩ – ١٢٥٨م، وهي فترة استغرقت كل عهده تقريباً، فيمكن إيجازها بعبارة (ضد المغول، ولكن معهم)! أي أنه لم يشأ الاصطدام بهم، حيث كان حذراً منهم ومن بطشهم... وبذلك سلمت الموصل من غزو المغول.

الفترة المظلمة

وإثر وفاة بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧هـ – ١٢٥٨م، خلفه ابنه **الملك الصالح ركن الدين إسماعيل** في حكم إمارة الموصل. واعتبر هذا الحدث بداية لمرحلة جديدة في العلاقات المغولية – الموصلية، فبالرغم من أنه اتبع في بداية الأمر نفس السياسة التي سار عليها أبوه مع المغول، غير أنه لم يلبث أن اتخذ لنفسه سياسة مغايرة، أدت إلى تقليص فترة حكمه للموصل وإنهائها بعد ثلاث سنين من توليه السلطة. فقد قام جيش المغول بحركتي غزو للموصل سنة ٦٥٩هـ – ١٢٦٠م، وسنة ٦٦٠هـ – ١٢٦١م، تيسر لهم احتلالها بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرضوه حولها، حيث أمسكوا عن القتال حتى فنيت مؤونتها وأقواتها، وحين توجهوا إلى الصحراء بسبب ضراوة

★ تمثال من القاعة الحضرية بمتحف الموصل ★



الجوع ، تخطفتهم سيوف المغول ، وبناء على طلب من سكان الموصل أنفسهم ، خرج الملك الصالح للمغول ، فنادى المغول في الموصل بالأمان ، فاطمأن الناس ، فشرع المغول عندئذ في تخريب السور ودخلوا المدينة واستباحوها .

كان سقوط الموصل في رمضان عام ٦٦٠هـ - ١٢٦١م ، وقد قتل المغول بقية سكان المدينة بحد السيف ، وأسروا بعضاً من أرباب الحرف والصنائع ، وعلى حد قول **ابن كثير** : (إن المغول خربوا أسوار الموصل وقتلوا الناس تسعة أيام وتركوها بلاقع ثم كروا راجعين) ، وعن مصير الملك الصالح ، فقد ذكر أن المغول حملوه إلى **هولاكو** فقتله .

وتعرضت الموصل إلى غزو (**تيمور لنك**) الذي نكبها سنة ١٣٩٣م (٧٩٦هـ) ، ثم دمرها بغزو آخر سنة ١٠٤١م (٨٤٠هـ) أتى على أكثر ما سلم من عمرانها في الغزو الأول .

وتنازعت كل من الدولتين التركمانيتين : **دولة الخروف الأسود (البارانية)** التي حكمت سنة ١٤١٠م - ١٤٦٨م ، **ودولة الخروف الأبيض (البايندرية)** التي حكمت سنة ١٤٦٨ - ١٥٠٨م ، على الموصل ، فصارت أوضاعها الاجتماعية في هذه الفترة سيئة للغاية ، وأسوأ بكثير مما كانت عليه .

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، أمست الموصل تحت سيطرة حكم **الشاه إسماعيل الصفوي** ، إذ والت الموصل أمراء (بهدينان) الذين كانوا يأتمرون بأمر هذا الشاه الفارسي ، الذي نصّب عليها أمراءه ، بعد أن ضمّ العراق تحت حكمه في سنة ٩١٤هـ - ١٥٠٩م ، أي قبل أن يضمها الأتراك إلى إمبراطوريتهم بما يقارب من السبع سنوات .

وبعد انتصار **السلطان سليم الأول العثماني** على الشاه في (**موقعة جالديران**) سنة ٩٢٠هـ - ١٥١٤م ، وامتلاك العثمانيين لشمال العراق ، سقطت الموصل وديار بكر بيد العثمانيين لتستخدم بعد ذلك مباشرة كقاعدة لضرب الوجود الفارسي في العراق .

وإثر وقوع العراق بأكمله تحت السيطرة العثمانية بعد الاحتلال العثماني لبغداد عام ٩٤١هـ - ١٥٣٤م ، أعاد **السلطان سليمان القانوني** ربط الموصل بحكومة إقليم الجزيرة .

وإثر حوادث فتنة **بكر صوباشي** في بغداد وسقوطها بيد **الشاه عباس الصفوي** ، سقطت الموصل مجدداً بيد الفرس سنة ١٠٣٣هـ - ١٦٢٣م ، وعينوا عليها خاناً فحكمها مدة ، اختلف المؤرخون في تحديدها ، وهي على العموم قصيرة ، إذ سرعان ما جلت جيوش الشاه عنها ، بعد فشلها ، في احتلال إقليم الجزيرة . . . وأعيد الحكم العثماني للموصل بمعونة من سكانها ، وعيّن العثمانيون والياً عليها سنة ١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م .

وفي السنوات التالية ، استخدمت الموصل كقاعدة عسكرية فعّالة في تموين الحملات العثمانية التي كانت تستهدف استعادة بغداد وجنوب العراق من قبضة الفرس . ومنذ ذلك العهد ، دخلت الموصل في حكم عثماني طويل استمر مدة تقرب من ثلاثة قرون .

وعانت الموصل في هذا العصر ، نكبات قاسية ، ففي سنة ١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م ، وفد عليها **الطاعون** ، ثم عاودها سنة ١٠٥٣هـ - ١٦٤٣م ، وسنة ١٠٦١هـ - ١٦٥٠م ، وسنة ١٠٨٤هـ - ١٦٧٣م ، وسنة ١١١٤هـ - ١٧٠٢م ، **وكان الطاعون في المرتين الأخيرتين يهلك كل يوم ما يزيد على ألف نسمة** .

وساهم **الجراد** في تدهور الحالة المعاشية للموصل خلال عدة سنين . فقد هاجمها سنة ١٠٨٤هـ - ١٦٧٣ ، حيث أكل جميع الزروع . كما هاجمها سنة ١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م ، حتى أكل كل ما نبت ، وهرب الناس حتى مات خلق كثير . وتكرر مثل ذلك سنة ١١٠٠هـ - ١٦٨٨م .

وفي عام ١١٥٦هـ - ١٧٤٣م ، جهز (**نادر شاه**) الفارسي المعروف بـ (**طهماسب**) جيشاً كثيفاً لاحتلال الموصل ، فقد ضرب الحصار حولها وأمطرها بقنابل مدافعه قرابة أربعين يوماً ، إلا أن استبسال أهلها في الدفاع عنها ، وحسن إدارة واليها **الحاج حسين باشا الجليلي** كبّد الغزاة خسائر فادحة ، فاضطر نادر شاه إلى عقد صلح مع أهلها ، وانكفأ خائباً من حيث أتى .

ورغم محاولة **العثمانيين** فرض سياسة التتريك على الموصل ، إلا أنها ظلت محافظة على هويتها العربية ، وكان أبرز تأجج للشعور القومي فيها ، في خلال ولاية **مدحت باشا** في العراق **ومحمد علي باشا** في مصر ، الذي كان يهدف إلى الاستقلال والتحرر . واضطر العثمانيون إلى إلحاق (ولاية الموصل) بإدارتهم المركزية في بغداد ، ونصبوا عليها ولاة من غير أهلها حتى احتلالها من قبل القوات البريطانية سنة ١٩١٧م .

الموصل .. اليوم

والموصل اليوم ، مدينة فسيحة جميلة للغاية ، يمتد عمرانها على جانبي نهر دجلة ، وتبعد عن بغداد (٤٠٠) كيلومتر ، وترتبط معها برحلات جوية منتظمة ، وبطريق جيد التبليط ، وكذلك بقطار يسافر (منها وإليها) وتمرّ عبرها **السكك الحديد** والطرق البرية التي تربط العراق بسورية وتركيا وأوروبا ، وفيها مرافق سياحية رائعة . . وهي مركز محافظة نينوى أكبر محافظات العراق الشمالية مساحة ، وهي المنطلق لمعظم مصايف العراق في الشمال وترتبط بها بطرق معبدة .



★ الحلاق - وهي حرفة شعبية - من متحف التراث الشعبي في الموصل ★



★ المنارة المشهورة بـ (الحدباء) التابعة للجامع النوري ★

أشهر الجوامع في الموصل

التسلسل	اسم الجامع	اسم باني الجامع	سنة التشييد	المعلومات
١ ـ	الجامع الأموي	عتبة بن فرقد السلمي	١٧ هـ	● شيد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يبق منه سوى منارته .
٢ ـ	الجامع النوري	نور الدين بن محمود زنكي	٥٦٦ هـ	● أبرز ما فيه منارته الأسطوانية (الحدباء) البالغ ارتفاعها (٥٢) متراً .
٣ ـ	الجامع المجاهدي	أبو منصور قايماز الرومي	٥٧٢ هـ	● يتميز بقبته الجميلة الشكل وبمحرابه المزخرف .
٤ ـ	جامع العمرية	الحاج قاسم بن علي العمري	٩٧١ هـ	● لم تزل منارته القديمة باقية .
٥ ـ	جامع الباشا	محمد أمين باشا الجليلي	١١٦٩ هـ	● كانت فيه مدرسة للعلوم المختلفة .
٦ ـ	جامع شيت	أحمد باشا الجليلي	١٢٣١ هـ	● يمتاز بمنارته الجميلة المشيدة من رخام (الحلان) .
٧ ـ	مسجد قضيب البان	أبو عبد الله الحسين بن عيسى	١١٢٣ هـ	
٨ ـ	جامع يونس	لا يعرف اسم مشيده	مجهولة	
٩ ـ	جامع جرجيس	لا يعرف اسم مشيده	مجهولة	

أشهر المعالم الأثرية في الموصل

التسلسل	اسم الأثر	موقع الأثر	المعلومات
١ ـ	نينوى	في القسم الشرقي من الموصل	● كانت العاصمة الثالثة للآشوريين ، وتتكون اليوم من تلين هما (تل قوينجق) و(تل النبي يونس) ويحيطها سور عظيم فيه خمس عشرة بوابة . أُعيد ترميمها بالشكل الذي كانت عليه .
٢ ـ	النمرود	على بعد (٣٥) كم جنوب شرقي الموصل	● هي الاسم الحالي لأطلال مدينة (كالح) الأثرية ، وكانت عاصمة الآشوريين الثانية ، وهي من المستوطنات القديمة ، ومن أبرز مباني النمرود .
٣ ـ	ضورسباد (دورشروكين)	على بعد (٢٠) كم من الموصل شمالاً .	● هي عاصمة الملك الآشوري سرجون (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م) كانت مربعة الشكل . ولم تسكن هذه العاصمة بعد وفاة ملكها .
٤ ـ	قره سراي (القصر الأسود)	على نهر دجلة شمال الموصل	● من آثار القرن الثالث عشر الميلادي ، وبنيت على أنقاض «دار المملكة» في عهد السلاجقة .
٥ ـ	قلعة (باش طابيه)	على نهر دجلة فوق مرتفع عال	● كانت القلعة مركزاً هاماً في الدولة الأتابكية وموقعاً دفاعياً ممتازاً .

المراجع

(١) سعيد الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م .

(٢) سعيد الديوه جي : الموصل أم الربيعين ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦٥ م .

(٣) سوادي عبد محمد الرويشدي : إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧١ م .

(٤) ياسين بن خير الله الخطيب العمري : مُنية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء (تحقيق سعيد الديوه جي) ، مطبعة الهدف ، الموصل ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

(٥) الدكتور خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ، الطبعة الأولى ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

(٦) الدكتور رشيد عبد الله الجميلي : إمارة الموصل في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مطبعة وأوفسيت الحديثي ، ١٩٨٠ م ، بغداد .

(٧) عماد عبد السلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي) ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

(٨) طه باقر ، فؤاد سفر : المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة ، الرحلة الثالثة ، بغداد ، الموصل ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٦ م .

(٩) السيد عبد الرزاق الحسني : العراق قديماً وحديثاً ، الطبعة الثالثة ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .

(١٠) كوركيس عواد : مدينة الموصل ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٩ م .

(١١) سيار كوكب الجميل : السيطرة العثمانية على الموصل والجزيرة سنة ١٥١٦ م ، مجلة (بين النهرين) ، العدد (٣٠) ، السنة الثامنة ، الموصل ، ١٩٨٠ م .

(١٢) اللجنة العليا لمهرجان الربيع الثاني عشر في الموصل : (دليل الموصل لعام ١٩٨٠ م) ، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ١٩٨٠ م .

(١٣) سليمان الصايغ (القس الموصلي) : ، تاريخ الموصل ، الجزء الأول ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م ، جـ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ لبنان .

(١٤) دليل الموصل السياحي لسنة ١٩٧٦ م ، صدر بمناسبة مهرجان الربيع الثامن بالموصل .

(١٥) رشيد الجميلي : دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٠ م .

(١٦) المؤسسة العربية للدراسات والنشر : الموسوعة العسكرية ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧٧ م الطبعة الأولى .

(١٧) المؤسسة العامة للسياحة : دليل السياحة في العراق ، مادة الموصل .

هوامش

(١) الأتابك : لفظة تركية مركبة من مقطعين : (أتا) ومعناها (أب) و(بك) ومعناها (أمير) . فهي بذلك (الوالد الأمير) . وكان يطلق لقب الأتابك على من يتولى تربية أولاد السلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم .

(٢) الأتابكيات : ترجع إلى نظام الإقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في أقاليم دولتهم ، وأصبح عنصراً هاماً في نظمهم السياسية والاجتماعية .

ومعظم مؤسسي الأتابكيات من المماليك الذين جلبوا من (القفجاق) وتولوا مناصب رفيعة ، في الجيش والبلاط ، لما كانوا يتمتعون به من قوة البدن ، والنظام البدوي الذي كانوا يعيشونه .



التخصصات الجامعية المطلوبة:

- هندسة البترول.
- الجيوفيزياء/الجيولوجيا.
- هندسة كيميائية.
- هندسة كهربائية.
- هندسة ميكانيكية
- هندسة أساليب ونظم/ /علوم الكمبيوتر.
- هندسة صناعية.
- محاسبة/إدارة مالية، وإدارة صناعية

يَحصُل الجامعيّون على الميزات التالية:

- برنامج لتطوير الكفاءات.
- راتب مغرٍ حسب التخصص.
- إضافات في الراتب للشهادات العليا والتفوق والخبرات.
- راتب إضافي كل سنة.
- سكن بإيجار رمزي أو راتب شهرين بدل سكن.
- برنامج تملك البيوت.
- أجازة سنوية مع ٥٪ من الراتب السنوي
- عناية طبية للموظف وعائلته.
- برنامج للإدخار بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.
- ميزات عديدة أخرى.

يحصل حاملو الشهادات الثانوية على الميزات التالية:

- براج ابتعاث للثانويين (العلمي) المتفوقين للدراسة في جامعات المملكة أو الولايات المتحدة.
- برامج ابتعاث أخرى.
- برامج تدريب وتطوير في مجالات العمل.
- الراتب ابتداءً من ٣٩١٥ ريالا شهريا.
- راتب شهرين كبدل سكن - أو سكن للأعزب حسب النظام.
- راتب شهر إضافي كل سنة.
- برنامج تملك البيوت.
- عناية طبية للموظف وعائلته.
- برنامج للإدخار - بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.
- أجازة سنوية.
- ميزات عديدة أخرى.

مجالات العمل المتاحة لخريجي الجامعات والمدارس الثانوية:

- التنقيب عن الزيت وهندسة البترول.
- تطوير حقول الزيت.
- إنتاج الزيت والغاز وأعمال التكرير.
- أعمال صيانة معامل الزيت والغاز ومرافق أخرى.
- تشغيل الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر)
- إدارة المشاريع والإنشاء والخدمات الهندسية.
- مجالات فنية وإدارية أخرى.

المناطق الرئيسية التي تتوفر فيها فرص العمل:

- بقيق
- العضيلية
- قرية
- المبرز
- شدقم
- العثمانية
- رأس تنورة
- الجعيمة
- الظهران
- جبل بري الجبيل
- السفانية
- ينبع

مكاتب التوظيف التابعة لـ "أرامكو"

الظهران: مبنى الإدارة الجنوبي - غرفه ٢٥٥ - الظهران ت ٨٧٦٢٠٧٣ (للجامعيين)
الظهران: قرب مدخل حي شمال الظهران - على طريق الظهران/الدمام ت ٨٧٥٨٥٣١
الدمام: مبنى الشركة العقارية السعودية - مقابل بلدية الدمام ت ٨٣٤٦٣١٨
الخبر: بناية عبد الهادي القحطاني - الدور العلوي شارع الظهران/الخبر ت ٨٦٤٨١٢٣
القطيف: شارع المحيط - تليفون ٨٥٥٢٤٤٦
رأس تنورة: مبنى الإدارة الجنوبي - المبنى رقم ٢١١ - تليفون ٦٧٣٧٧٤٤
عريرة (بدنة): التابلاين - بجوار المستشفى - تليفون ٦٦٢٠٢٩٢
الأحساء: مجمع مكاتب أرامكو - منطقة محاسن - قرب مستشفى أرامكو ت ٥٨٢٦٩٠١

الرياض: الناصرية - مقابل مستشفى الملك فيصل التخصصي ص.ب ٣١٩ - تليفون ٤٦٤١٠٥٥
الدوادمي: عمارة الصعب - مقابل بلدية الدوادمي شرقا - تليفون ٦٤٢١٦٠٩
بريدة: شارع الخبيب - عمارة العليان والجربوع - تليفون ٣٢٢٢١٧٦
حائل: شارع المطار - مقابل إمارة منطقة حائل - عمارة العقيل شقة رقم ٨ - ت ٥٣٢١٧٣٠

هيوستن: تكساس (أمريكا)
ARAMCO SERVICES COMPANY, SAUDI COLLEGE RELATIONS, P.O. BOX 53620, HOUSTON, TEXAS 71052-1620, USA. TELEPHONE: (713) 750-5855, (713) 750-6664, (713) 750-5900 OR TOLL FREE 1-800-231-7577 EXT. 5855/6664/5900

جدة: شارع محمد حسن عواد - الشرفية - بناية الهدى - ص.ب ٧٣ - ت ٦٥٣٤٦٥٥
الطائف: شارع العزيزية - عمارة الراجحي - ص.ب ٩٤٢ - ت ٧٣٦١٤٦٤
أبها: الشارع العام المؤدي إلى خميس مشيط - ص.ب ١٥٥ - ت ٤٥٩٨٢
نجران: شارع الفيصلية - عمارة الجنوبي - ص.ب ٧١ - ت ٥٢٢١٧٨٢
ينبع: خلف مستشفى ينبع - ص.ب ٣٣٠ - تليفون ٣٢٢٤٠٨ - ٤٣٢٠
الباحة: الشارع العام - ص.ب ١١٤ - تليفون ٧٢٥١٢٠٤
المدينة المنورة: شارع العوالي (قرب مستوصف العوالي) ص.ب ١٧١٤ - ت ٨٣٦٤٢٨٣

(E-2-83)

قبائل العمر

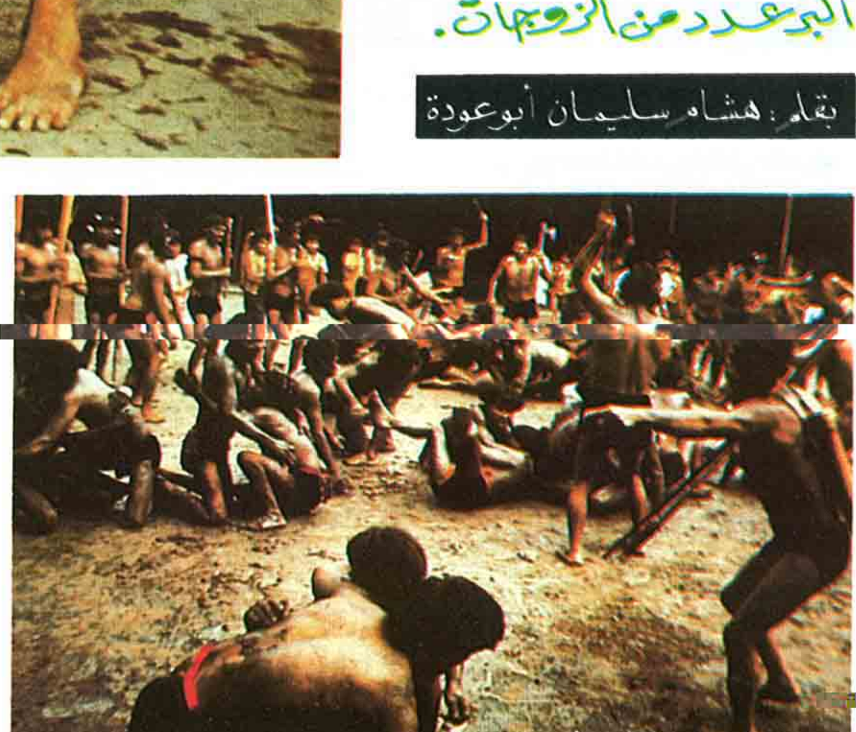


★ رجال اليانومامي ينفخون دخان نبات الإبينا Ebena المخدر في فتحات أنوفهم خلال أنابيب مجوفة ★

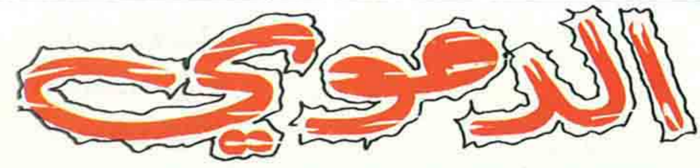
★ يقتلون الطفل إذا ولد وكانت أمه مرضعاً لأخيه الذي ولد قبله.

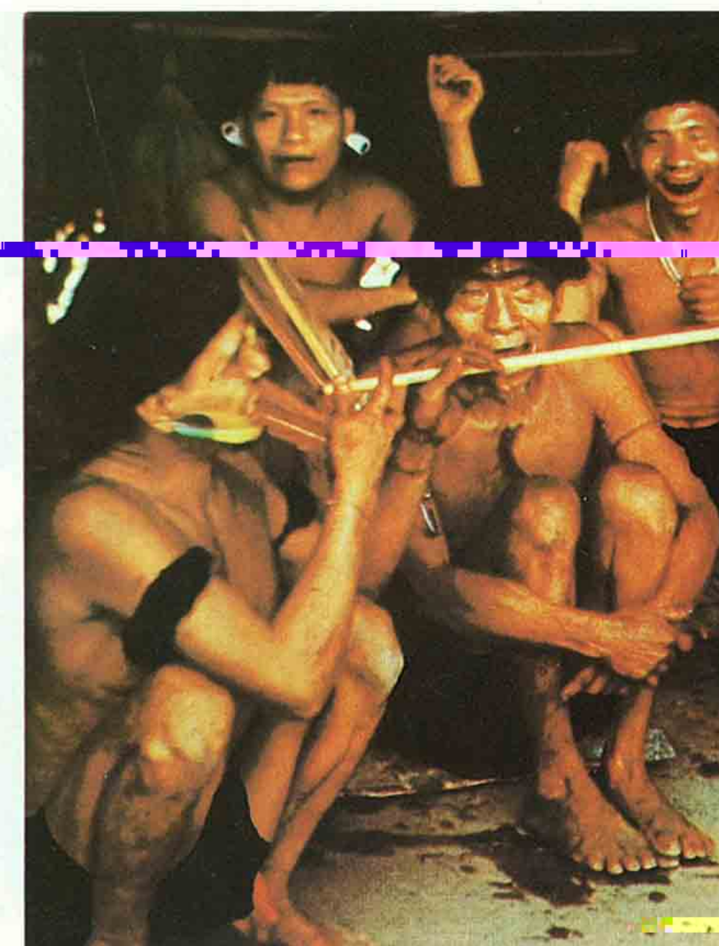
★★ يختطفون النساء من القرى الأخرى للتباهي بأنهم يملكون أكبر عدد من الزوجات.

بقلم: هشام سليمان أبوعودة



★ حرب الصداقة ... معركة بالأيدي واللكمات بين رجال القرية وبين رجال قرية حليفة مجاورة ... لإطفاء الغضب من صدورهم ★





★ رجل يعالج ابنه بمساعدة الأرواح .. واليانومامي يحبون أطفالهم ★

الغابة تخبئ كثيراً من المخاطر، والحياة مليئة بالمجازفات والخوف، والعدو ماكر خبيث وغادر... أن تصبح «ويتيري» WAITERI ـ ذلك المحارب [illegible] الذي [illegible] الجميع ويحترمونه ـ ذلك هو حلم **رجال قبائل اليانومامي....** وشهرتهم بالشراسة من بين جميع هنود أمريكا الجنوبية، بنى هنود اليانومامي (وأحياناً تلفظ اليانومامو) حياتهم حول هدفين رئيسيين: هما القوة أولا.. والمحافظة عليها ثانياً.

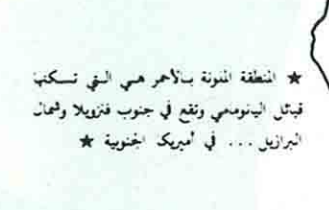
وبتعدادهم الذي يبلغ **خمسة عشر ألف نسمة**، يعيش اليانومامي في قرى متناثرة مشتتة في الغابة الاستوائية في **جنوب فنزويلا والأجزاء المتاخمة لشمال البرازيل.**

وتكنولوجيا اليانومامي بسيطة لكنها فعالة.. فالمحاربون يصنعون أقواسهم من خشب النخيل الغليظ مستخدمين أسنان الخنزير البري الحادة كالسكين، كما يصنعون خناجرهم من أسنان **حيوان «الأغوطي»** (وهو حيوان قارض بحجم الأرنب) ويحلقون شعورهم ببوصة من نبات يدعى «عشب موسى الحلاقة».

أما أكواخهم فبيوتها من الكروم والعريش وطبقات من أوراق الأشجار مصفوفة فوق بعضها البعض في صفوف متتالية بعناية وإتقان... وكل عائلة تبني بيتها الخاص بها، حيث يبدو كجناح مستقل منحدر السقف.. لكن هذه الأكواخ يتم وصلها مع بعضها البعض بسقف دائري يغطي جميع أكواخ القرية دفعة واحدة، فتصبح كلها تحت سقف واحد... ويسمون مثل هذه القرية بلغتهم المحلية باسم **«شابونو»**.. ويجعلون في وسط القرية ميداناً فسيحاً لا يغطون سقفه، تعقد فيه الاجتماعات وتقام الحفلات.

ولكي يستطيعوا حمايتها، فإن كل قرية تنشأ يجب أن تضم فيها على الأقل خمسة عشر رجلاً من الرجال الأشداء.. وهكذا فإن أصغر قرية يمكن إنشاؤها يبلغ تعدادها على الأقل أربعين أو خمسين فرداً بين رجل وامرأة وطفل... وكلما صغرت القرية كانت أكثر عرضة للهجوم والغزو من القرى الأكثر سكاناً والأكثر قوة... لذلك يحاول اليانومامي أن يمنعوا شبابهم وصبيتهم من الزواج من خارج حدود القرية حتى لا يغادروا الشابونو.. لكنهم في الوقت نفسه يرحبون

CARIBBEAN SEA
البحر الكاريبي
VENEZUELA
فنزويلا
ORINOCO RIVER
نهر أورينوكو
GUIANA HIGHLANDS
COLOMBIA
كولومبيا
أميركا الجنوبية
منطقة اليانومامي
YANOMAMI TERRITORY
البرازيل
BRAZIL



★ المنطقة الملونة بالأحمر هي التي تسكنها قبائل اليانومامي وتقع في جنوب فنزويلا وشمال البرازيل... في أمريكا الجنوبية ★



قبائل القمر الدموي

★ محاربو قبائل «اليانومامي» في غابات أمريكا الجنوبية يستعرضون شراستهم في رقصة احتفالية... حاملين رماحهم وعصيهم التي يسمونها «النابروشي» ★



★ السهام التي يستخدمونها في الصيد وفي غزواتهم تكون مدهونة بمادة السكيورار Curare وهي مادة سامة ★

باللاجئين إليهم من القرى الأخرى.. بل ويزوجونهم من بناتهم حتى تزيد القرية عدداً وقوة وعتاداً.

أما نساء اليانومامي، فهن «رهائن» البحث الدائب المستمر لرجال اليانومامي عن القوة والمجد.. **فالزواج بالنسبة للرجل عملاً سياسياً أكثر منه أي شيء آخر.. لذلك عندما يأخذ الرجل امرأة ما كزوجة له، فإنه يأخذها كرقم يضاف إليه.. أما الاعتبارات الأخرى** للزواج فهي تأتي فيما بعد.. إن بقي لها مكان.

ويعتبر الأقارب بحكم النسب والزواج حلفاء طبيعيين للقبيلة، ويعتبرون عائلة الزوجة حليفاً سيقوي من مركز الزوج، خصوصاً إذا كانت هذه العائلة كبيرة... وكل العائلات تطمح للتحالف مع الأشداء.. لذلك تسعى كل عائلة لتزويج إحدى بناتها لأحد محاربي «**الويتيري**» الشرسين.. لهذا نرى الطبقة من المحاربين قد تزوجوا بالكثير من النساء.

وديناميكية **التنظيم الاجتماعي** لليانومامي تأصلت من سياسة «الحصول على زوجة» كما يقول **عالم الأجناس البشرية «نابليون شانيون»** في كتابه: «اليانومامو.. الشعب الشرس».. أما النوع الأكثر تفضيلاً من الزيجات فهو



« زواج البدل » .. وهو أن يتزوج أحد الرجال فتاة من عائلة أخرى فيتزوج أخوها أخت العريس بالمقابل .. وهذه الرابطة المزدوجة من شأنها أن تعطيهم حماية معنوية وعملية كافية .

البودرة السحرية

ورغم أن الزواج عمل ينطوي على السياسة في ذلك المجتمع ، فإن جريمة الخيانة الزوجية تلق العقاب الصارم الرادع .. لكنهم ينظرون إليها من زاوية مختلفة ، فهي هجوم على مركز الزوج قبل الهجوم على شرفه ، لهذا فإن الأمر لا يحتمل الإغفال أو التجاهل .. ومع ذلك ، وعندما يصل الشاب إلى سن البلوغ ويحاول أن يقدم نفسه كمحارب شرس ، يبدأ هو بدوره أيضاً بمحاولة الحصول على زوجة حتى لو اضطره الأمر أن يحاول سرقة زوجات الرجال الآخرين ، رغم معرفته بمغبة الخيانة .

وكل رجال اليانومامي في الحقيقة يتصيدون الفرص لإيقاع النساء الأخريات في حبائلهم حتى لو كن متزوجات .. وهذه الصفة تعيد إلى الأذهان ذكرى إنسان ما قبل التاريخ والحياة الهمجية التي كان يعيشها .. والتي تعتبر حياة قبائل اليانومامي امتداداً لها حتى في القرن العشرين .

ولإقناع امرأة مترددة .. فإنهم يضغطون بودرة خاصة بقوة على أنفها مرغمينها على استنشاقها .. ويؤمنون بأن هذه البودرة العجيبة تدغدغ حوّاس المرأة فتنصاع لمآربهم .. لهذا فإن كل الرجال يحملون كيساً صغيراً من هذه البودرة معهم أينما رحلوا وأينما حلوا .

والاتهام بالخيانة يوصل دون أدنى ريب إلى عنف قاتل بين الزوج والعاشق .. ومما يثير الدهشة أن العنف يبدأ بطريقة منظمة في هذا المجتمع الهمجي ، إذ يستل الزوج الغاضب عصاه التي يطلقون عليها اسم « نابروشي » بلغتهم المحلية .. وهي عصا رفيعة تشبه عصا البلياردو ويبلغ طولها ثمانية إلى عشرة أقدام .. ويرفعها عالياً ويضرب الأرض بنهايتها الأخرى بشكل عمودي .. ويتكئ عليها ، ثم يعرض على خصمه أن يتحداه وذلك بأن يطأطئ رأسه عارضاً عليه أن يقوم بضربه بعصاه « النابروشي » على جمجمته ..

وهذا النوع من التحدي لا يقبل الجدل .. فلا تراجع بعد هذه النقطة .. فيبادر الخصم إلى مقابلة التحدي .. فيأخذ بضع خطوات إلى الوراء ممسكاً بالنابروشي بيديه ويهوي بها في ضربة قاصمة على أم رأس الزوج التي يكون قد حلق أعلاها كما يفعل الرهبان .. وتتم عملية حلق الرأس قبل بدء القتال إمعاناً في التحدي ، ودلالة على عدم الخوف .

ويأتي الآن دور الزوج .. هذا إن بقي متمالكاً نفسه ولم تطرحه الضربة الأولى أرضاً .. ويستمر الضرب بالتناوب .. ضربة هنا وضربة هناك .. كلها على سقف الجمجمة حتى يسقط أحد الرجلين ، أو ينسحب مكللاً بالخزي والعار .. أو عندما يتدفق الدم من أحد الرأسين .. فهو إيذان بنهاية الحرب الثنائية .

ولكن ، هيهات أن ينتهي الأمر بهذه البساطة .. فما إن يتدفق الدم من أحد الرأسين حتى يلتقط كل رجال القرية عصيهم ويأخذون جانباً من أحد الرجلين المتنازعين .. ويختلط الحابل بالنابل .. وتنتقل النابروشي من رأس إلى رأس .. ويحتد القتال ويلتهب سعير الثأر ، حتى يحل التعب بالجميع .

ونأتي إلى الزوجة الخائنة ، وما يحل بها في المعتاد عقاب صارم ومميز سواء كان لها اختيار فيما حدث أو لم يكن .. إذ تقوم القبيلة بقطع أذنيها الاثنتين .. وفي بعض الأحيان تدفع حياتها ثمناً لما حدث بأن يقوم الزوج بقطع رأسها بضربة من منجله .. خاصة إذا ما اضطر الزوج بما سببته له أن يتحدى رجلاً من محاربي « الويتيري » الأشداء .. ويقول شانيون في كتابه : « إن رجل اليانومامي سرعان ما يحطم شيئاً بحوزته على أن يسمح للآخرين باستغلاله دون إذن منه .. » ، وهذا القول ينطبق على سلاحه وعلى امرأته على وجه السواء .

سرقة الزوجات

في بعض الأحيان يكتسب رجال « الويتيري » زوجات إضافيات بسرقتهن من القرى المجاورة عن طريق الغزو المستمر الذي تشتهر به قبائل اليانومامي .. وغالباً ما تقع



قبائل القمر الدموي

★ محاربو « اليانومامي » وقد زينوا رؤوسهم بريش البجعات والصقور ... ورسموا رسوماً مختلفة على أجسادهم بصبغة سوداء ★



★ أحد محاربي « الويتيري » وقد زين نفسه بالريش الأحمر الطويل ... وهذه الطائفة من المحاربين يخشاها الجميع ★

ضحايا من الرجال بين الجانبين إبان هذا الغزو. ومهما كان العدد المجلوب من النساء فإنهم لا يكتفون بذلك، ويستمر الغزو لجلب المزيد من السبايا إلى « الشابونو ».

ويميز القادة أنفسهم في مجتمع اليانومامي عن الآخرين بجعل أنفسهم حجر الزاوية فيه، فيخصون أنفسهم بالزوجات من داخل القبيلة وخارجها بحيث لا يتركون شيئاً للشباب الجدد.. ويبقى الكثيرون منهم بغير زواج إلى أن يشتد ساعدهم، وتقوى أنيابهم، ويصبح الواحد منهم ذئباً بين الذئاب، حينها يستطيع أن يستخلص لنفسه جزءاً من الفريسة، وبمرور الزمن يتعلم كيف ينمي عدد الزوجات.. ولا يفقد شهيته تجاه هذا الأمر، فلا يهمه من الزوجات إلا العدد.

ولأسباب براغماتية بحتة، تفضل النساء أن يكون أزواجهن من الرجال « الويتيري » كلما أمكن ذلك. فالنساء يقضين ساعات عديدة كل يوم خارج الشابونو لجمع الحطب.. وهذه



المهمة المتعبة تضعهن في موقف خطر لا يحسدن عليه، إذ قد يتعرضن للعديد من المشاكل كالاختطاف من قبل رجال القرى المعادية.. ولكن رجال القرى المعادية قد يفكرون مرات عديدة قبل الإقدام على ذلك، خاصة إذا كانت القرية التي ينتمين إليها ذات سمعة دموية من حيث الشراسة والعنف.. لذلك تسعى النساء دوماً لحث وتحريض رجالهن لإظهار شراستهم والتباهي بمعرفتهم بفنون الحرب والضرب حتى تطفو سمعتهم القتالية على السطح، ويعرفها القاصي والداني.. وكثيراً ما ترى نساء هذه القرى وقد تجمعن في مجموعات وأخذن في كيل الشتائم لأزواجهن ناعتات إياهم بالجبن والذلة، مما يثير حميتهم وبذلك تتحقق أهدافهن... وربما كان هذا هو التأثير السياسي الوحيد الذي تتمتع به النساء في مجتمع **هنود اليانومامي.**

ولكن المرأة قد تكتسب شيئاً من الاحترام عندما تبلغ أرذل العمر، وتصبح عجوزاً أصابها الوهن.. عندها يعاملها أبناؤها معاملة حسنة، كما يعاملها أزواج بناتها معاملة مختلفة، ويعملون لخدمتها مقابل زواجهم من بناتها.. وللنساء المسنات دوراً خاصاً عندهم.. يساعدهن على ذلك أنهن محصنات ضد الغزو، فلا أحد يطمع في اختطافهن.. لذلك فإنهن يتنقلن بحرية في أطراف الغابة دون خوف أو عاقبة.. وتناط بهن مهمتين خاصتين: إذ يقمن بحمل الرسائل الشفوية إلى القرى الأخرى.. أو استرداد جثث الرجال الذين قُتلوا بالقرب من إحدى القرى المعادية التي قاموا بغزوها.

والمهمة الأخيرة لها أهمية خاصة.. فمن **عادة اليانومامي أنه إذا مات أحدهم، قاموا بحرق جثته، ثم يجمعون بقايا العظام والرماد فيسحقونها ويمزجونها بحساء نبات «موز الجنة» المغلي.. يقوم بعدها أقارب الفقيد وأصدقاؤه بشرب هذا الحساء**.. ويطلقون على هذه الوليمة الجنائزية اسم **«رياهو»**.

والشعب اليانومامي «أساطير» كثيرة.. ويقولون عن الروح إنها «شيء معقد».. فلها أكثر من جزء واحد.. جزء واحد منها فقط يذهب إلى «بيت الرعد» وهو الجزء «اللافطري» من الروح والذي لم يخلق معها عندما ولد هذا الرجل.. بل اكتسبه خلال تجربة حياته.. ويمكن أن يقال عن هذا الجزء إنه الشخصية التي تميز بها الرجل.. أما الجزء الآخر من الروح فقد قدر عليه أن يهيم إلى الأبد في أرجاء الغابة الفسيحة مروِّعاً الناس بعينيه المصنوعتين من النار..

وإذا مات طفل.. فالجزء الأول من الروح لديه لم يتكون بعد.. لذلك لا يبقى إلا الجزء الثاني الذي يلجأ إلى الغابة كأحد الأشباح.

ويعامل اليانومامي أطفالهم معاملة حسنة.. ونادراً ما يحتمل الرجال رؤية أحد أطفالهم باكياً في طلب قطعة لحم. وعادة ما يأخذ الأطفال أحسن الأجزاء من فرائس القبيلة. والأطفال الذكور هم المفضلون في العائلة، ويعمل الرجل على أن يُنشئ أطفاله الذكور ليصبحوا من محاربي «الوتيري» فيعلمهم العنف والشراسة.. ويكافئ العنف الصادر منهم بضحكة جذلة واستحسان بالغ.. **ويقال إن اليانومامي عندما يرزق بوليده الأول يقوم بقتله إذا كان أنثى، كما يقوم بقتل أي طفل آخر، ذكراً كان أم أنثى، إذا ولد وكانت أمه ما زالت مرضعاً لأخيه الذي جاء إلى الحياة قبله** (وفطام الأطفال في هذا المجتمع لا يتم قبل ثلاث سنوات من عمر الرضيع)... وقتل الأطفال يتم بعدة طرق لا تقل الواحدة منها وحشية عن الأخرى.. ويتم ذلك بشنق الطفل بحبل من حبال الكروم.. أو أن يقذف به الأب إلى جذع شجرة من أشجار الغابة الضخمة فيتحطم، أو أن يتركه وحيداً في الغابة ليلقى حتفه من الجوع والظمأ.

وقتل البنات الوليدات يخلق نوعاً من عدم التوازن في نسبة الجنسين.. وتقل نسبة النساء ويشتد الصراع من أجل الزواج.. وتزداد حدة الغزو لاختطاف المزيد.. ولكن بمرور الزمن تعود النسبة إلى التوازن مرة أخرى بموت الكثير من الرجال في الخلافات والغزوات والهجمات الغادرة حتى من الأصدقاء.. **ولا توجد صداقة أو تحالف في عالم**

قبائل القمر الدموي

اليانومامي .. وحتى إن وجدا ، فسرعان ما يغدرون ببعضهم البعض .

شر لا بد منه

والتحالف في عالم هذا المجتمع شر لا بد منه .. إذ لا توجد جماعة قادرة على الوقوف بمفردها في الساحة ، ولا يوجد من يعترف بهذا الأمر .. فالاعتراف به إعلان صريح عن الضعف والمذلة .. ولهذا فإن تكوين التحالفات مع القرى الأخرى يجب أن يتم بطريقة غير مباشرة .. **واليانومامي مغرمون بالتجارة ..** ولهذا فإنهم يستغلونها لهذا الغرض .. فكل قرية تستطيع أن تكتفي بذاتها ، وتنتج كل ما تحتاجه من أمور الحياة اليومية .. ولكن مع ذلك فإن كل قرية تتخصص في إنتاج شيء مميز عن القرية الأخرى .. فهناك قرية تنتج المخدرات مثل نبات الـ « إبينا Ebena » ، وقرية تنتج الأواني الفخارية ، وأخرى رؤوس السهام .. وهكذا .. ونتيجة لهذا تصبح التجارة بين القرى ضرورة ملحة .. ويستخدم اليانومامي تلك الوسيلة لإقامة علاقات ودية مع الآخرين كنوع من التحالف العسكري دون الاضطرار إلى الإفصاح العلني عن حاجتهم إليه ... وإذا تمت هذه العلاقة التجارية كما خططوا لها .. تأتي الخطوة الثانية وهي الاحتفال .

والاحتفال هو الحدث الدرامي المثير في حياة اليانومامي .. وهو أكثر فصل من فصول حياتهم يأخذ وقتاً وجهداً لإعداده .. إنها ليست مناسبة لتوطيد التحالف فقط .. بل إنها أيضاً فرصة نادرة لاستعراض العضلات وإظهار القوة .. ومن المثير للسخرية أن هذا الاحتفال العظيم للصداقة قد ينقلب إلى احتفال للخيانة والغدر .

يبدأ الاحتفال بأن يقيم الضيوف مخيمهم بالقرب من جدران الشابونو ، ويذهب رئيسهم إلى وسط ساحة القرية مختالا .. وعندما يصل إلى الساحة يغرس رمحه الطويل في الأرض بقوة ، ويقف وقفة كبرياء .. فينطلق صوت رئيس القرية المضيفة مجلجلاً بالغناء « إيه .. لا تكونوا شكاكين ... لقد طلبت منكم أن تأتوا بنية حسنة .. فلم نقتل منكم أحداً .. ولا أحد غاضب منكم .. » ، فيرد الضيف مغنياً هو الآخر : « إيه .. لقد أتينا لكم من أجل سلالكم الجميلة .. فاعطونا إياها لنأخذها إلى قريتنا .. » .

وعندها تنتهي المقدمات الودية .. ويأخذ الضيوف في الرقص في وثبات عالية حول الشابونو .. رافعين رماحهم في الهواء .. وتقدم لهم القرية حساء نبات «**موز الجنة**» في أوعية مصنوعة من لحاء الشجر . ويأتي دور رجال القرية المضيفة للرقص وإبداء مهارتهم للضيوف . ويستمر الرقص حتى مطلع الفجر .. وعند حلول الصباح يقوم الرجال بدهن أجسادهم بطلاء أسود (لون الحرب عندهم) .. ويبدأون في استنشاق دخان نبات الـ « إبينا » المخدر ... وعندها يدب الخوف في صدور النساء ، فيتسارعن إلى الخدور لأنهن يعلمن حق العلم ما سيفعله دخان الإبينا في عقول هؤلاء الرجال الذين أذبلهم النعاس .. وبالفعل وبعد لحظات يقف الرئيس المضيف صارخاً في ضيوفه : « أنتم الآن غاضبون .. ونحن غاضبون أيضاً .. دعونا نتقاتل معاً .. وهكذا نصبح أصدقاء مرة أخرى .. » .

حرب الصداقة

يا لها من دعوة للصداقة .. وينتظم الجمع كل اثنين معاً .. ضيف ومضيف .. في الساحة الدائرية للقرية وكل واحد منهما يقدم صدره للآخر ليبدأ الضرب .. وتنهال اللكمات على الصدور .. لكمة هنا .. وأخرى هناك ويعلو الهتاف والتشجيع .. وتلتهب الصدور وتبرز الكدمات في الضلوع .. وينسحب بعض المحاربين وقد أضناهم التعب .. ولا يبقى في الساحة إلا مقاتلي « الويتيري » الذين تأبى عليهم سمعتهم الانسحاب . ويطول القتال أو يقصر .. لكنه في النهاية ينتهي ولا يبقى أثر لغضب الرجال .. فقد أزالته اللكمات ، ولم يبق منه إلا صدور منتفخة ، وقبضات تئن عظامها .. ويتعانق الخصوم ويقسمون على استمرار الصداقة إلى الأبد .. ويبدأ الضيوف في مغادرة القرية متجهين إلى قريتهم محملين بما استبدلوه من تجارتهم وبالهدايا ، وكثيراً ما ينتهي الأمر على عكس ما تم التخطيط له ، إذ يقوم أحد الطرفين بخطف النساء من الطرف الآخر . وهكذا تنتهي الصداقة حتى قبل أن تبدأ .

عصر ما قبل التاريخ

يقول **الدكتور كينيث غود من قسم علم الأجناس بجامعة فلوريدا الأمريكية ..** الذي قضى أربع سنوات بين قبائل اليانومامي بأمريكا الجنوبية منذ عام ١٩٧٥ م : « إن العزلة الرهيبة التي يعيشها اليانومامي ستصبح في المستقبل القريب شيئاً من الماضي .. فسرعان ما ستصلهم الحضارة عن طريق شق الطرق في **غابات الأمازون ..** وعندها ستبدأ كتابة التاريخ في هذه الأنحاء .. » ونحن نقول .. إن هذه المجموعة من البشر ما زالت تعيش في غياهب المجهول .. وما زالت تمارس شريعة الغاب .. وإن تمت كتابة التاريخ في هذا الجزء غير المكتشف من العالم .. فإنه لن يتعدى كونه أكثر من تاريخ أسود بلون الطلاء الذي يدهنون به أجسادهم للحرب .

نقل التكنولوجيا والتنمية وجدواهما

بقلم: د. هشام مهروسة

قبل التوغل في الموضوع كان علينا أن نوضح بعض المفاهيم الواردة للتكنولوجيا التي جاء بها المفكرون الاجتماعيون والاقتصاديون حيث يبدو أن تعريف التكنولوجيا كان موضوع جدل ولا زال، لأنها بحكم طبيعتها وآثارها السلبية والإيجابية كثيراً ما تحمله من تعاريفها موقفاً سياسياً أو اجتماعياً معيناً، ولعل من أكثر التعاريف شيوعاً أن التكنولوجيا «هي معرفة الوسيلة في حين أن العلم هو معرفة العلة». وتعددت المفاهيم والتعاريف للتكنولوجيا وتركزت حول وجهة النظر التقنية والاقتصادية، فمن الناحية الفنية نجد أن مفهوم التكنولوجيا هو عبارة عن التطبيق العلمي للاكتشافات والاختراعات العلمية المختلفة التي يتم التوصل إليها من خلال البحث العلمي، ومن الوجهة الاقتصادية فإن مفهوم التكنولوجيا هي عبارة عن تطوير العملية الإنتاجية والأساليب المستخدمة فيها بما يحقق خفض تكاليف الإنتاج أو تطوير الأسلوب، وهناك بعض التعاريف لعدة باحثين واقتصاديين واجتماعيين نسرد بعضاً منها.

قال الباحث الهندي (ايتمار إيم) إن التكنولوجيا هي معرفة الوسيلة، والعلم معرفة العلة، فالعلم ينتج المعرفة أما التكنولوجيا فتساعد على إنتاج الثورة. وهذا **الدكتور حسن عباس** يُعرِّف التكنولوجيا على أنها عبارة عن أفكار تتعلق بتطبيقات علمية في مجال الصناعة ويترتب عليها تقدم واضح في مستوى الفن الصناعي، وذلك بالقياس إلى الحالة السابقة لاكتشاف الفكرة، وهذا تعريف آخر على أنها التطبيق العملي للاكتشافات والاختراعات العلمية المختلفة التي يتم التوصل إليها من خلال البحث العلمي، وهناك من عرفها أنها عبارة عن مجموعة المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية، والإدارية التي يستخدمها الإنسان في أداء عمل ووظيفة معينة في مجال حياته اليومية لإشباع حاجته المادية.

التكنولوجيا وعملية التنمية

يثير موضوع العلم والتكنولوجيا اهتماماً متزايداً ومتعاظماً لدى الأوساط السياسية والعلمية، خاصة في ظروف التنمية الاقتصادية باعتبارها القوى المحركة للتقدم الاقتصادي والتطور الحضاري في خضم التطورات العلمية والتكنولوجيا، نجد عملية التنمية المحرك لمجمل قطاعات الاقتصاد الوطني، ويحتل العلم والتكنولوجيا المكانة الأولى والرئيسية باعتبارها المحرك الأساسي لتسريع هذه العملية، ودفع عجلة تطورها إلى الأمام، الأمر الذي يجعل تبني العلم والتكنولوجيا وما يتبعه ويترتب عليه من طرق إنتاجية وأساليب ووسائل عملية ومعارف فنية، وتطبيقية لحل المعضلات التي تثور خلال مسيرة التنمية أمراً بالغ الأهمية بالنسبة **للبلدان النامية**. فحاجات المجتمع المتطورة والمتنامية باستمرار على الصعيدين الكمي والنوعي يستطيع البحث العلمي والتكنولوجي أن يساهم مساهمة كبيرة وفعالة في تلبيتها وسد قسم كبير منها بسبب تأثيره في الإنتاج، وكونه الشرط الأول لزيادة إنتاج السلع والخدمات النافعة للبشر.

تمر الأقطار النامية في الوقت الحاضر بفترة هامة وحاسمة في تاريخها، وإزاء ذلك تشتد ضرورة استخدام التكنولوجيا، وبصورة خاصة التي تلائم ظروف الأقطار النامية كوسيلة لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق التنمية المنشودة.

نقل التكنولوجيا والتنمية وجدواها

إن ضرورة اهتمام الأقطار النامية في استخدام التكنولوجيا كإحدى الوسائل الأساسية في التنمية الوطنية، له كل المبررات لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار نتائج الأبحاث والدراسات العلمية التي أجريت حول معرفة التأثير العلمي والتكنولوجي في التطور الاقتصادي ومساهمة التقدم التكنولوجي في زيادة إنتاجية العمل.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن تقدم التكنولوجيا يساهم بنسبة تتراوح ما بين ٨٠ إلى ٩٠٪ في زيادة إنتاجية العمل. نستنتج من ذلك أن التقدم التكنولوجي قد أثر على إنتاجية العمل، وأولت الدول المتقدمة الاهتمام البالغ لهذه المسألة فنجد **أن ما ينفق في المتوسط ما بين ٢ إلى ٣,٥٪ من الدخول القومية على البحوث العلمية والتكنولوجيا**، ونستخلص القول إن التطور العلمي والتكنولوجي أدى إلى اختراعات جديدة وذلك للتخفيض من عبء العمل الجسدي، بل تجاوز هذا حتى إلى الأدوات التي تمارس العمليات الذهنية، كذلك ساعد في تطوير وتحديث الإنتاج سواء الزراعي أو الصناعي، وإلى تقدم ملحوظ في مجال التعليم وخصوصاً الكوادر والفنيين، مما يدفعهم إلى إيجاد طرق ووسائل التنمية، وعلى هذا يتحتم على الدول النامية أن تهتم بتهيئة المستلزمات الأساسية المساعدة على ربط التقدم العلمي والتكنولوجي بالتعليم، وبذلك يصبح له خدمة للإنتاج وقوى الإنتاج، وعلى البلدان النامية أن تطور البنية التكنولوجية للاقتصاد الوطني بغية دعم وتعزيز معدلات نموّ إنتاجية العمل ورأس المال وفقاً لخطة العلم والتكنولوجيا. وتوضع البنية التكنولوجيا على عدة مؤشرات.

نقل التكنولوجيا

نقل التكنولوجيا يعني تبادل المعلومات التقنية بشكل يسهل معه تطبيقها تطبيقاً علمياً، وبصورة عامة فإن انتقال التكنولوجيا وذيوعها إنما هو عملية ثقافية واجتماعية وسياسية وليست مجرد تقليد صناعي للبلدان المتقدمة.

وتعتبر التكنولوجيا وليدة واقع وظروف اقتصادية واجتماعية معينة، فالتكنولوجيا في **الدول الصناعية** قد ارتبطت وتفاعلت مع مجمل التحولات الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي فإنها نشأت بالاستناد إلى بيئة متوازنة منحتها الدعم وأمدتها بعناصر التطور اللازمة، وعلى هذا الأساس فإن **عملية نقل التكنولوجيا ليس بوسعها أن توفر العلاج النهائي والشافي لمشكلات البلدان النامية ما لم تقترن بسياسة تنموية واضحة المعالم ومحددة الأهداف يتم من خلالها تهيئة المستلزمات الأساسية التي تمكن من ممارسة عمليات الاستيعاب والتكييف والتطوير، وهذا يعني إجراء التعديلات اللازمة على التكنولوجيا المستوردة بذلك الشكل الذي يجعلها أكثر انسجاماً وتفاعلاً مع ظروف وحاجات البلد، ويتحقق ذلك بشكل أساسي من خلال إحداث فرص متلائمة للعناصر التكنولوجية المستوردة والعناصر المنتجة محلياً.**

إن نقل التكنولوجيا لا يَعدو أن يكون عاملاً مساعداً لا يمكن أن يؤدي دوره إلا في ظل شروط معينة. وهذا يعني أن الاقتصار على مجرد نقل استعمال التكنولوجيا لا يمثل سوى نقل واستعمال قدرة إنتاجية معينة. في حين أن النقل الحقيقي للتكنولوجيا يتعدى حدود هذه العملية إلى محاولة امتلاك التكنولوجيا من خلال التأثير في العناصر المكونة لها. وبعبارة أخرى عدم الاقتصار على استقبال واستعمال التكنولوجيا، وإنما محاولة التعرف على مكوناتها وأجزائها ومتطلباتها الفنية والسعي إلى إدخال عنصر المساهمة الوطنية لتكييف وتطوير التكنولوجيا وفقاً لموارد يمكن أن تقسم إلى نوعين:

١ ــ العمليات الأفقية لنقل التكنولوجيا التي تتمثل:

ــ في نشاطات البحث والتطوير اللازمة لتكييف وتطوير التكنولوجيا المستوردة إضافة.

ــ في النقل المكاني للتكنولوجيا، أي نقلها من بلد إلى بلد آخر ولا سيما فيما يتعلق باستيرادها من الخارج.

٢ ــ العمليات العمودية لنقل التكنولوجيا، التي تتمثل في نشاطات البحث والتطوير اللازم لتكييف وتطوير التكنولوجيا المستوردة، إضافة إلى النشاطات المتعلقة بابتكار وتوليد أنماط جديدة للتكنولوجيا الوطنية، والملاحظ أن النوع الأول من النقل التكنولوجي هو السائد في أنحاء العالم والبلدان النامية بالأخص، في حين أن النوع الثاني يجري في حدود ضيقة جداً، وهذا خطأ كبير وقعت فيه **الدول النامية**.

ويمكن القول إن المشكلة الأساسية التي تواجه البلدان النامية في مجال نقل التكنولوجيا هي القصور في عمليات توطين وتطوير التكنولوجيا وبالتالي فإن هذه البلدان تعتمد في كثير من الأحيان على النقل الجاهز للصفقات التكنولوجية دون مراعاة لمدى قدرتها على الاستيعاب والتطوير. وبالإضافة إلى هذا الجانب هناك جانب آخر هو تجاهل مصادر التكنولوجيا الوطنية مما يفضي إلى جعل عملية نقل التكنولوجيا تأخذ بعداً ضيقاً ينحصر في شراء الآلات والمعدات واستعمال القدرات الإنتاجية المنقولة بشكل يؤدي إلى زيادة الاعتماد على الدول الصناعية المتقدمة وتعميق التبعية التكنولوجية لهذه الدول.

وبذلك فإن التعامل مع نقل التكنولوجيا لا بد أن يستند بالأساس على تطوير القدرات الذاتية من كوادر علمية وتقنية ومؤسسات وهياكل ارتكازية بغية توطين التكنولوجيا بما

يتلاءم والظروف الاقتصادية والاجتماعية ويلبي الحاجات الأساسية للمجتمع .

ويجب علينا أن نضع نصب أعيننا عندما نتحدث عن التكنولوجيا أو التقدم العلمي ثلاثة ميادين :

١ ـ أن نعد أنفسنا للتعامل مع التكنولوجيا والعلم ونستوعبها بشكل جيد ، ولذلك لا بد أن نهتم بمراكز البحوث والتطوير وإعداد الكوادر الوطنية ، ولا بد من الاهتمام بآخر منجزات العلم والتكنولوجيا .

٢ ـ تكييف التكنولوجيا وطنياً وتكييف اتجاهات استخدام العلم ، فلا يجب أن نأخذ كل مبتكرات العلم والتكنولوجيا ونضعها في الاستخدام دون أن نأخذ بعين الاعتبار ظروفنا الاقتصادية والاجتماعية .

٣ ـ يجب أن نضع التصنيع بطريقتنا الخاصة وبما يلائم أهدافنا وطموحاتنا وظروفنا الذاتية والموضوعية ، وهذا لا يعني أن نغلق على أنفسنا باباً من حديد ، ونسُد كل نوافذ العلم والمعرفة ، التي يمكن الاستفادة منها من الخارج ، ولا نصنع إلا ما يمكن صناعته وبما يتلاءم مع إمكاناتنا ، ولا نشتري إلا ما لا يمكن صنعه محلياً .

الشركات المتعددة الجنسية والاحتكار

إن الحقائق تشير إلى أن احتكار التكنولوجيا من جانب الشركات المتعددة الجنسية لا يعني فقط تجميع رؤوس الأموال للشركات الأم في مختلف الدول الرأسمالية المتقدمة بل تأخذ شكل امتداد النشاطات المختلفة لكل مجموعة احتكارية خارج الحدود القومية لها لتُوجد بذلك شبكة ضخمة وواسعة من المصانع والوحدات التابعة لتغطية القارات الخمس .

ومن هنا ، فبالنسبة للاحتكارات الأميركية النفطية ، فقد بلغ عدد الفروع والشركات التابعة لها في البلدان النامية ٩٩ شركة وذلك عام ١٩٣٩ م ، منها ٦٨ شركة في أميركا اللاتينية ، وقد ارتفع هذا العدد إلى ٢٢٦ شركة عام ١٩٥٧ م ، ثم تضاعف هذا العدد ليصل إلى ٥٢٨ شركة عام ١٩٦٧ م .

وقد قدرت إحدى الدراسات التي أعدتها الأمم المتحدة عن الشركات المتعددة الجنسيات وإنتاجها الضخم الناتج عن احتكارها للتكنولوجيا بما يلي :

إن قيمة الإنتاج الدولي لها في عام ١٩٧١ م ، كان حوالي ٣٣٠ بليون دولار ، في حين بلغت قيمة صادرات العالم الرأسمالي عن نفس السنة حوالي ٣١٢ بليون دولار ، أي أن قيمة الإنتاج الدولي للفروع والشركات التابعة للشركات المتعددة الجنسيات قد فاقت وتجاوزت قيمة الصادرات الإجمالية للعالم الرأسمالي في بداية السبعينات .

في عام ١٩٧٤ م ، كانت عشرون شركة احتكارية متعددة الجنسيات تسيطر على حصة تبلغ ٥٨,٥ ٪ من **إنتاج الصلب** في العالم الرأسمالي الذي بلغ ٤٨٧ مليون طن خلال العام المذكور ، في حين كان إنتاج هذه الشركات حوالي ٢٧٩,٣ مليون طن . وقد احتلت المركز الأول بين الشركات المنتجة **شركة نيبون سيتزارا اليابانيّة** حيث بلغ إنتاجها ما يقرب من ٣٨,٥ مليون أي بنسبة ٨٪ من إجمالي الإنتاج العالمي وتليها **شركة الصلب الأميركية** التي تنتج حوالي ٣٠,٨ مليون طن بنسبة ٦,٣ ٪ تليها **شركة الصلب البريطانية** بنسبة ٤ ٪ .

أما في مجال المعدات الكهربائية ، فقد بلغت المبيعات الإجمالية **لشركة جنرال متور إلكتريك** في عام ١٩٧٥ م ، ما قيمته ١٣ بليون دولار ، وجاءت في المركز الأول بين أكبر الشركات العشر المرتبة تنازلياً طبقاً لرقم المبيعات ، في حين احتلت **الشركة الدولية للبرق والهاتف** ، أي في المركز الثاني ، بمبيعات إجمالية مقدارها ١١,٤ بليون دولار ، واحتلت **المجموعة الاحتكارية الهولندية الضخمة فيلبس** المركز الثالث ، في حين احتلت **المجموعة الألمانية المتعددة الجنسيات سيمنس** المركز الرابع ، وكانت حصة الشركات الأميركية البالغ عددها خمس شركات حوالي ٥٨ ٪ من المبيعات الإجمالية .

وإن تطور الإدماج والتركز قد أخذ أبعاداً وأشكالا جديدة هيأت بالإضافة إلى الامكانات الضخمة من الموارد الاقتصادية والبشرية والمالية القدرات التكنولوجية المدونة الكافية لمواجهة كافة الظروف المحتملة أكثر مما يتوافر في أي من الاتحادات الجمركية والأسواق المشتركة التي تهدف إلى تحقيق التكامل الاقتصادي على نطاق إقليمي .

الشركات المتعددة الجنسيات ونقل التكنولوجيا

لقد كثرت الاستخدامات التي طُوعت من أجل خدمة التوسع الخارجي للسيطرة على اقتصاديات الدول النامية ، ولقد كان تصدير التكنولوجيا أحد هذه المظاهر والاستخدامات حيث شاهدت السنوات الأخيرة تطوراً سريعاً وزيادة كبيرة في المبادلات التجارية للمنتجات العلمية والتكنولوجية ، أو ما يمكن أن نطلق عليه : **التجارة الدولية في التكنولوجيا ،** ولا يعني ذلك بالطبع أن تصدير التكنولوجيا بواسطة أو من جانب الدول الرأسمالية المتقدمة مسألة جديدة ، فقد امتاز التصدير تاريخياً بتصدير رأس المال الخاص من الدول الرأسمالية إلى البلدان النامية خلال مراحل التوسع الاستعماري بهدف تنمية وتطوير استخراج المعادن والخامات الأولية في المستعمرات .

ولكن الجديد في ذلك هو التغير الكمي والنوعي في التكنولوجيا والأشكال والطرق المختلفة في تبادلها .

وقد كانت إيرادات الشركات الأميركية من تصدير التكنولوجيا حوالي ١٠٦٠ مليون دولار ، وتُحقق هذه الشركات الأرباح الطائلة سواء على نطاقِ البلدان الرأسمالية المتقدمة أو على نطاق البلدان النامية ، **وقد بلغ إجمالي الأرباح الناتجة عن تصدير التكنولوجيا أو نقلها للدول النامية حوالي ٦٥٠ مليون دولار عام ١٩٦٠ م ،** وارتفعت تلك الأرباح إلى ١٢٥٦ مليون دولار في عام ١٩٧٢ م .

ومن المؤشرات التي تُبرز احتكار

التكنولوجيا من جانب الشركات المتعددة الجنسيات وفرض سيطرتها على البلدان النامية، أن العقود المبرمة لاستيراد التكنولوجيا للشيلي عام ١٩٧١ م، كان حوالي نصفها (العقود) للشركات الأميريكية وأن نسبة ٤٥٪ من بقيّة العقود مع الشركات الأوروبية، ومن ذلك نستخلص ما يلي:

١ ـ تركز المعرفة والخبرات التكنولوجيا في يد المجموعات الاحتكارية المتعددة الجنسيات للبلدان الرأسمالية المتقدمة التي تقوم باستخدامها بما يتماشى واستراتيجيتها في تقسيم وتوزيع الأسواق العالمية، وبما يحقق الأرباح.

٢ ـ يؤدي هذا التركز إلى السيطرة الاحتكارية على السوق، ومن ثم على التجارة الدولية للتكنولوجيا بواسطة عدد محدود جداً من البلدان الرأسمالية المتقدمة.

٣ ـ نتيجة للتركز والاحتكار في السوق التكنولوجية فإن عقود واتفاقيات تبادل التكنولوجيا تخضع بصفة أساسية لقوة المساومة بين الطرفين المتعاقدين، وفي هذا الصدد نشير إلى أن تبادل التكنولوجيا بين البلدان الرأسمالية المتقدمة يتم في اتجاهين حيث تكون مصدرة ومستوردة في نفس الوقت، أما بالنسبة للدول النامية نجد أن انتقال التكنولوجيا يتم في اتجاه واحد فقط، حيث تقوم باستيراد التكنولوجيا في حالة وجود بعض الحالات القليلة لتصدير التكنولوجيا في بلدان العالم الثالث، فإن ذلك يرجع في الغالب إلى نشاطات الفروع والشركات التابعة للمجموعات المتعددة الجنسية في البلدان النامية، وبذلك يتضح مدى ضعف الدول النامية في السوق التكنولوجية التقنية، ومن مظاهر احتكار الشركات المتعددة الجنسيات سيطرتها على إجمالي استيرادات الدول النامية من المنتجات المصنوعة وشبه المصنوعة التي تتكون من الآلات والمعدات ووسائل النقل والمنتجات الكيماوية والحديد والصلب، وكذلك المنتجات الغذائية، كما أنها تقوم بدور هام وأساسي في الاستيرادات ما بين الأقطار النامية.

نقل التكنولوجيا والتنمية وجدواهما

ولا شك أن نشاطات الشركات المتعددة الجنسيات واحتكارها التام للتكنولوجيا الحديثة وصعوبة تصديرها للعالم الثالث خلال السنوات الأخيرة قد ساهم بشكل فعال في زيادة الفقر والبطالة والتوزيع غير المتكافئ للدخول والثروات في العالم الثالث.

وقد صدرت دراسة عن مكتب العمل الدولي يوضح فيها أن فرص العمل التي أوجدتها الشركات المتعددة الجنسيات في عام ١٩٧٠ م، كانت حوالي ١٣ مليون إلى ١٤ مليون فرصة عمل في البلدان النامية، وإذا ما أجرينا مقارنة بين هذا الرقم وإجمالي قوة العمل في العالم الثالث لاتضح أنه يمثل نسبة ضئيلة.

واحتكار التكنولوجيا للشركات المتعددة الجنسيات، يظهر في الصناعات الاستراتيجية، والصناعات التحويلية، والصناعات الثقيلة والخفيفة.

نقاط عملية لنقل التكنولوجيا

إن النقاط العملية والإجراءات التي تحقق النقل السليم والتكييف والتطوير السريع في مجال نقل التكنولوجيا يستلزم دراسة النقاط التالية:

١ ـ رسم سياسة تخطيطية عامة لنقل التكنولوجيا، ويراعى فيها أن ترتبط النشاطات العلمية والتكنولوجية مع الأهداف المرسومة والمقررة للخطة وأن يركز الاهتمام على تنمية القدرات التكنولوجية القائمة فعلاً.

٢ ـ ضرورة التأكيد على قيام رابطة قوية بين الأجهزة العلمية المتخصصة وبين الوحدات الإنتاجية وأن يركز الاهتمام على المشاكل القائمة فعلاً والاحتياجات الخاصة بالإنتاج.

٣ ـ إنشاء جهاز للمعلومات التكنولوجية يتولى تجميع وتحليل وترجمة ونشر هذه المعلومات وزيادة الاهتمام بها.

٤ ـ دعم ورعاية العلماء والتكنولوجيين والخبراء.

٥ ـ العناية بالتدريب والبحوث وخاصة التطبيقية منها والاستفادة القصوى من مراكز البحوث القائمة والجامعات والمعاهد الفنية ومواقع الإنتاج والحقول.

٦ ـ تشجيع الاتجاهات التي تؤدي إلى إيجاد البيئة الصالحة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي والاستخدام السريع لنتائجها وطنياً.

٧ ـ الاهتمام بالتصنيع الجزئي والتدريبي للمواد والأجهزة التي تساهم في التطوير العلمي والتكنولوجي بدلا من سلوك الدروب السهلة دائماً لاستيراد الأجهزة والآلات والمعدات الجاهزة من الدول المتقدمة، أي طريق شراء التكنولوجيا.

٨ ـ إيجاد المناخ الملائم لبعث روح الابتكار والاختراع.

٩ ـ تشجيع الاتجاهات التي تؤدي إلى زيادة نسبة اعتماد مشاريع الخطة عن طريق أسلوب التنفيذ المباشر.

١٠ ـ الاهتمام بإعداد المدربين الذين سيعملون في مراكز التدريب من ناحية الكيف وتنوع الاختصاصات.

١١ ـ توسيع مجال الرعاية العلمية في مختلف المجالات لا سيا في نطاق المراسلات الإنتاجية وتقديم المنح والمكافآت للأعمال الجديدة.



القضية الأفغانية

من أين.. وإلى أين؟

بقلم: صلاح الدين حافظ



ثمة تواريخ هامة في مسيرة الشعب الأفغاني المسلم الشقيق، حفرت لنفسها مكانا بارزا في سجلات الكفاح عبر أكثر من ألف عام.. خاض خلالها هذا الشعب حروبا ومعارك طاحنة دفاعا عن إسلامه الراسخ، وعن وطنه الحصين، في بيئة جبلية بالغة الوعورة.. لكننا نستطيع أن نرصد تاريخين هامين، في المسيرة المعاصرة للشعب الشهير بميزتين أساسيتين هما: عقيدته الدينية الراسخة، وروحه الوطنية الثابتة.

●● التاريخ الأول: أبريل (نيسان) ١٩٧٨م، عندما نجح الحزب الماركسي الأفغاني – حزب الشعب الديمقراطي بجناحيه خلق وبرجام – في قلب نظام الحكم الجمهوري برئاسة الجنرال محمد داود.

●● التاريخ الثاني: ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩م، عندما تدفقت الجيوش السوفيتية بكثافة هائلة عبر الحدود.. برا وجوا، إلى الأراضي الأفغانية، لتحمي نظام الحكم الماركسي في كابول، ولتدعم بالتالي القبضة السوفيتية على هذه الدولة غير المنحازة، المالكة لموقع استراتيجي حاكم ومؤثر، المتحكمة في المعبر الاستراتيجي التاريخي بين غرب آسيا وشرقها..

القضية الأفغانية

من أين .. وإلى أين ؟

مضى الآن خمسة أعوام على بقاء الماركسيين في حكم أفغانستان ... مثلما مضى نحو ثلاثة أعوام ونصف العام على اكتساح الجيش السوفيتي الغازي لهذه البلاد المسلمة ... وخلال تلك الفترة عاد رجال القبائل الجبليون المحاربون القدماء المشهورون بالشجاعة والإقدام ، يرفعون السلاح ، ربما للمرة المليون خلال ألفي عام متتالية ، في وجه قوات احتلال أجنبية .

○ ○ ○

وسائل وحلول

وفي ظل هذه الظروف بالذات : وقع على الساحة حدثان سياسيان هامان ، ترافقا مع تصاعد العمليات العسكرية للمجاهدين الأفغان :

★★ **الحدث الأول** : هو ما أكدته **واشنطن** من أنها تجري اتصالات سياسية ، من وراء الستار ، مع **موسكو** ، حول تسوية شاملة للأزمة الأفغانية .

★★ **الحدث الثاني** : هو استئناف **مفاوضات جنيف** التي تجري تحت رعاية **الأمم المتحدة** ، بين وفدين باكستاني وأفغاني ، بحثاً عن إيجاد مخرج للأزمة الأفغانية أيضاً .

ومن الواضح أن ثمة ترابطاً أساسياً ، بين الحدثين ... إذ إن الأطراف المشتركة فيهما ، سواء كانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، أو كانت باكستان وحكومة أفغانستان ، وهي أطراف رئيسية في الصراع ... رغم أن طرفاً رئيسياً هاماً لا يزال غائباً عن هذه الأحداث ، ونعني التمثيل المباشر للمجاهدين .

وإذا ما كانت علامات التفاؤل ، تبدو واضحة على البعض ، بقرب حل الأزمة الأفغانية استناداً على احتمالات نجاح مفاوضات جنيف من ناحية ، والاتصالات السوفيتية الأمريكية من ناحية أخرى ، إلا أننا نرى أن الأمر أشق من ذلك وأكثر تعقيداً ...

إذ إن دخول السوفيت إلى أفغانستان ، قد تم في ظل ثقل عسكري كثيف ... يصعب إخراجه في المنظور القريب ... هذه واحدة ، أما الثانية فإن **جوهر حل المشكلة الأفغانية ، أصبح يرتكز على تحقيق أربع خطوات رئيسية هي :**

(١) عودة جميع اللاجئين الأفغان إلى بلادهم ، ويقدر عددهم الحالي في باكستان وحدها بنحو ٢,٧ مليون لاجئ .

(٢) تهيئة جو سياسي ديمقراطي في أفغانستان يساعد على المصالحة الوطنية بين القوى المتصارعة .

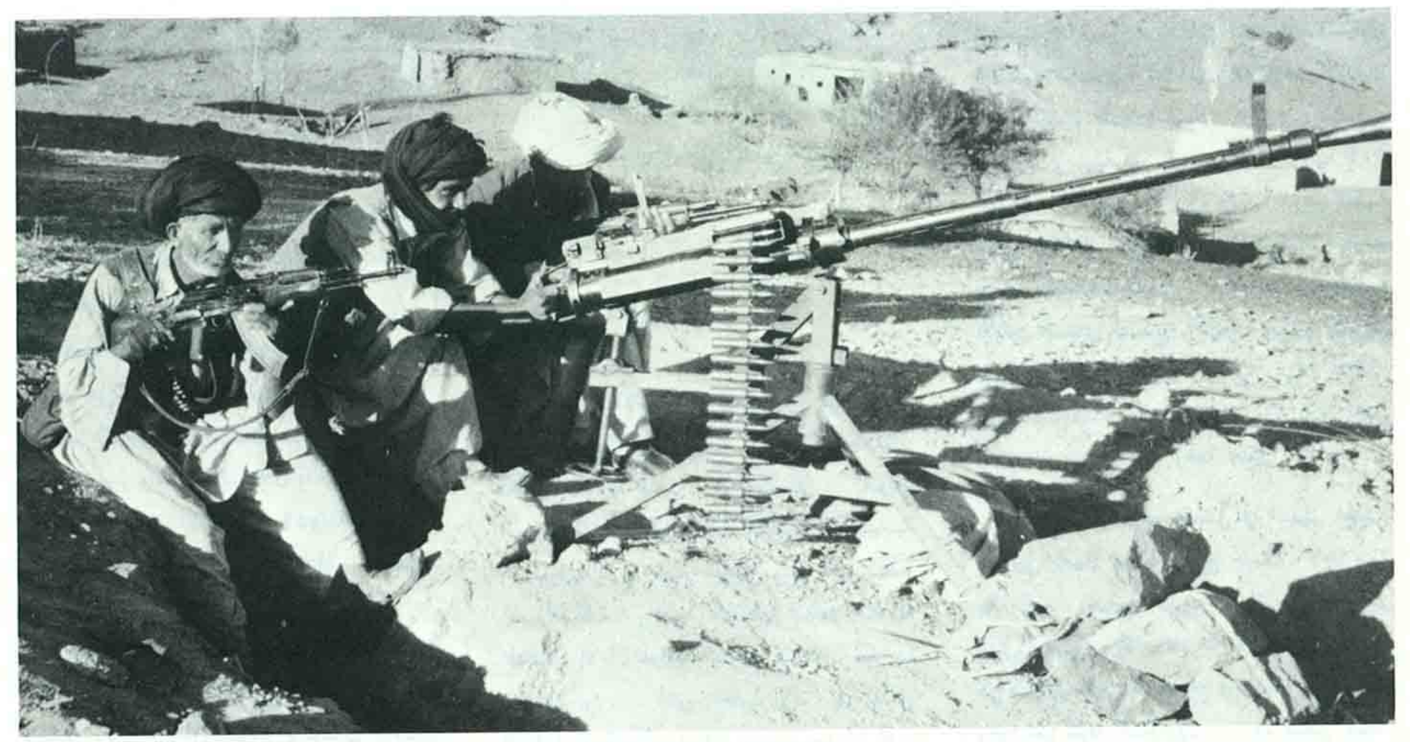
(٣) الاتفاق بين باكستان وأفغانستان على ضمانات بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي منهما .

(٤) انسحاب جميع القوات الأجنبية من أفغانستان ... وهذا يعني انسحاب أكثر من مائة ألف جندي سوفيتي .

وأمام هذه المعطيات الواضحة المعالم ،

★ المجاهدون الأفغان .. إصرار على الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد ★





★ في مواجهة العدو بإصرار وعزيمة ★

الشديدة التعقيد في وقت واحد ... يصعب الحديث بالتفصيل عن إمكانية عاجلة لتحقيق تسوية عادلة شاملة للأزمة الأفغانية ... وفي نفس الوقت وبنفس الدرجة يصعب الحديث عن إمكانية حل عسكري يفرض سيطرة أحد طرفي الصراع – سواء كانت قوات المجاهدين، أو كانت القوات الحكومية الأفغانية والسوفيتية – على الطرف الآخر ...

★ أطفال ونساء وعجزة مشردون نتيجة الغزو السوفييتي الغاشم ★

إننا نعتقد أن الأزمة الأفغانية لا زالت تخوض المرحلة السابقة على «الإنضاج» الذي يقود بالضرورة إلى التسوية الشاملة.

ولا يمكننا الحديث عن تسوية سياسية للأزمة الأفغانية، دون تحديد الأطراف المعنية ... وهي ببساطة شديدة تنقسم إلى نوعين:

** أطراف مباشرة مثل أفغانستان حكومة ومعارضة، والاتحاد السوفيتي الذي دفع بجيوشه في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩ م، عبر الحدود إلى الأرض الأفغانية، ثم باكستان التي فرضت عليها الأوضاع الجغرافية أن تحمل عبء لجوء عشر الشعب الأفغاني إلى أراضيها، ومن ثم أصبحت مهتمة بالتسوية تخلصاً من هذا العبء السياسي والاقتصادي، الذي قد يجر عليها أعباء عسكرية معقدة!!

** ثم هناك أطراف غير مباشرة، لكنها متداخلة في الأزمة الأفغانية، مثل **الولايات المتحدة الأميركية والهند والصين والعالم الإسلامي** ... على أن الأزمة الحادة هذه قد نسجت خيوطاً متداخلة كثيرة ربطت بين كل هذه الأطراف المباشرة وغير المباشرة، نظراً لتداخل أو تضارب المصالح والأهداف.

الاتحاد السوفيتي

وإذا بدأنا بالاتحاد السوفيتي – كطرف

القضية الأفغانية
من أين.. وإلى أين؟

في الأزمة، خاصة بعد تدخله العسكري لحماية النظام اليساري بزعامة بابراك كارميل ـ فإننا نستطيع القول إن ثمة عاملين أساسيين، قام عليهما الخط الاستراتيجي للسوفيت تجاه أفغانستان التي تجاورهم بحدود تصل إلى ١٦٠٠ كيلومتر.

** **الخط الاستراتيجي الأول**، هو ذلك القائم على العلاقات القديمة بين أفغانستان والاتحاد السوفيتي التي كانت مبنية على التفاهم وحسن الجوار واحترام الاستقلال والحياد الأفغاني، **باعتبار الأرض الأفغانية «دولة عازلة» بين الحدود السوفيتية ومناطق النفوذ الغربي.**

ومنذ **الثورة البولشفية في روسيا** ـ ١٩١٧ م ـ تميزت العلاقات بين الدولتين بالود والتعاون... حتى إن **الشاه الأفغاني «أمان الله» كان أول زعيم أجنبي يزور موسكو بعد الثورة الشيوعية**، حيث جاء إليها مهنئاً ومفتتحاً عهداً جديداً من الصداقة بين البلدين، وسرعان ما ترجم ذلك بتوقيع أول معاهدة بينهما، بينما جاءت المعاهدة الثانية بعد ذلك بأقل من ستين عاماً، في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٨ م، في أعقاب استيلاء الماركسيين على السلطة في كابول.

وفيما بين المعاهدتين شهدت أفغانستان ثلاثة أنواع من نظم الحكم: النظام الملكي، ثم النظام الجمهوري العسكري بزعامة **محمد داود** الذي كان الأمريكيون يسمونه الرئيس الأحمر!! وأخيراً النظام الماركسي.. وتحت كل هذه النظم، كان الوجود والنفوذ السوفيتي ملحوظاً ومتزايداً في أفغانستان، عبر المساعدات الاقتصادية والعسكرية والفنية، وعبر القروض والمستشارين والخبراء في كل فرع من فروع النشاط، ثم عبر البناء الأيديولوجي للماركسية تحت غطاء التنظيمات الشيوعية الأفغانية، وهو البناء الذي وجد مقاومة دينية من شعب متحفّظ ومتديّن وقَبَلي، وإن صادف قبولا اجتماعياً بسبب التخلف والضغوط الاقتصادية الناتجة عن فساد النظم الحاكمة.

وعبر كل هذه السنوات، تحولت أفغانستان ـ السمكة الصغيرة ـ إلى «مجال حيوي» للسوفيت، يقيمون من خلالها «حائط صد ودفاع» ضد أي تهديد أجنبي لظهر الاتحاد السوفيتي، خاصة عبر **الجمهوريات الإسلامية السوفيتية** التي تنتشر على حدود أفغانستان وإيران... أي أن أفغانستان دخلت منذ فترة طويلة، في مجال الأمن القومي السوفيتي، تتأثر سلباً وإيجاباً بالاتجاهات السياسية السوفيتية، في مواجهاتها مع السياسة الأوروأمريكية، ورغم احتفاظها بمظهر الدولة المحايدة، إلا أن الوجود السوفيتي فيها كان متزايداً يوماً بعد يوم... الشيء الجديد الآن، هو تدخل السوفيت عسكرياً فيها بثقل شديد، بعد أن أعد المسرح جيداً وأصبحت المؤسسات الاقتصادية والعسكرية خاصة، تحت سيطرة المستشارين السوفيت، الذين تدفقوا على البلاد في ظل **الملك ظاهر شاه ثم الرئيس داود** أساساً، مهندس العلاقات السوفيتية الأفغانية المبنية على قواعد اقتصادية وعسكرية.

وفوق هذه الأرضية التي أرسيت أسسها عبر الخمسين عاماً الماضية، تمكن حزب الشعب الديمقراطي الماركسي (بجناحيه خلق وبرشام)[1] من السيطرة على الحكم في عام ١٩٧٨ م، ثم تداعت الأحداث التي سرعان ما جرّت الجيش السوفيتي إلى الحرب في الجبال الأفغانية الوعرة، دفاعاً عن النظام الماركسي في كابول... ومن ثم يصبح من الصعب تصور انسحاب الجيش السوفيتي من أفغانستان دون تأمين هذا النظام الحليف والمحافظة على استمراره بشكل من الأشكال... مثلما يصبح من الأصعب تصور الانسحاب السوفيتي، تحت وطأة اشتداد مقاومة المجاهدين، إذ إنه ليس متصوراً أن يترك الاتحاد السوفيتي ماء وجهه يراق علناً على أيدي «هؤلاء» المجاهدين!!

وسواء، تدخّل الجيش السوفيتي، بدعوة من النظام الحاكم، أو وَجّهَ الدعوة لنفسه وقَبِلَها على عجل، فإن أمراً واقعاً بكل المقاييس السياسية والعسكرية، قد حدث، وهو انضواء أفغانستان المحايدة، تحت الغطاء العسكري والسياسي السوفيتي، برغم تصاعد موجة الاعتراض والاحتجاج الدولي، الذي تمثل في قراري **الجمعية العمومية للأمم المتحدة**؛ الأول في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٠ م، بسحب الجيوش الأجنبية من أفغانستان، بأغلبية ١٠٤ أصوات، ثم القرار الثاني في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٠ م، بأغلبية ١١١ صوتاً، وبرغم تصاعد المقاومة المسلحة من جانب المجاهدين الأفغان محدودي التسليح والتمويل، وبالتالي محدودي القدرة العسكرية، على إجبار جيش دولة عظمى على الانسحاب، فإن الاتحاد السوفيتي قد دخل أفغانستان وفرض أمراً واقعاً جديداً...

هذا الأمر الواقع المتمثل في تدفق الجيش السوفيتي بأعداد هائلة وتسليح حديث، لأول مرة بهذا الثقل، خارج حدوده إلى أفغانستان، هو الذي أقلق أمريكا والغرب الأوروبي، فمضى كل منهما في طريق الاحتجاج ورد الفعل الذي جاء رخواً كما توقع الكثيرون... ولم يكن هذا الاحتجاج دفاعاً عن حياد أفغانستان، أو خوفاً على الإسلام، بقدر ما كان انزعاجاً من روح التحدي السوفيتي الجديدة، التي تسلحت بشدة، وانتقلت من مرحلة نشر نفوذها بالفكر والأيديولوجية، إلى مرحلة بسط النفوذ حتى بالقوة العسكرية، الأمر الذي جعل الغرب يسميها بمرحلة السياسة العدوانية السوفيتية، المهددة لمصالحه وأمنه.. وهنا يبدأ الخط الاستراتيجي الثاني للسوفيت تجاه الأزمة.

** **الخط الاستراتيجي الثاني** قائم على العلاقات السوفيتية ـ الأمريكية، **وسياسة توازن القوى** بين المعسكرين الاشتراكي بزعامة موسكو، والرأسمالي بزعامة واشنطن.. وهو التوازن الذي لا بد، سيفرض نفسه على أي محاولة لتسوية الأزمة الأفغانية نموذجاً لنوعية المساومة بين العملاقين الدوليين!! **ولذلك يجب النظر إلى الأزمة الأفغانية في ضوء العلاقات المركبة بين واشنطن وموسكو، وفي ضوء سباقهما الجبار لنشر النفوذ وحماية المصالح والأهداف الاستراتيجية لكل منهما.**

لقد جاء الغزو السوفيتي لأفغانستان نتيجة لتعثر سياسة الوفاق من بين القوتين العظميين خاصة في نهاية السبعينات.. وبروز تناقض المصالح والاستراتيجيات بينهما بروزاً حاداً مما يعيد إلى الأذهان عصر **الحرب الباردة**.. الأمر الذي

أفرز عناصر التشدد في العلاقات الدولية في ظل تصاعد سباق التسلح .

لقد تمكن السوفيت ، في ظل الوفاق ، من تحقيق **التفوق التسليحي** سواء التقليدي أو النووي ، بشكل وضع الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة في التاريخ في موقف حرج .. قد يستمر إلى عام ١٩٨٥ م ، عندما تبدأ واشنطن وحلفاؤها في استعادة **التكافؤ الاستراتيجي المفقود !!**

ومن ثم ساعد هذا التفوق الواضح الاتحاد السوفيتي ، الذي يفهم الوفاق على أنه ترجمة عملية لتوازن القوى ، ساعده في المضي سريعاً وقوياً في تنفيذ استراتيجيته التي ترتكز أساساً في نشر **المذهب الشيوعي** في العالم وتدعيم الكتلة الاشتراكية ، وضرب ومحاصرة النفوذ الأمريكي والغربي ، الذي طالما انفرد وحده بالهيمنة والسيطرة ، في الماضي ، ثم عاد الآن لينتشر من جديد عبر النظم الحاكمة والقواعد العسكرية والتحكم الاقتصادي ... الفارق الوحيد هو أن الاتحاد السوفيتي أصبح قوة عظمى متفوقة لها أهدافها ومصالحها واستراتيجياتها العالمية المناوئة للغرب .

لعبة شطرنج

وفي إطار هذه المجابهة السوفيتية الأمريكية ... نشهد اليوم ممارسة عملية للعبة الشطرنج على امتداد خريطة العالم ... تحكمها قواعد الاستقطاب الدولي فيما بين عملاقين يمارسان اللعبة ويضعان معاً قواعدها ... فإذا ما نجحت أمريكا في استقطاب الصين ، نجح السوفيت في استقطاب الهند الصينية عن طريق فيتنام ... وإذا ما استقطبت أمريكا باكستان ، استقطب السوفيت الهند ، وإذا ما سيطر السوفيت على أفغانستان ، شجع الغرب بولندا على الثورة والتمرد على السوفيت !!

ولذلك يأتي دخول السوفيت إلى أفغانستان ، وتمسكهم بها في إطار التسابق مع أمريكا على خريطة العالم ... عندما اجتمع **إدموند ماسكي وزير الخارجية الأمريكية السابق ، وأندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي** في نهاية عام ١٩٨٠ م ، سأل جروميكو زميله الأمريكي ... «لماذا أنتم قلقون هكذا على أفغانستان التي دخلناها بدعوة من حكومتها !!؟» .

قال ماسكي : «ما يقلقنا هو الموقع الجغرافي لأفغانستان ... الذي وضع الجيش السوفيتي في مواقع أفضل لتهديد أمريكا في مصالحها الحيوية» .

ثمة تأكيد آخر للعبة الاستقطاب فيما بين القوتين العظميين .. يبرز في سياسة التشدد الجديدة التي يظهرها **الرئيس الأمريكي ريجان** تجاه التصديق على معاهدة التسلح الاستراتيجي الثانية .... وهو تشدد يضغط به على موسكو ليكسر حدة اندفاعها في عمليات أخرى من نوع العملية الأفغانية .. ولذلك فإننا لا نستبعد اللجوء مرة أخرى إلى فرض سياسة الحصار الأمريكي حول ظهر الاتحاد السوفيتي ، بواسطة القواعد والأحلاف العسكرية ، على غرار نموذج الخمسينات ، مثلما لا نستبعد لجوء السوفيت إلى المضي قدماً في تحدي ومواجهة هذه السياسة الأمريكية لكسرها قبل أن تثبت أقدامها في الأرض ...

ساعتها تكون أفغانستان قد دخلت إلى النهاية في فلك الاتحاد السوفيتي ، وتصبح كل احتمالات التسوية ، مبنية على الشروط السوفيتية وحدها ، ذلك أن قواعد تقسيم مناطق النفوذ تكون هي الغالبة على الأرجح ، ومما يثبت هذا الاستنتاج ، **ما قاله توماس واطسون السفير الأمريكي في موسكو مع نهاية عام ١٩٨٠م .. إذ أعلن في صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية :**

«مع تجنب سياسة أحلاف الدفاع الإقليمية التي سادت الخمسينات لمحاصرة السوفيت ، فإن الحذر الأمريكي المتجدد المدعوم بالاستعداد العسكري .. يمكن أن يعوض فارق التفوق الاستراتيجي السوفيتي السائد حالياً ، تستطيع أمريكا أن ترسم خطوط النفوذ في العالم ، وربما بدأت ذلك في أفغانستان ... وإن كان من الصعب أن يوافق السوفيت على التوقف عند هذا ، فهم يعلنون إصرارهم على مساندة حروب التحرير أينما كانت ....» .

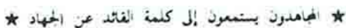
وفي هذا تعبير حقيقي عن قواعد لعبة إعادة تقسيم مناطق النفوذ ... وفي استنتاجي «الشرير» فإن أمريكا تعمدت إغضاء بصرها عن دخول السوفيت إلى أفغانستان ، حتى تتركهم يتورطون في هذه البلاد الجبلية الوعرة عليها تكون بمثابة مصيدة فيتنامية جديدة تستنزف قواهم من ناحية ، وتلوث سمعتهم بين دول العالم الثالث من ناحية أخرى كدولة عظمى ألقت بالشعارات بعيداً ودفعت بجيوشها لتغزو دولة فقيرة صغيرة لا حول لها ولا طول ... وفي هذا يتساوى الجميع !!!

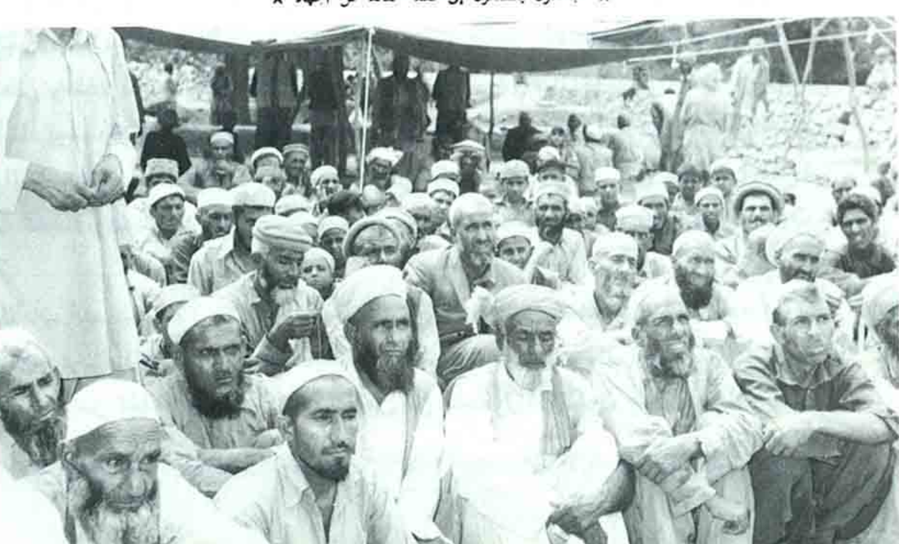
لكن ...

*** هل أغلقت كل أبواب التسوية السياسية للأزمة الأفغانية ، داخل المنظور السوفيتي الأمريكي !؟؟**

*** وما موقف الأطراف الأخرى ... وكيف يتخيل القادة الأفغان المعارضون ، إمكانية التسوية وشروطها !!! خاصة في ظل التورط العسكري السوفيتي الثقيل القائم حالياً .**

أسئلة ، ما زلنا نحاول الإجابة عليها استنتاجاً واجتهاداً .





★ المجاهدون يستمعون إلى كلمة القائد عن الجهاد ★

الهوامش

(١) خلق .. تعني الشعب ، وبرشام .. تعني الراية .



الأديب ومحـ

في قراءتي لترجمة الشاعر الأديب محمد بن عبدوس الواسطي المتوفى سنة ٦٠١هـ، مررت بالخبر التالي: «وأخبرني بدمشق ـ والراوي هنا هو أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي في كتاب «الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة» ـ أحدُ أقارب صفي الدين عبد الله بن شكر كاتب الملك الأشرف بن العادل بن أيوب: أن ابن عبدوس وصل إلى الملك الأشرف وهو حينئذ بالجزيرة في مدة أبيه، والحال ضَيِّقَة، فحضر مَجْلِسَه وأنشده قصيدة منها:

مَلِك شككْنَا أيها أعلى عُلاً	أولاه أم وُسْطاه أم أُخْرَاهُ
لما علا فوق الأنام مَحَلُّهُ	مسحت عليهم كالسحابِ يداه
أشتاق رؤيته لأني واثق	ألا أرى بؤساً متى ألقاه

فضحك الأشرف لما انتهى إلى هذا البيت وقال: ذهب البؤس يا بن عبدوس! إلا أنه نحن على ما يخفى عنك في هذا الوقت، فأيهما تختار: يسير معجل أو كثير مؤجل؟ فقال: يا خُوَنْد ـ لفظ فارسي معناه سيد أو أمير ـ إنما يصبر على المؤجل التجارُ أصحابُ رؤوس الأموال، وأما المفلسون الذين رؤوس أموالهم الأشعار مثلي وأشباهي فإنما هم أبناء يومهم! قال: صدقت! والتفت إلى الصَّفي كاتبه وقال: بحياتي عليك إلا ما أجزته عني! فقال: حباً وكرامة. وانصرف به إلى منزله، وحلف له أنه ما يملك في ذمته شيئاً يقدر على خروجه عنه والتعوُّضُ منه إلا البغلة التي يركبها، فأعطاه البغلة، وألبسه ثيابه التي كانت عليه، فجن فرحاً، وأطنب في الثناء على الملك والكاتب وقال: هذا عندي في هذا الوقت خير من عشرة آلاف دينار في وقت آخر...!».

وهذه الحكاية تفتح لنا باب الكلام على مأساة أهل الأدب عندنا في العصور الماضية، فهذه كانت حالهم في كل البلاد: سؤّال يترددون على أبواب الأمراء وأصحاب الأموال بمدائح وأشعار يطلبون بها القوت، وواحد يعطيهم وألف يردونهم دون عطاء، وتمرُّ على أولئك الأدباء فترات من الجوع والحاجة لا توصف، وأبو حيان التوحيدي ـ على جلال قدره في تاريخنا الأدبي ـ كان في أحيان كثيرة يطلب الهدمة فلا يجدها، ورغيف العيش كان يعز عليه، وديوان مهيار الديلمي، وهو من أعاظم شعرائنا، حافل بمشاهد البؤس والحاجة والسؤال بل الإلحاف فيه. ومأساة حياة المتنبي تكمن في حلمه الذي لم يتحقق أبداً في الحصول على عمل يتفق مع مركزه وما كان يراه في نفسه ويغنيه عن السؤال والمديح والتجوال.

وأنا عندما أقرأ هذه الأخبار، وهي كثيرة جداً، أشعر بالأسى لمصائر الكثيرين جداً من أعلام الأدباء في تاريخنا الأدبي، والشاعر محمد بن عبدوس الواسطي وصف نفسه وأهل الأدب جميعاً في قوله: «وأما المفلسون الذين رؤوس أموالهم الأشعار مثلي وأشباهي، فإنما هم أبناء يومهم» لأن المسكين كان يعيش من يوم ليوم، وكاتب الأمير عندما اعتذر إليه بأنه لا يملك ما يعطيه إياه إلا البغلة والثياب فرح بها، وقال إنها تعدل عنده عشرة آلاف دينار «في وقت آخر»، وهذا مفهوم، لأن المسكين لا بد قد حفيت قدماه وهو يتردد من رئيس لرئيس ومن بلد لبلد يطلب الرزق والقوت. والبغلة هنا إنقاذ له من ذلك العناء.

ولكني في نفس الوقت لا ألوم إلا أهل الأدب أنفسهم، لأن الأديب ينبغي أن يعز نفسه عن الطلب والمسألة، ولا بد أن يرفع همته عن الخلق ليحتفظ بكرامة الأديب وعزة المفكر. وفي هذه الدنيا لا يمكن أن يعيش إنسان عيشاً كريماً إلا إذا كانت له وظيفة يكسب منها رزقه ومكانة تمكن له من الحفاظ على كرامته، وليس من المعقول أن تكون حياة الشاعر كلها

ـالب العيش

تنقلاً وترددا على أبواب أصحاب الجاه والمال ، فالشعر له وظيفة أعلى بكثير من أن يكون أداة تسول ، والأديب والمفكر لا يمكن أن يحافظ على عزة نفسه إذا عاش على أفضال المحسنين .

وهؤلاء الأدباء لم يكن أمامهم إلا أحد طريقين للاستغناء عن السؤال ، الطريق الأول هو أن يجعل الأديب لنفسه بأدبه وشعره وظيفة نافعة للمجتمع لا لأهل المال فحسب ، وأبو العلاء المعرّي أعز نفسه وصان كرامته برفع الهمة عن الخلق والاكتفاء بالقليل الذي يصل إليه عن طريق التعليم دون النظر إلى الكثير الذي كان من الممكن أن يصل إليه من أيدي المحسنين ، والشاعر الفردوسي كان يعمل في خدمة الغزنويين ولكنه انتهج في الشعر منهجاً جعل له وظيفة في حياة قومه ، والشاهنامة أغنته عن الارتباط بأبواب أصحاب الجاه ، فقصده الناس في موضعه واستقل بشعره ولم يمد أحد يتفضل عليه بشيء .

والطريق الثاني هو الفصل بين الأدب ومطالب العيش ، وكل هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم بالوقوف على أبواب أصحاب الجاه كانوا يستطيعون كسب عيشهم من الإقراء والتدريس . وعلى طول تاريخنا وحتى أيام طفولتنا كان شيخ الكتّاب ومؤدب الصبية يعيش في سعة من التدريس ، وأيام كنت مُدرِّساً في المدارس الابتدائية كنت أنزل بالقرى حول البلد الذي أدرس فيه ، وأجد مشايخ الكتاتيب دائماً في سعة ، وكنت أجد قُرىً كثيرة ليس فيها إلا كتّاب واحد ، والحاجة كانت ماسة إلى خمسة أو ستة . والشيخ عبد التواب الذي حفظت على يديه القرآن الكريم في قريتي وعلمني القراءة والكتابة والحساب كان رجلاً محترماً وميسوراً ، وكانت داره جميلة ومشرقة ، وكان يعهد إلى عريفه بأن يتولى تحفيظنا وينتحي هو ناحية وينصرف إلى عمله المحبب إلى نفسه : نسخ القرآن الكريم بيده ، ولم يكن يقف عند النسخ ، بل كان يُجلِّد المصاحف ويُزيِّن فواتحها ويُذهِّب حافاتها ، ويبيع المصحف الواحد بخمسة جنيهات ، وكانت الطلبات تتوارد عليه ولا يساعفه الوقت بتلبيتها ، فعلَّم ابنه وابنته النسخ والتجليد والنقش والتذهيب ، والرجل جمع ثروة طيبة ، وابنه الكبير ورث عنه مالا وحرفة ، وابنته تزوجت الزيجة التي ترتضيها لأنها كانت تكسب من المصاحف ما يغنيها عن الترامي على أول خاطب تقدم لها .

وكان الرجل إلى جانب ذلك شاعراً ، ولكن شعره كله مدائح نبوية ومواعظ أخلاقية . فهذا رجل أعز أدبه وشعره بأن فصل بين لقمة العيش والأدب ، ولكن مصيبة أصحابنا من أمثال محمد بن عبدوس الواسطي الذي نحن بصدده أن الواحد منهم كان يريد أن يعيش في سعة بأبيات قليلة الجدوى لا تقدم ولا تؤخر ، لأن العالم الإسلامي كان يعج بأمثاله ، ومعظمهم كان يسرق المعاني من غيره ، ولم يكن لهم مفر من ذلك لأن باب المديح محدود ومعانيه متواردة على الخواطر كلها ، وما أكثر ما يقع الحافر على الحافر !

وفي المقدمة التي كتبها الشاعر الإنجليزي ت.س. إليوت لقصيدته الذائعة الصيت : الأرض اليباب Waste Land قال إن الفضل الأكبر للشاعر الإيطالي دانتي اللمحوي هو أنه عندما اتجه إلى كتابة «الكوميديا الإلهية» [illegible] الفكر جميعاً ، لأنه خلع عن نفسه ثوب النديم ورجل الحاشية وجعل للشعر والشعراء وظيفة أساسية للمجتمع كله .

د. حسين مؤنس

التاريخ العبري القديم:

التاريخ العبري القديم تاريخ متواضع سياسياً، فالعبريون لم يستطيعوا عبر تاريخهم القديم أن يكونوا قوة سياسية ذات أثر يذكر في تاريخ الشرق الأدنى القديم. فقد وقع العبريون بين النفوذ الآشوري البابلي في منطقة ما بين النهرين، وبين النفوذ المصري في الجنوب، وظل تاريخهم يتأرجح بين التبعية لهذه القوة أو للأخرى حسب الظروف التاريخية التي مرّت بها إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم. وغالباً ما كانت الأجزاء الشمالية من مناطق العبريين تتبع آشور وبابل، بينما أعلنت المنطقة الجنوبية ولاءها للمصريين. والتاريخ العبري القديم وصلنا في معظمه عن طريق مصادر يهودية أهمها «العهد القديم». ولهذا، فهذا التاريخ في حاجة ماسّة إلى إعادة النظر فيه، والتدقيق في كل ما يعرضه العهد القديم من أخبار عن العبريين.

ومع أن الوجود السياسي للعبريين لم يكن له أهمية كبيرة في التاريخ القديم، إلا أن الجماعة العبرية ظلت محافظة على كيانها بفضل تماسكها الديني. وقد ساعدت طبيعة الديانة العبرية القديمة على هذا، فقد ربطت بين الشعب والدين في عهد لا يمكن التخلص منه في سهولة، وحاكت الدين حول مجموعة من المفاهيم القومية التي جعلت البعد عن الدين بمثابة انتهاك للقومية، والعكس أيضاً صحيح. وكانت فكرة العهد أو الميثاق من أقوى الأفكار التي ربطت العبريين بديانتهم على أساس من العصبية الدينية التي ورثتها الديانة اليهودية فيما بعد.

الأصل الأول

والأخبار التي قدمها العهد القديم عن تاريخ العبريين أخبار غير متناسقة، وبها كثير من الخلط. ولعل أهم هذه الأخبار خبر اعتبار جنوب

تأليف: د. محمد خليفة حسن أحمد

ما بين النهرين الأصل الأول للعبريين، حيث يتحدث **سفر التكوين** عن هجرة **إبراهيم عليه السلام** من أور عبر الفرات إلى حران، ومنها إلى **فلسطين**[1].

وهذا الرأي يتنافى مع الرأي الأصوب، وهو اعتبار قلب الجزيرة العربية الأصل الأول لكل الشعوب السامية، وبها المهد الأول للغة السامية الأم، إلا إذا اعتبرنا هجرة سامية عربية قديمة إلى أرض الرافدين قبل هجرة إبراهيم من جنوب أرض الرافدين إلى فلسطين، بمعنى أن الهجرة بدأت من الجزيرة العربية إلى جنوب العراق القديم، وبعد أن استقرت هناك، تحركت هجرة من العراق القديم إلى فلسطين، التي حملت إبراهيم مع غيره إلى فلسطين.

ومن ناحية أخرى يتحدث العهد القديم عن إقامة العبريين في مصر، ويختص **سفر الخروج** برواية أخبار هذه الإقامة، ولا يعطينا **العهد القديم** أية أخبار فيما يتعلق بكيفية وصول العبريين إلى مصر، فيما عدا ذكر الأخبار الخاصة [illegible]، وإن كان العهد القديم لا يربط بين خبر وجود **يوسف وإخوته** العبريين وأبيه يعقوب في مصر، وخبر العبريين الذين خرجوا من مصر بزعامة النبي موسى عليه السلام.

والخبر التاريخي الثالث الخاص بالعبريين يرتبط بأحداث الخروج من مصر. وهي رحلة العبريين من مصر إلى فلسطين، وفيها يختلط التاريخ بالدين بحيث لا نستطيع الفصل بينهما. ويظهر العنصر الديني أول ما يظهر في قصة عبور البحر الأحمر. ومرة أخرى يرتبط التاريخ بالدين في أثناء رحلة الخارجين من مصر عبر سيناء حيث يتلقى النبي موسى عليه السلام **الوصايا العشر**، أو التوراة ككل، ويلي هذا تغلغل هذه الجماعة العبرية ودخولها فلسطين بوسائل بعضها سلمي، وبعضها الآخر في شكل غزوات أو حملات عسكرية.

التاريخ العبري

ويمكن تلخيص التاريخ العبري في ارتباطه بالدين والعقيدة إلى خمس مراحل:

●● **أولا: مرحلة الآباء**، وهي أقدم مراحل التاريخ والديانة اليهودية. وخلاصة مضمونها أن الآباء الإسرائيليين، ابتداء من آدم إلى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، تلقوا وعوداً إلهية، وأن التاريخ الإسرائيلي اللاحق يعتبر المسرح الذي تحققت عليه هذه الوعود. وكان من الضروري ربط التاريخ الموسوي بتاريخ الآباء السابقين عليه بما أن إله الإسرائيليين إله يسيطر على التاريخ وحركته من البداية إلى النهاية، إذ لا يمكن بداية هذا التاريخ بالعصر الموسوي، بل يجب العودة إلى بداية الخلق، لأن من أول وأهم صفات الإله، أنه الإله الخالق للكون والتاريخ. وقد تمت عملية الربط هذه بتكرار العهد المعطى لموسى مع عدد من الآباء السابقين، ومن أهمهم إبراهيم[2] وإسحاق[3] ويعقوب[4]، بل والعودة بفكرة العهد إلى نوح وآدم، حتى يصبح التاريخ وحدة واحدة لا تتجزأ، ويصبح الإله الإسرائيلي، على حد زعمهم، خالقاً لكل التاريخ.

●● **ثانياً: مرحلة الخروج من مصر**، وفيها توضع الأسس الأساسية للعقيدة اليهودية، فهي المرحلة التي شاهدت أول لحظة تاريخية يتحقق فيها الوعد الإلهي المعطى للآباء الإسرائيليين والمعطى لموسى. ويجب هنا أن نلاحظ أن وضع هذه الرؤية الدينية للتاريخ قد تم في مرحلة متأخرة، ربما بعد عصر موسى بكثير، ولهذا فنحن نعرضها هنا حسب هذه الرؤية المتأخرة لأن هذا كل ما نملكه من معرفة بهذه المرحلة القديمة، إذ إن عملية ربطها بالتاريخ الإسرائيلي العام عملية متأخرة. وبالإضافة إلى أن الخروج يعتبر تحقيقاً للوعد الإلهي، فهو أيضاً رمز للخلاص الإلهي. وبهذا الشكل يتم لدينا تطوير مفهومي الوعد والخلاص، اللذين أصبحا من أسس الديانة

رؤيـــة نقــــدية عامــــة

اليهودية . وحادثة الخروج تعتبر أيضاً بداية الشعور القومي الحقيق لدى الإسرائيليين ، فخروجهم من مصر في شكل جماعة تحت قيادة موسى أعطاهم صفة القومية وكانت في نفس الوقت بداية للإحساس بالشعور التاريخي . ولأن حادثة الخروج معجزة إلهية ، فقد أضافت بعداً دينياً إلى الإحساس القومي التاريخي . لهذه الأسباب كانت حادثة الخروج أهم أحداث التاريخ الإسرائيلي القديم نظراً لما لها من تأثير على الفهم التاريخي الديني لدى الإسرائيليين ، وعلى أساس هذه الحادثة يفسر بقية التاريخ الإسرائيلي .

●● ثالثاً : مرحلة الوحي في سيناء ، وإعطاء التوراة ، وبناء الحياة الاجتماعية لليهود . وهذه المرحلة مكملة لمرحلة الخروج وامتداد لأحداثها ، وتأكيد للجانب الديني في الأحداث السابقة ، فقد تلقى موسى الوصايا العشر[*] التي تكونت من قسمين رئيسيين : قسم خاص بالعقيدة ينص على عبادة الإله الواحد ، وعدم تجسيد الإله ، أو تشبيهه بشيء من خلقه . وهي الوصية التي فصلت بين التفكير الطبيعي والتفكير التاريخي فيما يتعلق بفكرة الألوهية . وهي الخطوة الفاصلة بين الألوهية عند الساميين القدماء ، وتبلور فكرة التوحيد في اليهودية . فهي دعوة إلى عدم تصوير الإله في صورة طبيعية مأخوذة من الطبيعة ، وبداية التفكير في الإله تفكيراً نظرياً مجرداً من خلال أعمال الإله في الطبيعة والتاريخ ، وربما يعم لأول مرة الفصل التام بين الإله وبين الطبيعة والتاريخ ، ويصبح الإله خالقاً للاثنين ، ومستقلاً بوجوده عنهما . وقد شهدت هذه المرحلة أيضاً التعرف على الإله من خلال أقواله . إذ لم يكن هذا معهوداً من قبل ، فالوحي لم يأخذ شكله الأساسي في الدين السامي القديم إلا بعد أن أصبح أساسياً في العقيدة اليهودية خلال هذه المرحلة . والجزء الثاني من الوصايا خاص بالبناء الاجتماعي للجماعة اليهودية الخارجية ، وأسس هذا البناء الاجتماعي ، كما يتضح من هذه الوصايا ، أسس أخلاقية تسعى لتنظيم المجتمع ، والحفاظ عليه ، وضمان استمراره عن طريق تنظيم العلاقات بين أفراده ، وربطها بالدين والوحي ، وعدم تركها للظروف الطارئة أو متغيرات الحياة .

وتعتبر الديانة اليهودية في هذه المرحلة أول ديانة سامية تحاول وضع قانون دائم ينظم المجتمع وعلاقات أفراده ، ولهذا نسمع لأول مرة عن نظام الشريعة ، أو القانون الديني المنظم للبناء الاجتماعي . صحيح أن الساميين القدامى قد تركوا بعض القوانين والشرائع المنظمة للمجتمع ، مثل قانون حمورابي الشهير ، إلا أن الشريعة لم تصبح أساساً للحياة الإنسانية إلا في هذه المرحلة الثالثة من تطور العقيدة اليهودية . فالشريعة ليست مجرد مجموعة من القوانين يلتزم بها الإنسان ، ويعاقب إذا امتنع عن الالتزام بها . الشريعة ليست قانوناً للعقوبات فقط ، ولكنها أساس للحياة تنظم على أساسها الأسرة والعلاقات الداخلية فيها ، وقوانين الزواج والطلاق والميراث ، ومن هذه تفرعت القوانين الخاصة بمعاملة الجار ، وعنها تطورت القوانين الخاصة بالمعاملات في المجتمع ككل . والشريعة هنا ولأول مرة أيضاً ليست من وضع الإنسان ، إنما هي من الوحي ، وهذا ما يفرق هذه الشريعة عما سبقها من القوانين . وترك هذا أثره على النظرة إلى الحياة الإنسانية التي أصبحت مقدسة لأنها مبنية على قوانين موحى بها ، وأصبحت علاقة الإنسان بالإله تنعكس على المجتمع .

وهكذا نجد أن هذه المرحلة تتميز بامتزاج الأبعاد الدينية والتاريخية والاجتماعية لتعطي للجماعة اليهودية شكلاً جديداً في هيئة جماعة منظمة تنظيماً دينياً اجتماعياً قوى الشعور القومي لدى هذه الجماعة[٦] ، فاستطاعوا تمييز أنفسهم كشعب ، أو جماعة يختلفون عن المصريين ، ويؤهلهم هذا في نفس الوقت للدخول في المرحلة التالية من تاريخهم السياسي الديني وهي مرحلة دخول كنعان والاستقرار فيها .

●● رابعاً : مرحلة دخول كنعان ، وهي تأتي بعد أن انتظمت الجماعة الخارجة من مصر في تنظيم ديني اجتماعي دعامته الوحي في سيناء ، الذي ميز هذه الجماعة دينياً عن الشعوب المجاورة . وفي نفس الوقت بدأت تكتسب هذه الجماعة صفة الجماعة المحاربة نتيجة الصراع الذي بدأ يدور بين الجماعة العبرية وبين القبائل الأخرى في سيناء . ومع دخول كنعان اكتسبت صفة عسكرية وجدت تأييداً لها من الناحية الدينية . وعملية ربط التفكير الديني بالتفكير العسكري عملية تعود أصولها الأولى إلى فكرة أسطورية قديمة هي فكرة الإله المحارب المدافع عن شعبه ، وقد كان **يهوه** أحد هؤلاء الآلهة حيث تصفه اليهود كثيراً **« بإله الجنود » ، أو « رب الجيوش »**[٧] وغيرها من الصفات الحربية . وقد أخذت الجماعة العبرية صفة الجماعة الغازية تحت قيادة **يشوع** . وتبلورت الخدمة الدينية والخدمة العسكرية في عقلية الإنسان العبري ، وأصبحت من صفاته المميزة وأصبحت العسكرية عقيدة لها أصولها الدينية ، ولذلك فأصدق تعبير عن دخول كنعان أنه كان غزواً عقائدياً امتزجت فيه العسكرية بالعقيدة . فالأرض المغزوة وهي أرض كنعان وُصفت بأنها **أرض الميعاد**[٨] ، والغزو فُسِّر بأنه ضرورة لتحقيق الإرادة الإلهية ، التي تمثلت في الوعد الإلهي المعطى للآباء الإسرائيليين على حد زعمهم وفسرت كل الأحداث السابقة ابتداء من الخروج من مصر وأحداث سيناء والوحي . . على أنها خطوات في طريق تحقيق الوعد المقطوع بين الإله والشعب : « وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم »[٩] . إذن في هذه المرحلة ، يجب إضافة هذا البعد العسكري إلى الأبعاد السابقة الذكر لتعطينا صورة متكاملة لمجتمع ديني تاريخي تشريعي اجتماعي عسكري .



التاريخ العبري القديم رؤية نقدية عامة

●● **خامساً** : تبلورت كل هذه العناصر السابقة الذكر خلال **الصراع الكنعاني العبري** إلى أن تمت السيطرة السياسية للغزاة العبريين ، وإن وقعوا هم أنفسهم تحت التأثير الديني الحضاري للكنعانيين[١٠] . ويستمر ازدياد النفوذ السياسي العبري في كنعان إلى أن يتمكن العبريون من **إنشاء أول مملكة عبرية في التاريخ الإسرائيلي ، وهي المملكة الداوودية ،** حيث توحدت كل القبائل الإسرائيلية ، وتم الاستيطان الإسرائيلي الكامل لكل كنعان ، كما تمت أيضاً السيطرة الدينية العبرية بالقضاء التام على آلهة الكنعانيين ، وجمعت صفاتهم ووظائفهم في شخصية الإله الواحد « يهوه » . وكان في هذا نهاية الصراع الكنعاني العبري بوجهيه الديني والسياسي .

ويعتبر المؤرخون اليهود مملكة داوود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب ، وهو العهد المعطى للآباء الإسرائيليين بالأرض أولا ، ثم الخلاص ثانياً . وفي عصر داوود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص ، ويصبح العبريون دولة لأول مرة في تاريخهم . ويصبح داوود نموذج الملك ، ودولته نموذجاً للمملكة في التفكير التاريخي الإسرائيلي . فبعد سقوط هذه المملكة أصبحت فكرة دينية غيبية حشرية نظراً لعدم إمكانية تحقيقها تاريخياً ، وارتبطت بهذه المملكة الغيبية ــ مملكة الله ــ فكرة المسيح المخلص ، وهي أيضاً عقيدة غيبية حشرية تقوم على أساس أن الخلاص الإسرائيلي سيتم على يد مسيح منتظر من نسل داوود[١١] ، وارتباط المسيح المنتظر بشخص داوود معناه أن هذا المخلص له دور سياسي حيث يقوم بأعباء تحرير اليهود ، وتحقيق خلاصهم من العبودية ، وجمع شتاتهم ، ووضعهم في مملكة هي مملكة الله . وإلى هذا الحد كانت الفكرة دينية بحتة إلى أن استغلها الصهاينة في العصر الحديث ، وحوّلوها إلى واقع سياسي ، وربطوها أيضاً تاريخياً بداوود ، ولا عجب إذن أن تكون **نجمة داوود** رمزاً لهذا الارتباط بالتاريخ القديم .

خصائص تاريخية

هذه هي المراحل الهامة في التاريخ الديني السياسي الإسرائيلي . ومن الملاحظ أنه في هذه المراحل لا يمكن الفصل بين ما هو دين ، وما هو تاريخ بالمعنى العلماني . فقد تطور الدين والتاريخ داخل إطار واحد فُسِّرت فيه أحداث التاريخ تفسيراً دينياً مناسباً ، وقد أعطى هذا التاريخ الإسرائيلي بعض الخصائص التي انفرد بها منها :

★ **أولا** : أن الأحداث التاريخية المستقلة لا أهمية لها في نظر المؤرخ الإسرائيلي القديم . ولهذا نجده لا يهتم في أسلوبه الخاص بالكتابة التاريخية بترتيب الأحداث وتنظيمها حسب وقوعها .

★ **ثانياً** : ليست كل الأحداث التاريخية على نفس المستوى ، فالمؤرخ يختار من بين أحداث التاريخ الإسرائيلي ما يوضح به سيطرة الإله على الطبيعة والتاريخ ، وتصبح هذه الأحداث التاريخية جزءً لا يتجزأ من العقيدة مما يسبب مشكلة منهجية بالنسبة للمؤرخ العام الذي يرى نفسه في حيرة بين أخذ الحادثة التاريخية بمعناها الديني ، وبين الفصل بين الحادثة والمعنى الديني لها ، خاصة وأن هذا المعنى لم يرتبط بالحادثة في وقتها ، وإنما أضيف إليها في مراحل متأخرة ، وبالتالي فهناك مسافة زمنية تفصل بين وقوع الحدث التاريخي وبين المعنى الديني المعطى له . فالمؤرخ الإسرائيلي لا يُدوِّن أحداثاً تاريخية فقط ، ولكنه يؤرخ لدينه وعقيدته ، فهو مؤرِّخ للدين . وهذه المشكلة المنهجية كانت سبباً في أن مجال التاريخ للشعب الإسرائيلي أصبح مجالا لا يخلو من مصاعب بالنسبة للمؤرخ العام . ولعل هذا هو السبب في ندرة الكتابات التاريخية التي تتناول التاريخ الإسرائيلي بشكل موضوعي منهجي كما نؤرخ لكل شعوب العالم . ومما يزيد من حدة المشكلة أن معظم المصادر القديمة للتاريخ الإسرائيلي مصادر يهودية كالعهد القديم مثلاً .

★ **ثالثاً** : أن القيمة الدينية أهم عند المؤرخ الإسرائيلي من الحادثة التاريخية . فهذه القيمة هي التي يعتمد عليها مفهوم الإيمان في الديانة اليهودية . فبالنسبة لهذا المؤرخ الوقائع الواردة في العهد القديم ليست مهمة لذاتها ، ولكنها مهمة للدور الذي تلعبه في الدين . وهذا يجعلنا نشعر أحياناً بإمكانية وضع حادثة تاريخية أو اختلاقها لتوائم فكرة دينية معينة ، وكثير من وقائع التاريخ الإسرائيلي تحتاج للتمحيص التاريخي وللنقد المنهجي الموضوعي . وهذا يجعلنا نحكم على هذا التاريخ بأن كتابته ليست دليلاً على تفكير تاريخي أصيل لدى المؤرخ الإسرائيلي . فقد أصبح التاريخ عنده وسيلة أو أداة تستغل لتحقيق وعود الإله لشعبه على حد زعم المؤرخ ، وهذه الوعود لا يمكن تحقيقها إلا باستغلال التاريخ ، وتوجيه أحداثه لخدمة هذا الهدف الديني . ولهذا كثيراً ما نجد الحادثة تتحول إلى معجزة في نظر المؤرخ الإسرائيلي ، وإذا كان من الممكن دراسة الحادثة دراسة تاريخية فمن الصعب دراسة المعجزة بنفس المقاييس التاريخية المعروفة ، ولا يمكن إخضاعها للتحليل العلمي .

المصادر والمراجع

ــ الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة .

The Holy Scriptures According to the Masoretic Text, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1955.

William F. Albright, The Biblical Period, in The Jews, Their History, edited by Louis Fenkelstein, 4th edition, schocken Books, New York, 1970.

Salo W. Baron, A Social and Religious History of the Jews, Vol. I, 2nd edition, Columbia Univ. Press, New York, 1952.

Julius A. Bewer, The Litterature of the Old Testament, 3rd edition, Columbia Univ. Press New York, 1962.

John Bright, A. History of Israel, 2nd edition, The West-minister Press, Philadelphia, 1972.

W. Eichrodt, Theology of the Old Testament, Vol. I, 1961. George E. Mendenhall Covenant Forms in Istaelite Tradition, in, The Biblical Archaeologist Reader, Vol. III, edited by E.F. Campbell, JR., and D.N. Freedman, Doubleday & Co., N.Y., 1970.

Sabatino Moscati, The Face of the Ancient

Orient, a Panorama of Near Eastern Civilization in Pre-Classical Times, Doubleday & Co., New York, 1962.
Robert H. Pfeiffer, Introduction to the Old Testament, Harper Pub. New York, 1941.
Helmer Ringgren, Israelite Religion, trans. by D. Green, Fortress Press, Philadelphia, 1966.
A.L. Sachar, A. History of the Jews 5th edition, A.Knopf, New York, 1973.
G. Scholem, The Messianic Idea in Judaism and other Essays on Jewish spirituality, Schocken Books, New York, 1971.
R. De Vaux, Ancient Israel, Vol. I., Social Institutions, McGraw-Hill, New York, 1961.
Max Weber, Ancient Judaism, The Macmillan Co., 1976.

الهوامش

(١) في سفر التكوين نقرأ : « وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام ابنه . فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان . فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك . . . » ـ التكوين ١١ : ٣١ . انظر أيضاً :

William F. Albright. «The Biblical Period» in, The Jews; their History, edited by Louis Finkelstein 4th edition, Schocken Books, New York, 1970, p. 2.

(٢) يقول سفر التكوين : « وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ، وتكون بركة . . . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » ١٢ : ١ ـ ٣ ، عن العهد مع إبراهيم . انظر كذلك :

Sabatino Moscati, The Face of the Ancient Orient, a Panorama of Near Eastern Civilization in Pre-Classical Times Doubleday & Co., New York, 1962, pp. 238-240.

وتتكرر صيغة العهد مع إبراهيم في صورة أوضح في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك إبراهيم . لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم » التكوين ١٧ : ٣ ـ ٨ .

(٣) التكوين ٢٦ : ٢٤ ـ ٢٥ وفيها يتجدد العهد مع إسحاق .

(٤) التكوين ٢٨ : ٣ ـ ٤ وفيها يتجدد العهد مع يعقوب . وفي الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين يرث يعقوب العهد المعطى لإبراهيم وإسحاق : « وظهر الله ليعقوب . . . وقال له الله اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل . فدعا اسمه إسرائيل وقال له الله : أنا الله القدير . أثمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطي الأرض » . التكوين ٣٥ : ٩ ـ ١٢ .

ويلاحظ التقارب الشديد في الأسلوب والألفاظ المستخدمة في هذه العهود المتكررة على الرغم من المسافة الزمنية الفاصلة بين كل أب من هؤلاء الآباء . وهذا يدل على أن هذه الصيغ المتكررة للعهد إنما وضعت جميعها بيد كاتب واحد . ويعتقد بعض الدارسين أنه موسى ، بينما يعتقد آخرون أنها من نتاج عصر النبوة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد . انظر تفاصيل ذلك في :

W. Eichrodt, Theology of the Old Testament, Vol. I. 1961, pp. 36-45.

وانظر كذلك :

George E. Mendenhall «Convenant Forms in Israelite Tradition» in the Biblical Archaeologist Reader, Vol. III, Edited by E.F. Campbell, JR. and D. N. Freedman, Doubleday & Co., N.Y., 1970, pp. 25-53.

(٥) يشك علماء نقد الكتاب المقدس في نسبة الوصايا العشر إلى موسى ، ويعتقدون أن نسبتها إلى موسى قد تمت في عصر متأخر . في هذا يقول روبرت فايفر Robert H. Pfeiffer : « أما عن الأصل الموسوي للوصايا الأربع الأولى فيجب أن ننظر إليه على أنه مجرد تخمين لا يقوم على أساس تاريخي . . . فهو (موسى) لم يكن مشغولاً لا بالتماثيل والصور ولا بالسبت . . . أما بالنسبة للوصايا الست الأخيرة فوضعها مثل الأربع الأولى . . . وفي الحالتين ، النسبة إلى موسى أمر افتراضي » ، ويرى فايفر أن بعض هذه الوصايا قديم جداً وبعضها الآخر دخل اليهودية في وقت متأخر على موسى . انظر تفاصيل ذلك في :

Robert H. Pfeiffer, Introduction to the Old Testament, Harper Pub., New York, 1941, pp. 228-232.

وانظر كذلك :

Julius A. Bewer, The Literature of the Old Testament, 3rd edition Columbia Univ. Press, New York, 1962, pp. 33-46.

(٦) John Bright, A. History of Israel, 2nd edition, the Westminister Press, Philadelphia, 1972, p. 120.

(٧) في التثنية ١ : ٣٠ نقرأ : « الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم » . وانظر أشعيا ٩ : ١ ـ ٦ ، ٣٧ : ٣٢ ومن الآيات التي تصور يهوه كإله محارب مع شعبه : « ولكن هكذا يقول السيد رب الجنود لا تخف من أشور يا شعبي الساكن في صهيون . يضربك بالقضيب ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر . لأنه بعد قليل جداً يتم السخط وغضبي في إبادتهم . ويقيم عليه رب الجنود سوطاً كضربة مديان . . . هو ذا السيد رب الجنود يقضب الأغصان برعب » أشعيا ١٠ : ٢٤ ـ ٢٦ ، ٣٣ وانظر كذلك حزقيال ٣٩ : ٢٥ وانظر تفاصيل لذلك في :

Helmer Ringgren, Israelite Religion, Trans. by D. Green Fortress Press, Philadelphia, 1966, pp. 75-81

وانظر أيضاً :

Ronald de Vaux, Ancient Israel, Vol. I. Social Institutions, MeGraw-Hill, New York, 1961, pp. 261-263.

وانظر كذلك :

Max weber, Ancient Judaism, The Macmillan Co., 1967, pp. 118-148.

(٨) John Bright, A. History of Israel, p. 149-151.

(٩) التكوين ١٧ : ٨ .

(١٠) Abram Leon Sachar, A History of the Jews, 5th edition, Alfred Knopf, New York, 1973, pp. 26-29

وانظر أيضاً :

Max Weber, Ancient Judaism, pp. 154-162.

ويعتقد بعض الدارسين أن هناك تقاليد وعادات سامية غريبة مشتركة برزت في صور مختلفة في بابل وكنعان وتأثر بها الإسرائيليون . وإن كانت مبادئ التوحيد وما تطور عنها من أسس أخلاقية قد طغت على هذا التأثير للتقاليد الحضارية المشتركة لجيران إسرائيل .

(١١) Gershom Scholem, the Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewish Spirituality, Schoken Books, New York 1971, pp.. 1-6.

وانظر أيضاً :

Salo W. Baron, A Social and Religious History of the Jews, Vol. I, Columbia Univ. Press, 2nd edition, 1952. pp. 98-99.

أيها الليل

شعر: علي الحاج بكري

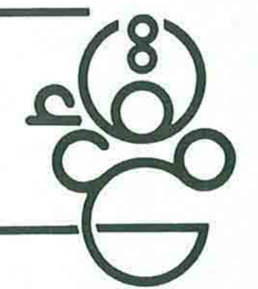
أيُّهـا اللّيْلُ هَـلْ جَفَوْتَ الأنَامَا
وَتَلَفّحْتَ بِـالسَّوَادِ انْتِقَامَا
أيَّ شَيْءٍ تُخْفي فتَمْضِي كَئِيبـاً
أوْ رَهِيبـاً تُذْكِي القُلُوبَ ضِرَامَـا
جِئْتَ فاهْتَزّتِ النُّفُوسُ وَبَانَتْ
في اضْطِرَابٍ تُصارِعُ الأوْهَـامَا
وَعُيُـونٍ غَشِيتَهَا فَتَأذَّتْ
ثُمَّ أغْضَتْ وأطْبَقَتْ إحْجَـامَا
ذَكَرَتْ نِعْمَـةَ الضِّـيَاءِ رَوَاءً
وَجَمَـالاً يُنَضِّرُ الأيَّـامَا
وَالأحَـاسِيسَ مَـا لَهَا في اشْتِبَاكٍ
وَانْتِهَابٍ تُفَتِّقُ الآلامَـا
هَلْ غَدَوْتَ السَّجَانَ يَا لَيْلُ تَرْوِي
قِصَّـةَ الظُّلْمِ في الأنَامِ دَوَامَـا
قَـالَ مَهْلاً : مـا كنـت يـوماً ظَلُـوماً
أنَا مَـنْ جِئْتُ أحْجُـبُ الآثَامَا
لِـي سِتَارٌ يُخْفِي عُيُوبَ البَـرَايَا
لا تَلُمْنِي إذَا غَدَوْتُ لِثَامَا

* * *

إيهِ يَـا لَيْـلُ رُبَّ عَيْـبٍ خَبِـيءٍ
بَـاتَ أدْهَـى لا تُطْلِقِ الأعْـذَارَا
وَجُيُـوشُ الـظَّلامِ أفْتَكُ وَقْعاً
مِـنْ جُيـوشٍ تُوَاجِهُ الإعْصَـارَا
كم لَئِيـمٍ ثَوَى لَدَيْكَ لِيَمْضِي
في فجـورٍ يُلَفِّقُ الأخْبَارَا
وَيَحِيـكُ الشِّـرَاكَ خِـطَّةَ صَـيْدٍ
وَيُغَـذِّي مِـنْ حِقْدِهِ مَـا تَوَارَى
ثُمَّ يَنْسَلُّ مِثْلَ أفعْـى كَأنْ لَـمْ
يَـكُ فِيمَـا أعَـدَّ يُضْمِرُ ثَـارَا
إيهِ يَا لَيْلُ هَـلْ دَرَيْتَ بِـأنَّ النَّفْسَ(م)
في ظُلْمَةٍ تَمُوتُ انْفِجَارَا
وَتَـدُورُ الأشْبَاحُ أضْرَى مِـنَ الـذِّئْبِ(م)
انْقِضَاضاً إذَا رَمَيْـتَ السِّتَارَا
كَيْفَ نَبْنِي الحَيَـاةَ نُعْمَى إذَا لَـمْ
نَـكُ نَـدْرِي أيَّـانَ نَلْقَى الـمَسَارَا
فَـأزِحْ سِتْرَكَ الـكَثِيفَ وَدَعْنَا
نَـتَمَلَّـى في دَرْبِنَـا الأنْوَارَا

* * *

إيـهِ يَـا لَيْلُ أيْـنَ بَـدْرُكَ يَنْدَاحُ(م)
ضِـيَاءً فَتَسْتَنِيرُ القُلُـوبُ
رَفَّـةُ النُّورِ لِلْفُـؤَادِ غِـذَاءٌ
وَنَـمَاءٌ وَبَسْـمَةٌ وَطُيُـوبُ
وَإذَا العَيْـنُ أشرَقَـتْ تَـنْبِضُ النَّفْسُ(م)
عَـطَاءً وَالنَّفْسُ رَوْضٌ خَصِـيبُ
هَـلْ يَتِـمُّ البِنَاءُ إلا بِجَهْـدٍ
بَيِّـنٍ تَسْتَقِيمُ فِيـهِ الـدُّرُوبُ
هَـلْ يَتِـمُّ الإخَاءُ بَيْـنَ البَـرَايَا
إنْ تَـنَاءَتْ وَوَجْهُهَـا مَحْجُـوبُ
وَضِيَاءُ الهُدَى أحَـبُّ إلَى النَّفْسِ(م)
وَأنْدَى إذَا عَرَتْهَا الخُطُوبُ
تَـتَقَرَّى طَـرِيقَهَا فِي هُـدُوءٍ
وَتُـنَادِي رَبَّ الهُـدَى فَيُجِيبُ
إيـهِ يَـا لَيْلُ إنْ تَـكُنْ بَعْضَ بَلْوَى
يَحْمِـلُ القَلْبُ ثِقْلَهَا وَيَـؤُوبُ
تَـكَ بَعْضَ الَّذِي أحِـبُّ لألْقَى
مِـنْ إلَهِـي كُلَّ الَّـذِي أسْتَطِيبُ





سعد البواردي

أجرى الحوار:
مجدي إبراهيم

هذه هي رؤيتي .. لحركة .. ومستقبل الشعر في المملكة

البداية

●● كيف بدأت علاقتكم مع الشعر؟

● إذا ما أدركنا أن الشعر شريحة من الشعور تترجم إلى كلمات مقفاة موزونة وذات موسيق لأمكن لنا أن نقول: إن الشعور يولد مع الشاعر لحظة ميلاد مشاعره .. واستشعاره بما حوله .. **ومعظم البشر شعراء** .. لكنهم لا يحاولون .. أو يترجمون مشاعرهم في قالب نثري في مصبوغ الشعر .. وملونة بألوانه.

وحكايتي مع الشعر .. أو علاقتي به علاقة عادية لا أتميز بها عن غيري، بل إن الكثيرين ممن تعاملوا معه كانت لهم صفة الالتصاق .. والعطاء بقدر أكبر .. وبكيفية أفضل.

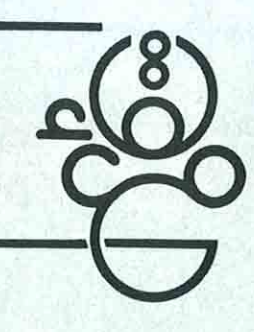
وكان أول لقاء مع ما أسميه «قصيدة» تجاوزاً .. كان قبل ثلاثين عاماً .. وكنت يومها أتعامل مع حياتي .. ومع الأحداث من حولي .. أحسست أن شيئاً بداخلي يدفعني إلى الصراخ وكان المخاض عسيراً، والولادة أعسر .. وخرجت إلى النور أول قصيدة محملة بهمومي وهموم العالم الذي أنا واحد منه وأسميتها «**لو كنت قنبلة ذرية**» نشرتها لي إحدى الصحف السعودية وضمنتها **ديواني الشعري الأول «أغنيات لبلادي»**.

مكانة الشاعر

●● وماذا عن موقع الشاعر البواردي على خريطة الشعر السعودي؟

● لا موقع متميز لسعد البواردي على





خريطة الشعر السعودي .. إنه نقطة صغيرة لا تكاد ترى إلا بمجهر متفائل متساهل يغتفر القصور والضعف . فما قلته من شعر .. وهو في كمّه يمثل كتلة لا بأس بها ، إلا أنه في كيفه يفتقر إلى الإشباع والإبداع .. ولعل ما يغفر له أنه حصيلة إرهاصات تحمل صدق النوايا .. وأنه محاولات على الدرب الطويل الذي ما زال يتطلب مني الكثير والكثير لاجتيازه .. والوصول إلى مكان متمكن فيه .. وحسبي أن المحاولة بدأت .. وأن غمامة الخوف انحسرت .. وبات على إرادة المشاعر أن تسلك طريقها عبر جادة التعبير والطرح في إيمان لا يهزه الضعف .. وفي يقين لا يكاله التردد .. وفي استمرارية لا تقف عند حدود الخطوات الأولى .

مستقبل الشعر في المملكة

●● ما رؤيتك لحركة ومستقبل الشعر في المملكة ؟

● رؤيتي لحركة ومستقبل الشعر في المملكة أنها رؤية واقعية لا تتجاوز واقعية الشعر المنظور ، ولا تقف دونه .. أي إنها لا تسرني في الفأل .. ولا تنال منه ما لدينا ومضات جادة ومشرقة نستبين معالمها من خلال بعض القصائد التي تعطي جرعات من الأمل بمولد شاعر جديد يعرف أن الشعر ليس مجرد أوصال من الكلمات ذات مسافات متوازنة بمقدار إدراكه أن الشعر شعور متدفق نابض بالحياة والحركة ، وبالرؤى والأخيلة والصور الجميلة المتدفقة من أعماقه .. على أن هذا ليس الحد الذي يجعلنا ننظر إلى واقع الشعر على أنه وجود موجود له دلالاته وشخصيته البارزة . إن في شعرنا ما هو شعر وفق معايير الشعر .. ومنظوره الحي .. وفيه الكثير مما لا يرقى إلى الشعر لافتقاره إلى المضمون .. والقواعد .. والأطر .. ومع كل هذا فإن عنصر الفأل والثقة يطغى على النفس في سباق مع الزمن الذي أرجو أن يكون لصالح الرهان .. ولصالح ما أتمناه .. وينتظره غيري من خلال وقفات جادة نحو قطان الشعر .. ومعطياته يمكن لحكمنا على المستقبل من خلال واقع نلمسه .. لا من أمنيات نطرحها .

دور الشاعر

●● ما هو دور الشاعر في الحياة ؟

● قلت في البداية : إن الشعر مشاعر وخلجات تراود النفس .. وتريد الإفصاح عن مكنوناتها .. والشاعر بحق ، هو ذلك الذي يترجم مشاعره دون افتعال من خلال كلمات توحي لك بالصدق والجمال والمصارحة .

إن انفعال الشاعر بالحديث .. أو الصورة ، من خلال المعايشة يمثل كتلة شعرية تعتمل داخل أعماقه ، يفجرها عبر كلماته الموزونة المتزنة ، لتتحول إلى شعر يخاطب الناس .. ويحاسب الناس .. بل وأحياناً يحاكمهم .. ويحكم عليهم .

والشاعر في مفهومه الحي ، هو صوت الحياة .. ونبراتها .. إنه يدفع بها ، ويدافع عنها .. إنه يشجبها .. ويحيها .. وأحياناً يعطي لها مزمار العشق لتتراقص من حوله .. ولتغني ..

هذا هو الشاعر من خلال دوره في الحياة .. كما أحسبه .

المقالة في المملكة

●● وماذا عن المقالة الأدبية في المملكة ؟

● المقالة الأدبية في المملكة على ما أعتقد تسبق قافلة الشعر .. لأنها تنطلق من أفق متسع لا تقيّده القوافي .. ولا تشدّه العروض . كما أن النثر يعطي لمتناوله .. وربما لمتداوله أيضاً ، حرية الحركة ، والتمرد دون خوف من مساءلة الرقيب الناقد الذي يُخضع الأشياء لمعاييرها الحركية لا الفنية .

ورغم أنه توجد في المملكة بوادر صحوة مشجعة تتمثل في أقلام كثيرة شابة راحت تتعامل مع الحرف بشجاعة وثقة .. وبإصرار لا يقف على العطاء .. إلا **أن ما ينقصنا ، وهو مهم بالطبع ، عدم وجود ناقد فكري يفحص من خلال منظاره المتخصص ما يطرح فيشخصه .. ويبرز لنا مواقع ضعفه .. ومكامن قوته ،** بل إن معاناتنا تبدو أحياناً قاسية إلى درجة الإحباط حين نصطدم بواجهات نقدية مسؤولة وغير مدركة لمسؤوليتها ، تعمل عوامل الهدم في بعض ما تتناول .. وتزج به أحياناً من طور الموضوعية .. إلى طور الشخصية .. ويكون الحصاد عداء واستعداء .. وضياع للحقيقة في متاهات الجدل البيزنطي القاتل .

الشباب .. والاغتراب

●● يعاني الشباب العربي من



●● لماذا لم ينتشر الشعر السعودي؟

مأساة أليمة تتمثل في إحساسهم بالغربة من ناحية، وتجاهلهم من ناحية أخرى.. ما رأيكم في هذه القضية؟

● الغربة.. أو الاغتراب.. ظاهرة قاسية بدأ الإحساس بها يتسع ويشكل دائرة من الانكفاء في أعماق البعض.

والغربة أياً كانت بواعثها ومسبباتها تشكل عارضاً مرضياً لا يمكن قبوله ولا الاستسلام لمخاطره.. إنه يعني «الابتعاد» أو الانفصام بين الشخص وواقعه بكل ما يعنيه من مكان وزمان وإنسان.. وحتى نكون أكثر صراحة فإن ما نسميه «سلبية» هو نفسه لون من الاغتراب القاتل.. إنك حين لا تشارك في بناء وطنك.. وحين تتخلى عن تبعاتك تجاه أسرتك.. أو وظيفتك أو مجتمعك تعد مغترباً.. حتى وأنت موجود الجثة. ناهيك حين يكون الاغتراب حصاد إحساس بالعزلة داخل أسوار من الرفض المرفوض.. إن استشعار أحد بالعزلة لن يكون إلا وليد إحباط [illegible] بأنه غير قادر على المشاركة.. أو غير قادر على أن يجد له موقعاً في ساحة المشاركة.. وكلاهما يمثلان مظهراً مرضياً ينال بنية المجتمع.. ويحد من انطلاقته.. ويجهد أطرافه.

انتشار الشعر السعودي

●● الشعر السعودي لماذا لم ينتشر (بصورة ملموسة) في الوطن العربي؟

● إن العالم العربي مازال يعاني من رواسب التأقلم والتشرذم.. ومازالت تشده نحو بعضه قيود وهمية أقعدته عن التواصل.. والمشاركة فيما يقدم.

والأجهزة المعنية دون شك، هي التي تتحمل وحدها تبعة هذه العزلة المفروضة على فكرنا (شعراً) أم (نثراً)..، قلت: الأجهزة المعنية.. وأعني، كل أجهزة الثقافة.. والإعلام.. وكل مؤسسات النشر والتوزيع.. وكل النوادي الأدبية القائمة على اتساع عالمنا العربي.. بل وكل ممتهني حرفة الكلمة.. إنهم جميعاً مسؤولين ومساءلون عن عدم انتشار الكتاب العربي.. [illegible].. ولعل «أسبوع الكتاب العربي» مناسبة ملائمة للتعريف به. وللتعريف له.. متى أحسن استغلاله، شريطة أن يكون بأسعار ميسّرة تتواءم وقدرة القارئ العادي على الشراء.

ويبقى السؤال التقليدي: «من يعلن الجرس؟!!».

أحداث لبنان

●● لا شك أنك تأثرت بالأحداث الدائرة في لبنان، وبالمذابح البشعة البربرية التي راح ضحيتها آلاف الشهداء والأبرياء من الفلسطينيين واللبنانيين.. فهل لهذه الأحداث انعكاس على إبداعاتك «الشعرية»؟

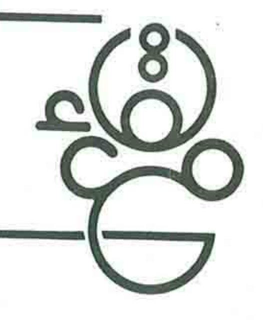
● ومن هو الذي لم يتأثر بأحداث لبنان؟!..

إنني أعيش في صدمة.. تدفع بي أحياناً إلى ما يشبه الذهول.. وإلى حين أستفيق من هولها.. فإنني بعد لم أترجمها إلى شعر.. رغم أنها حبيسة كبيسة «كمشاعر» أرجو أن ترى النور بعد أن أفيق من السدرة.. وأصل إلى الفكرة.

عن الشعر الشعبي

●● كيف ترى الشعر الشعبي في المملكة؟

● لست خبيراً في الشعر الشعبي في المملكة.. ومن هنا فلست جديراً بتقويمه.. إلا أنني من منطلق عام، أدرك أن الشعر الشعبي كغيره «أداة» طرح معبّرة عن خلجات الناس.. وعن إرهاصاتهم في الحياة.. بل إنه أحياناً يكون الأقرب إلى تجسيد الحياة العادية للمواطن العادي.. والأكثر رصداً لانفعالاتها.. وتفاعلاتها.. إنه شريحة ثانية.. وقناة ثانية لا بد من الأخذ به في جدية.. ودراسته.. وانتزاع ما يجسده من صور، وأخيلة.. وتفاعلات اجتماعية.. باعتبارها مظهراً من مظاهر التعبير الفطري لفصيل من الناس.





الأدب النسائي

●● والأدب النسائي : هل تراه يتميز بملامح خاصة ؟

● ليس هناك أدب نسائي وأدب رجالي . . **أنا أرفض التجزئة والتصنيف في الفكر ، المرأة حين تكتب . . تكتب للحياة . . تماماً كما يكتب الرجل ،** كلاهما يتحدث من منطلق ممارسة داعية لتصوراته ، وإرهاصاته .

صحيح إن المرأة فيما تطرحه تنفذ إلى الأشياء من خلال نافذة تتميز بالرقة . . تتجانس مع طبيعتها . . ودورها في الحياة كأم ، وكزوجة ، وكشريكة حياة . . إلا أنها لا تتجاوز في هذا ، وبهذا ، رقعة المسافة التي يحرك فيها الرجل قلمه . . وينتزع منها أفكاره .

إن الأدب في قلم المرأة ، كما أعتقد ، أكثر صدقاً . . والتصاقاً بالواقعية من الرجل . . لسبب بسيط ؛ إن « الفسيولوجية » للمرأة تتحاشى الصدام . . والتهويل . . والمبالغة . . والتعالي ؛ وهي – في ما تعطي من فكر – أكثر التصاقاً للتقبل ، لأنها تتحرك بواقعية الإنسان الضابط لموازينه ولانفعالاته ، ولأحاسيسه المخملية المرهفة .

موقفه من التراث

●● التراث . . إلى أي مدى يستطيع الشاعر استلهامه في قصائده . . وما موقفكم منه ؟

● التراث ولِمَ لا ؟!

ما دام التراث جانباً مهماً من التاريخ . . بل إنه حصاد التاريخ الذي نحتفظ به في خزائن كتبنا ، ونفوسنا . . فإن الشعر . . وفي حدود قدرات الشاعر المستوعب لذلك التراث يمكن له أن يتعامل مع التراث في رصد وثيق أمين يحتفظ له بمعالمه . . وعوالمه .

إن هناك شعراء خلدوا في شعرهم مواقع . . ووقائع من تاريخنا كأحسن ما يكون الوفاء والصدق . تبقى أن تتوفر لمن ينحى شعره منحى الرصد التاريخي أن تكون لديه القدرات الواعية على ربط الحوادث . . وإظهارها من خلال خلفية ثقافية مستلهمة لكل جوانب التراث . . حتى لا يقع في محظور التشويه . . أو البتر . . أو التضخيم الذي يتجاوز واقع الأشياء .

النقد الأدبي

●● وحركة النقد في المملكة . . هل تراها واكبت حركة الإبداع ؟

● سؤالك يحتاج إلى أكثر من إجابة . . .

أولا : إن الإبداع أمر مشكوك فيه بالشكل . . وبالمفهوم لهذه الكلمة . . فالإبداع ما زال بعيداً عن واقع ما يعطي من نثر . . وشعر .

ليس معنى هذا . . أنه لا توجد ومضات مشرقة في بعض العطاء . . إلا أن تلك الومضات ما زالت محدودة معدودة لا تمثل ظاهرة فكرية يمكن أن يبنى عليها .

ويأتي دور النقد . . وتأثيره على مسار الفكر . . والنقد ، **أقولها بكل صدق : إننا مازلنا نفتقده . « النقد » العلمي . . الذي يستوعب المادة . . ويستخلص منها عناصرها . . ويفرزها فرزاً تحليلياً ، تعليلياً** . . بحيث تظهر المادة في شخوصها . . وفي أشخاصها أمام الجمهور دون مبالغة . . أو إحباط . . **ولكي نصل إلى الإبداع . . لا بد من ناقد . . ولكي نصل إلى الناقد لا بد من دراسة منهجية متخصصة تضع في حسبانها الابتعاد عن الإثارة المرفوضة في النقد . . والتجريح** . . والخروج من إطار الموضوعية إلى إطار المشاكسة الذاتية . . وهو ما نعاني منه في كثير من الجدل . . الذي يثيره هزل نقدنا بين حين وآخر .

الأعمال الأخيرة

●● ماذا عن آخر أعمالكم « الأدبية » ؟

● **آخر أعمالي الأدبية . . ثلاثة كتب نثرية في طريقها إلى الظهور بإذن الله :**

★ **« حتى لا نفقد الذاكرة »** عن مؤسسة تهامة .

★ **« وللسلام كلام »** عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

★ **« رسائل إلى نازك »** عن النادي الأدبي في الطائف .

إلى جانب ديوان شعر بعنوان **« إبحار . . ولا بحر »** أزمع طباعته قريباً .

*


★ الطهطاوي ★

أضواء على النقد العربي




★ محمد عبده ★

لم ينكر أحد أن في تراثنا العربي نقداً أدبياً ، وقد بلغ هذا النقد في بعض جوانبه وبعض المراحل التاريخية ـ ربما بين يدي بعض الفلاسفة بخاصة ـ مستوى راقياً حتى تحجر لدى البلاغيين بما لا يمكن أن يقال إنه أدى دوره كاملاً .

فمن ناحية اهتم بالشعر أو بشعر المديح منذ استقرأ ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » منهج القصيدة الشامخة من أقوال أهل الأدب . وعلى توالي السنين وبالرغم من إسهامات الفلاسفة الذين قرأوا لأرسطو « فن الشعر » و « الخطابة » ـ ضمن فلسفته بمقدمتها عن المنطق ـ ظهر أن ما قالوه في المجاز لم يُفض إلى شيء ذي طائل ، كما أصبحت مهمة الشعر المتعلق بها ذلك المجاز سديمية ، تقف عند المتلقي موزعة بين إمتاعه والدفاع عن الممدوحين ـ أو هجوهم في موقف مناقض ـ من منطلق مصالح لهم ينبغي أن تصان .

ومن ناحية أخرى لم يستطع هذا النقد أن يتحدث عن أنواع أدبية أخرى غير الشعر ، لا من حيث كان الشعر كما كان لدى الجاهليين ديواناً لهم ويجمع مآثرهم ، ولا من حيث كان الشاعر بمنزلة الحكيم يمضي حكمه . . وإنما من حيث إنه كان ضالعاً مع الممدوحين ، وتقتضيه منفعته الشخصية أن يخطط لما يرضيهم ، وعلى قدر الرغبة والرهبة يُقوّم شعره وتحصى أخطاؤه وتحدد جائزته ومكانته !

وبينما كان الشاعر يتحول إلى صانع محترف فيتدنّى بفنه حتى يهان وحتى يقول **أبو سعيد المخزومي** :

الكلب والشاعر في حالة
يا ليت أني لم أكن شاعرا

كان النقاد يعرضون عن القصاصين الذين عجّت بهم المساجد والأسواق والمجالس الخاصة ، بل حملوا عليهم من جراء ذلك الهذر أو السخف الذي يسلكه مع الكفر أو المروق أو الفسق في خيط واحد . وقد ندّد بهم المفكرون والفقهاء والأئمة ـ كالغزالي وابن تيمية وابن الجوزي ـ حتى لم ينج من حملتهم كبار قصوا كابن سينا المبدع الأول لحي بن يقظان !

وربما يقتضينا هذا أن نسأل : **ترى هل كان من الممكن أن يتغير الوضع الأدبيّ لو تهيأ لأدبنا القديم أن يظهر فيه واحد كبوالو الفرنسي ـ مثلاً ـ وقد قنَّن النظرية الكلاسيكية في القرن السابع عشر بأوروبا ؟**

سؤال عسير ، لكن له إجابة حدسية يرفضها المنهج العلمي المسدّد ، ولا نقدر نحن على تحمل تبعاتها . ومن السهل ـ على أي حال ـ أن نسأل : **لماذا لم يفعل الآمدي أو عبد القاهر الجرجاني أو حازم القرطاجني عندنا فِعْلَ بوالو في فرنسا ؟**


★ د . زكي نجيب محمود ★ ★ العقاد ★

كرنفال نقدي

وعندما وُجد لدينا **النقد الأدبي الحديث** ـ بفضل ترجمات المستنيرين العرب منذ مطالع القرن العشرين ـ خرج النقاد من الجزئيات والموازنات البلاغية إلى محاولات طيبة لوضع نظريات نقدية لها الخطوط العريضة أو القواعد المنظمة للنتاج الأدبي بوجه عام . لكن العيب الذي اعتور تلك النظريات من أكثر من جانب أنها كانت غربية في أزياء عربية ، بل بدت الأزياء نفسها مهجّنة أو خليطاً من الطيلسان والعباءة والقفطان والسموكن والقبعة والعمامة !

وقد قيل في هذا الكرنفال ـ على سبيل التأصيل المضحك ـ إن **الآمدي** الفذ سبق عصره بما تضمّنت آراؤه من أحدث النظريات النقدية في أوروبا ، وإن **عبد القاهر** هو الأب الشرعي لنظرية النظم عند الغربيين ، مع أنه لم

يعن بالنظم أكثر من وضع الفصل والوصل والتقديم والتأخير والتوكيد مواضعها بجانب تصحيح الأقسام ومراعاة الترتيب .

ووراء ذلك ـ فيما يبدو لنا ـ أننا اقتبسنا تصورات جاهزة ودفعة واحدة ، مع أن النقد أو النقود التي اعتمدناها كانت نتيجة ممارسات وتطورات ربما يكون **لونجينوس اللاتيني** بداية لها إذا اعتبرنا الإغريقيات الأصل . وهذا يعني أنه لم يكن ثمة قطيعة بين القديم والحديث عند الأوروبيين ، في حين وجدت هذه القطيعة لدينا . فضلاً عن أننا لم نتمثل الفلسفات التي دعمتها بين حرص الأدباء والمتأدبون الغربيون على تمثّل كل ما استرفدوه من الحضارة الإسلامية التي لمعت فيها مترجمات **أرسطو** العربية ـ بادئ ذي بدء ـ ثم **«كليلة ودمنة»** ، و **«ألف ليلة وليلة»** ، و **«المقامات»** ، و **«حيّ بن يقظان»** ، و **«طوق الحمامة»** ، وحديث الإسراء والمعراج في صورته الشعبية وغيرها .

بل إن «ألف ليلة وليلة» وحدها التي ترجمت ترجمات شتى بعضها وزع على نطاق ضيق خاص ، وبعضها انتشر انتشار النار في الهشيم كترجمة **جالان وتورينز** ـ جزء واحد فقط ـ **ولين** أحدثت انقلاباً في كل من الإبداع الأدبي ونقده على حد سواء .

كان ذلك تقصيراً منا ، والذين حاولوا أن يكونوا عقلانيين ـ وقد فهموا أن ثمة خطأ ما أو نقصاً في التصور الحقيقي لواقعنا ـ عمدوا إلى تطبيقات ساندتها مقولات قومية محددة . فجاوزوا كثيراً من الاصطلاحات التي أصبحت لدى تقليديينا ـ وعدة من محدثينا ـ المظهر الوحيد **للحداثة** ، وما تمسكوا به منها **كالكلاسيكية** مثلاً أو **الرومانسية** دعموه بمفاهيم خاصة فقالوا **الإحيائية الجديدة** كما قالوا **الرومانسية العربية** .

إلا أنه ظل قدرٌ كبير من تلك الاصطلاحات ـ وبخاصة في **البنيوية والأسلوبية** ـ يقتحم حياتنا الأدبية بدون قيود ولا تحفظات ، مع أن بعضها عفا عليه الزمن خارج العالم العربي ، وبعضها الآخر تروّج له عناصر مشبوهة ربما كانت الصهيونية العالمية من



★ ميخائيل نعيمة ★ ★ أدونيس ★

ورائها ، وبعضها من جانب ثالث ندّ عن جماعة ندّت عن أيديولوجيات الماركسية والوجودية المعقدة .

والذين يتأملون شتى الفلسفات المعاصرة ـ حيث يقع التصادم الرهيب دائماً بين نتائج التقليدية الأوروبية ومحصلات الثورة العلمية الحديثة ـ يرون أنها أخذت بزمام النقد الأدبي في العالم كله تقريباً . فأوروبا يعنيها أن تظل لها السيادة الفكرية حيث عاش فيها **أرسطو وديكارت وهيجل وماركس وسارتر وبارت وباشلار** ، وأميركا منذ الثلاثينات تحاول أن تستجيب لكل جديد وتزيد فيه ما يعطيه شكل البدعة ، وكانت قد فتحت صدرها ـ منذ الثلاثينات ـ لمدرسة الأدب العام تواجه به مقارنيات فرنسا وألمانيا وإيطاليا ، ولا تجد بأساً من أن تهاجم البورجوازية معرفياً حتى ولو أقامت هذا الهجوم على أسس ماركسية ؛ فالماركسية عندها مجرد حركة كالوجودية ـ بعيداً عن السياسة ـ وفيهما من التناقضات ما يسمح لها بأن تجد فيهما منطلقاً لعلميتها الجديدة !

وأما عندنا ـ وباستثناء نفر ضئيل يمثلهم **زكي نجيب محمود** ـ لم يشتغل فيلسوف عربي معاصر أو متفلسف بالنقد الأدبي . ولم يبشر مفكرون لأطوال السيطرة العثمانية على مقدراتنا ولا بعد أن استبدلت بها سيطرة المحتلين بمثل ما بشر به **مونتسكيو** وهو يكتب **«الرسائل الفارسية»** ، و **«روح القوانين»** . بل كان **رفاعة الطهطاوي** مبهوراً بحضارة أوروبا ، وبدا كما لو كان يتمنى أن نأخذ بها على طول الخط !

وحتى **الإمام محمد عبده** ـ وكان أزهرياً مستنيراً ـ لم يترك نقداً مع أنه كان ناقداً .

وتقديمه للمقامات في حد ذاته يدل على ذلك ، وإن كنا لا نتصور له منهجاً نقدياً على الإطلاق .

وهذا يعني أن النقد الأدبي في أوروبا كان وراءه فكر وفلسفة أو فلسفات ـ والمذاهب الأدبية نفسها شاهد على ذلك ، كذلك نظرية التطور في الأنواع الأدبية ـ وأما نقدنا الأدبي الحديث فليس وراءه شيء من هذا . ومن أدلوا بدلوهم فيه من مفكرينا ، لم يتحمسوا حتى لمناقشة قضية القديم والجديد بأكثر مما صدر عن **طه حسين والعقاد وميخائيل نعيمة** . ومع ذلك فنحن اليوم نتبارى في البحث عن النظريات الأدبية في نقد عربي نزعم أنه قاصر ومقصّر ، ولو كان مدعوماً ـ بقدر متساو ـ بآراء **الجرجاني وريتشاردز ، أو الآمدي وصاموبل جونسون ، أو ابن جني وليفي ستروس** ، أو بمن يكون نظيراً عربياً ـ إن أمكن ـ لدى **سوسير وتشومسكي وبوليه وديموزت وديليك** .

النقد الجديد

ونحن اليوم ننادي ـ كما نادى الغرب تماماً ـ بالنقد الجديد . وما أكثر النقود التي حملت صفة الجدة في أوروبا وأميركا بعد مراحل طويلة ومستقرة انبثقت خلالها المذاهب الأدبية على النحو المعروف !

ولقد روّج لتلك النقود الجديدة **جويل سبنجارن** في كتابه **«النقد الجديد»** الصادر عام ١٩١١ م ، وفي كتب أخرى ومحاضرات استمرت إلى عام ١٩٣١ م ، تقريباً . كما كان **ريتشاردز** من المروّجين لها بمؤلفاته الكثيرة ومنها **«أصول النقد الأدبي»** الذي أصدره عام ١٩٢٤ م . لكن النصف الثاني من القرن العشرين شهد قمة التوسع والتعدد في هذه النقود ، ومن خلالها ماتت البنيوية ـ في نهاية الخمسينات ـ وظهرت الماركسية الجديدة والشكلية الروسية والرومانسية الأخيرة ـ وهي غير الجديدة ـ **والسيميوطيقية والأسطورية** وما بعد الواقعية التي تتحمس



★ محمد الأسعد ★

لها بعد مرحلة اللامعقول الروائية الفرنسية **ناتالي ساروت**.

والمتتبع لتلك المذاهب أو الاتجاهات الجديدة في النقد يرى أنها نتاج أفكار في الحياة والفن والواقع والمثال، كما أن أغلبها ناجم عن تحليل موضوعي للأدب واللغة، وكذلك عن رغبة في إعادة صياغات المعرفة بهدف تخطي العقلانيات التقليدية – وكذا فعل باشلار على سبيل المثال – في عملية تشكيل الموقف المادي المعاصر.

لماذا فعلنا نحن؟

لا شيء أكثر من التسليم بأن العالم كله يعيش – شئنا أو لم نشأ – ثورة علمية تقتضينا الاستجابة للتحولات التي طرأت على شتى المجالات الرياضية والفيزيائية والفلكية بل الإنسانية أيضاً.

لم نتبيّن أن تلك المجالات مجالات علوم، وأن التحول فيها – وهو ضرب من التطور – لا بد أن يتم نتيجة تحول آخر في وجهات النظر. وهذا التحول الأخر يحتاج إلى وقت طويل ليظهر مثله في الفنون بشرط أن يحول كثيراً من مسلمات العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا – مثلاً – وعلوم الجمال والاجتماع والاقتصاد والتاريخ.

هذا ما نتصوره...

وفي سيرنا بتلك الخطوات الموضوعية سنصطدم بأمرين: أولهما مجموعة عوائق معرفية يزرعها مجتمعنا الذي يختلف كثيراً عن المجتمعات غير العربية الإسلامية، **وثانيهما** إحباط نصاب به – حتى مع التسليم بالقدرة على إزالة العوائق المعرفية – وذلك حين نرى من نقلده يجاوزنا دائماً إلى جديد مستمر، الأمر الذي يصرفنا بالضرورة عن التحصل إلى البحث نفسياً في مرض نقترح تسميته **بالفصام الحضاري**، وقوامه فصامات جوهرية في الأعمال العلمية والعملية والفلسفية والفنية.

قول على قول

وهنا المشكلة...

لكننا إذا أخذنا بما يقول **جورج بوليه** عن أن النقد فكرة على فكرة أو قول على قول كما يرى **رولان بارت** – يريدان أنه إبداع على إبداع – فلا بد من التسليم بقيام علاقة جدلية بين الأدب ونقده.

كلاهما مرتبط بالآخر، وارتباطهما يعني التكامل بالرغم من أنهما ليسا متعارضين ولا نقيضين. ولو انفصلا كل عن الآخر، فإن النتيجة المترتبة على انفصالهما أحدُ الفصامات التي أشرنا إليها. وبالتالي يعتل الأدب، وقد يموت إذا لم يجد النقد الذي يتكامل به ويتعافى!

وبعيداً عن هذا الوصف الشاعري أو المجازي نقول: إن الجدلية هنا جدلية فكر، وليست جدلية فيزيقية أو ميتافيزيقية. والنقد هنا أيضاً فكر له أصوله المغروسة في النصوص الأدبية – مهما تتعدد أنواعها – ويبدأ بتجربة التذوق لكي ينتهي إلى قوانين ثابتة أو كالثابتة.

أي أن **الناقد العربي مطالب دائماً بالتعامل مع الأدب الذي ينتجه أدباء لغته، واستشراف آداب اللغات الأخرى لا يعني قط استنساخ آراء نقادها وإنما يعني الاسترشاد بها ما أمكن وما كان إلى ذلك سبيل معقولة**. وليكن النقد الذي هو قول على قول والذي يضع ناقدنا على الطريق الواضح – وليس طريق **أدونيس** ولا طريق **الياس خوري** ولا حتى طريق **محمد الأسعد** الأكثر إضاءة – مجرد فحص يساعد القارئ على الانتفاع به دون ما حاجة إلى تفكيك بنيوي، أو إعادة بارتية لكتابة ما كتب، أو الزعم بأن الإبداع الأدبي غاية لا يُبحث وراءها عن طائل.

ونرجو ألا يُفهم من كلامنا هذا أننا نرفض جملة وتفصيلاً كل ما قدمته أوروبا نقدياً – فذلك خرق أو جنون ثقافي – وإنما نرفض ما ترفضه طبيعة أدبنا وأيديولوجيتنا، وما يتعارض مع وضوح رؤيتنا بوجه عام، ثم ما يكون فيه غلو لم يقبله أصحابه. فقد صرح **جوناثان كولر** – مثلاً – بأن البنيوية قد تكون منطلقاً إلى معرفة دلالات الأدب، إلا أنها ليست منهج تفسير له. والمدهش أنه من الذين زعموا أن البنيوية جُعلت لتفسر كل أسباب الحياة!

وليس من بأس – في كل الظروف – أن يكون ما نعوّل عليه منهجياً، المداخل التي جاءت صالحة لكل العصور وللآداب العالمية كافة. ومن هذه، **المدخل الجمالي** الذي قد يستقرض **إليوت، وريتشاردرز، ورانسوم، وبروكس، وإمبسون، وبلاكمور** دون أن يتورط في تجريداتهم أو يسرف في عزل النص عن القضايا الاجتماعية.

ومنها أيضاً **المدخل النفسي** من غير التلويح باصطلاحات **فرويد** الرامية إلى تفسير عبودية الأديب – أو الإنسان بعامة – لشبقياته البيولوجية. لكن ما قاله تلميذه **كارل يونج** عن اللاوعي الجماعي واتصال النماذج العليا به، صالح تماماً للكشف عن القيمة الجمالية الداخلية في النص. كذلك هو صالح لتفسير الأدب من حيث هو بعض صيغ ثقافية، كانت وستظل موجودة إلى الأبد.

ومنها **المدخل الاجتماعي** وما له من صلات بالتاريخ العام والتاريخ الشخصي، ويمكن في ضوئه تتبّع التطورات التي تنبثق عن تفاعل المجتمعات بحركة الزمن المستمرة.

ثم منها **المدخل الأخلاقي** الذي احتفل به **ولبر سكوت** في كتابه **«المداخل الخمسة للنقد الأدبي»** دون أن نربطه الربط الوثيق بالإنسانية الجديدة أو **النيوهومانية** التي كان لأصحابها اتجاه نقدي يشجب الرومانسية وحرية الإنسان.

وإذ نتوقف لا نرجو أن يظن أحد أننا قلنا الكلمة الأخيرة في النقد الأدبي، أو أدلينا برأي قاطع فيما يسمى الآن بأزمة النقد، وإنما هي مجرد وجهة نظر.

★★

التعريف

بعلم التصريف

الصرف ويقال له التصريف وَرَدَا في اللغة لمعان منها التغيير والتحويل، قال تعالى: ﴿ **وإذا صُرِفَت أبصارُهم تلقاءَ أصحاب النار** ﴾[1] أي حُوِّلت، وجاء في **لسان العرب**: الصرف ردّ الشيء عن وجهه، يقال صرفه يصرفه صرفاً فانصرف[2].

وهما وإن كانا بمعنى واحد، لكن التصريف يفيد التكثير والمبالغة، ومنه تصريف الرياح والآيات، فتصريف الرياح جعلها جنوباً وشمالا وصبَا ودبوراً[3]، وفي **القاموس المحيط** تصريف الآيات[4] تبيينها، والتصريف في الكلام اشتقاق بعضه من بعض[5].

ويقول **الميداني**: «التصريف تفعيل من الصرف وهو أن تصرف الكلمة الواحدة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة مثل أن تقول من الضرب، ضرب يضرب، ومن العلم، علم يعلم فيستفاد من قولك: ضرب فعل قد مضى، ومن يضرب فعل يحصل إمّا حالا وإمّا استقبالا نحو قولك: زيد يضرب الآن ويضرب غداً، فإذا أدخلت عليه السين أو سوف خلص للاستقبال، نحو قولك: سيضرب وسوف يضرب، ثم التصريف لا يختص بالأفعال دون الأسماء بل يطلق عليهما جميعاً، فالاسم له واحد وجمع وتعريف وتنكير ونسبة وتصغير كما للأفعال ماض ومستقبل وأمر ونهي وفاعل ومفعول، ويطلق عليه حكم الصحة والاعتلال[6] كما يطلق على الأفعال»[7].

وقد نقل لفظ الصرف ولفظ التصريف من المصدرية إلى العلم المدوّن للمناسبة بين المعنيين[8] وهي أن الصرف والتصريف تغيير، وهذا العلم علم يعرف به تغييرات الكلمة.

وكان المتأخرون عن عصر **ابن الحاجب** المتوفى سنة ٦٤٦ هـ، **وابن مالك** المتوفى سنة ٦٧٢ هـ، يفضّلون التعبير عن هذا العلم بالصرف[9]، مراعين في ذلك أنّه الأصل وأنّه أخصر من التصريف في اللفظ وموازن للنحو، ويبدو أنّهم أخذوا ذلك من قول ابن مالك في الألفية «حرف وشبهه من الصرف بَري»، وهذا اللفظ هو الشائع اليوم. أما المتقدمون فقد رأينا **الخليل بن أحمد** المتوفى سنة ١٧٥ هـ، **وسيبويه** المتوفى سنة ١٨٠ هـ، لا يسمّيان هذا العلم بالتصريف ولا بالصرف لسبب بسيط هو أن مسائله عندهما كانت مندرجة في مسائل النحو كما يبدو ذلك بوضوح في كتاب سيبويه. أمّا من وَلِيَهما من المتقدمين حتى زمن ابن الحاجب وابن مالك فقد وجدنا عندهم تسمية هذا العلم بالتصريف، ويبدو أنّهم نظروا في هذا الإطلاق إلى كثرة التحويل والتغيير في المفردات التي تنطبق عليها قواعده، يقول نقره كار: «سمي هذا العلم التصريف لكثرة التصرف بسببه في أبنية اللغة العربية»[10].

وقد لوحظ أن المتقدمين على العموم كانوا يقصدون أيضاً بكلمة التصريف التي يستعملونها الاشتقاق، وهو اختراع الصيغ القياسية من المعتلّ، وهو المسمّى بمسائل التمرين، قال سيبويه: «هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلمون به، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسمّيه النحويون التصريف والفِعْل»[11]، وقال سيبويه أيضاً: «هذا باب ما قيس من المعتل من بنات الياء والواو ولم يجئ في الكلام إلا نظيره من غير المعتل»[12]، وقال كذلك: «هذا باب ما قيس من المضاعف الذي عينه ولامه من موضع واحد ولم يجئ في الكلام إلا نظيره من غيره»[13] فليس على ما يبدو من التصريف عند هؤلاء المتقدمين مسائل الإمالة والوقوف والابتداء مثلاً وإنّما ذكرت في كتبهم تتمياً لمسائل النحو. والصرف كما استقرّ عليه الاصطلاح هو العلم الباحث عن أبنية الكلم العربية من حيث وجود كلّ منها على هيئة مخصوصة، وعن الأحوال التي تعرض لها غير الإعراب والبناء[14]. وهذا كما هو واضح تعريف للصرف اصطلاحاً بالمعنى العلميّ، وهو ما عبّر عنه أيضاً بأنّه «علم **بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء**»[15] أو «**علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم قبل تركيبها**»[16].

وقد أرادوا كما هو ظاهر من هذه التعريفات الثلاثة بالعلم القواعد أو الأصول أو الضوابط أو القوانين الكلية التي يتعرف منها على أحكام جزئيات موضوعها، أو بعبارة أخرى قضايا علم الصرف التي تذكر فيه صراحة أو ضمناً نحو قولهم: كل ما كان على وزن أفعل صحيح العين فمصدره إفعال، وكلّ كلمة على وزن يفعل بتثليث العين فهي فعل مضارع، وكلّ همزة تصدرت قبل ثلاثة أصول فهي زائدة، وكل واو أو ياء تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وإذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وكلّ واو ساكنة إثر كسرة تقلب ياء، وكل همزة إثر فتحة أو كسرة أو ضمة تقلب حرفاً مجانساً لحركة ما قبلها، وكل اسم ثلاثيّ متمكن يصغّر بضمّ أوله وفتح ثانيه واجتلاب ياء ثالثة ساكنة، وكل واو تتجاوز متطرفة ثلاثة أحرف تقلب ياء[17]، وهكذا، فهذه القواعد متى طبقت على جزئيات موضوعها عرف منها أن مصدري أكمل وألق، إكمال وإلقاء، وأن مثل يكتب ويفتح ويقضي فعل مضارع، وأن همزة نحو أحمد وأعلى زائدة، وأن واو قال وخاف ونام وباع ونحوها تقلب ألفاً، وأن واو مقضوي ومرموي تقلب ياء وتدغم في الياء ويكسر ما قبلها، وأن

بقلم: د. عبد الكريم محمد الأسعد



★ د. بدراوي زهران ★



★ د. كمال بشر ★

واو موعاد تقلب ياء لتصبح ميعاد ، وأن المدّة في آمن وإيمان وأومن كانت قبل ذلك همزة ، وأن جبل تصغّر على جُبيل ، وأن الواو في سَانَوْت تقلب ياء فيصبح الفعل سانيت[18] .

والمراد بـ « قبل تركيبها » في التعريف الأخير « أن للكلمات حالتين : حالة إفراد وحالة تركيب ، فعلم الصرف يُبحث عنها وهي مفردة فيبيّن ما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وما يطرأ عليها من تغيير من حالة إلى حالة ، وعلم النحو يبحث عنها وهي مركبة جملاً فيبيّن ما يجب أن تكون عليه أواخرها من رفع أو نصب أو جرّ أو جزم أو بقاء على حالة واحدة »[19] .

وقد وردت كلمة الأبنية في حدّ علم الصرف بالمعنى العلمي في الاصطلاح ، وهي جمع بناء بمعنى البُنْية بضم الباء وكسرها ، وهي في الأصل ذات الشيء المبنيّ وجمعها بُنَى كمدى ، والمراد من بناء الكلمة وزنها وصيغتها معنى واحد ، وهو هيئتها الملحوظة التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها ، وتلك الهيئة هي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها ، ما عدا الحرف الأخير ، مع اعتبار الحرف الزائد والأصليّ كلٌّ في موضعه ، فرجل مثلاً على هيئة وصفة يشاركه فيها عضد ، وهي كونه على ثلاثة أحرف أولها مفتوح والثاني مضموم ، أمّا الحرف الأخير فلا تعتبر حركته وصلاً وسكونه وقفاً في البنية ، فرجلٌ ورجلاً ورجلٍ على بناء واحد ، وقَمَر على هيئة جَلَس ، وجعفر على هيئة دحرج ، ولا دخل لحركة الآخر في بناء الكلمة ، لأن هذا الحرف مقيّد بحركة الإعراب وسكونه وحركة البناء وسكونه ، ولأن الصرفيّ إنّما يعنيه البحث عن هيئة الكلمة العارضة لمادتها حال الإفراد ، وأمّا النحويّ فيبحث عن حركة آخرها الناشئة عن تأثير العامل لتمييز المعاني المختلفة حال التركيب .

وقد ذكرت جملة « يمكن أن يشاركها » لإدخال البناء الذي لا نظير له في اللغة ، أي لا يشاركها في الوجود ، نحو الحبك[20] بكسر الحاء وضمّ الباء ، ونحو طحربه[21] بفتح فسكون فكسر ، ونحو خروع[22] بكسر فسكون فضم .

أما « **الحروف المرتبة** » فهي لإخراج ما دخله القلب المكاني نحو أيس مقلوب يئس ، فإنّه إذا تغيّر النظم والترتيب تغيّر الوزن .

وأمّا « مع اعتبار الحرف الزائد والأصلي » فهو لإخراج بعض الأوزان المتفقة في الحركات المعينة والسكنات ، وعدد الحروف ، ولكنّها تختلف بالأصالة والزيادة ، فإنّه يقال إن كرّم بالتضعيف على وزن فعّل لا على وزن فاعَلَ أو فعلَل أو أفعل مع توافق الجميع في الحركات المعينة والسكون .

وأمّا « كلّ في موضعه » فهو للاحتراز عما تساوى فيه عدد الحركات والسكنات والأصول والزوائد ولكن اختلفت مواضع الحركات أو مواضع الزوائد ، وبيانه أن نحو درهم ليس على وزن قِمَطْر لتخالف موضع الفتحتين والسكونين مع أن كلاً منهما رباعي مجرّد ، وعدد الحركات والسكنات فيهما متساو ، وكذا نحو بَيْطَر[23] مخالف في الوزن لنحو[24] شَرْيَف لتخالف موضعي الياءين الزائدتين فيهما مع كونهما من نوع الملحق بالفعل الرباعي المجرد[25] ، وقد اتفقا في عدد الحروف .

نعود الآن للنظر في تعريف علم الصرف بالمعنى العلمي في الاصطلاح لنبيّن محترزات قيود التصريف فنقول إن قيد « من حيث وجود كلّ منها على هيئة مخصوصة » لإخراج ما عدا الصرف من علوم العربية حتى علم اللغة الذي يبحث عن جزئياته الأبنية ومعانيها تفصيلاً ، أما علم الصرف فإنّه يبحث عنها مندرجة في ضوابط كلية .

وإن قيد « عن الأحوال التي تعرض لها غير الإعراب والبناء » للاحتراز عن علم النحو الذي يعرض للأحوال التي هي إعراب أو بناء .

ويرى بعضهم أن قولنا في التعريف « غير الإعراب » قد يستغنى عنه لأنه لا يقع تغيير في البنية بتغيّر الحرف الأخير ، اللّهم إلا إذا اعتبرنا أن تغيير الجزء كأنّه تغيير للكلّ بناء على ما نراهم يقولونه من أن بكراً مرفوع مع أن المرفوع هو الحرف الأخير فقط ، ويرون أيضاً أنه لا حاجة إلى ذكر « البناء » في التعريف ، إذ المراد بالإعراب التطبيق على القواعد العربية فذكر الإعراب يغني عنه[26] .

قواعد علم الصرف

ومن المناسب أن نقول استطراداً على التعريفات السابقة إن قواعد علم الصرف ثلاثة أقسام : قسم يعرف به ذوات الأبنية كقواعد أبنية المصادر والأفعال المجردة والمزيدة ، وقسم يعرف به حال الأبنية نفسها كقواعد الإبدال والإعلال والإمالة والتقاء الساكنين في كلمة واحدة والإدغام في كلمة واحدة ونحو ذلك في الكلمات التي يحدث فيها التغيير لغرض لفظي ، وكقواعد معرفة اشتقاق أسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان والآلة ونحوها مما يحدث فيه التغيير لغرض معنويّ ، وقسم يعرف به حال الآخر ممّا ليس بإعراب ولا بناء كالوقف والتقاء الساكنين والإدغام في كلمتين . وبإيضاح أكبر نقول إن علم الصرف يبحث عن بنية الكلمات وتحويلها من هيئة إلى هيئة أخرى إمّا لتغيير في المعنى وإمّا لتسهيل أو تحسين في اللفظ ، وإمّا للأمرين جميعاً ، فالأول كتحويل طَلَبَ إلى يطلب واطلب وطالب ومطلوب ، والثاني كما في تحويل مَدَدَ إلى مَدُّ ، وقَوَلَ إلى قال ، والثالث كما في تحويل مَدَّ إلى مادّة أصلها مَادِدَة ، وقال إلى قائل أصلها قاول .

التعريف بعلم التصريف

هذا وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن «**كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، أو بعبارة بعضهم وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، كل دراسة من هذا القبيل هي صرف**»[٢٧].

ويرى **الدكتور عبده الراجحي** أن هذا الرأي يعني أننا نستطيع أن نفهم علم الصرف من خلال الترتيب الآتي:

١ ـ **علم الأصوات اللغوية** يدرس العنصر الأول الذي تتكوّن منه اللغة، أي **يدرس الصوت المفرد في ذاته أو في علاقته مع غيره**.

٢ ـ **علم الصرف يدرس الكلمة**.

٣ ـ **علم النحو يدرس الجملة**.

وأنه من هذا الترتيب نستطيع أن ندرك أن كثيراً من مسائل الصرف لا يمكن فهمه دون دراسة للأصوات وبخاصة في موضوع كالإعلال والإبدال، كما أن عدداً كبيراً من مسائل النحو لا يمكن فهمه إلا بعد دراسة الصرف، لأن الصرف يشكّل مقدمة ضرورية لدراسة النحو كما يتضح من قولنا: زيد قارئٌ كتاباً، فأنت لا تستطيع أن تعرف موقع كلمة «كتاباً» إلا إذا عرفت أن كلمة «قارئ» اسم فاعل، أي أنّك لا تعرف الوظيفة النحوية لكلمة كتاباً إلا بمعرفة البنية الصرفية لكلمة قارئ[٢٨].

يؤيّد هذا ما قاله **ابن جني** «فالتصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثّابتة، والنحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، الا ترى أنّك إذا قلت: قام بكر ورأيت بكراً ومررت ببكر فإنّك إنّما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التعريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة»[٢٩].

إن ما يعنيه ابن جني أن علم الصرف مقدّم على علم النحو لأنّه يبحث عن ذات المفردات والنحو يبحث عن صفة المركبات والمفرد قبل المركب والذات قبل الصفة[٣٠].

ويؤيّد هذا أيضاً ما هو ملاحظ من أن علماء العربية القدماء لم يفصلوا بين النحو والصرف وأن كتب النحو القديمة منذ كتاب سيبويه تشمل العلمين[٣١] معاً.

ولقد **كان علم الأصوات في التراث التقليدي جزءً من علم النحو، يقول برجستراسر**: «كان علم الأصوات في بدايته جزءً من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن»[٣٢].

وكذلك جاء علم الأصوات في التراث جزءً من علم الصرف، فنحن نجد في علم الصرف أبواباً بتمامها تقوم في دراساتها على المنهج الصوتي، وهذا يعني أن المباحث الصرفية التقليدية أفادت إلى حدّ بعيد من الدراسات الصوتية[٣٣]، يقول **الدكتور البدراوي زهران**: «إن الدرس الصرفي يعتمد بالدرجة الأولى على الدراسات الصوتية، وإن دراسة بنية الكلمة في موضوعية دقيقة تقوم على الدرس الصوتي، وكل ما يطرأ عليها من تغيّرات إن هي إلا دراسة صوتية صرفية، وقديماً فطن علماء العربية إلى مثل هذا وقدّموا في هذا المجال أعمالا تشهد لهم بسعة الحيلة وعمق الفكر وفطنة العقل وذكائه، ونحن اليوم في حاجة إلى تسليط أضواء المناهج الحديثة على المباحث الصرفية التقليدية بما يمنحها حيوية تكسبها نبضاً متجدداً يفيض بالأصالة ويحقق الثمرة المرجوة»[٣٤].

ومع ذلك فقد كانت هناك أبحاث صرفية متعددة لباحثين عرب محدثين أقاموها على أساس من علم الأصوات منهم **الدكتور إبراهيم أنيس** في (الأصوات اللغوية) وفي (اللهجات العربية) **والدكتور تمّام حسان** في (اللغة العربية معناها ومبناها) وفي (مناهج البحث في اللغة) **والدكتور كمال بشر** في (دراسات في علم اللغة) وفي (علم اللغة العام) **والدكتور عبد الصبور شاهين** في (المنهج الصوتي للبنية العربية ـ رؤية جديدة في الصرف العربي) **والدكتور عبد الرحمن أيوب** في (أصوات اللغة) **والدكتور رمضان عبد التواب** في (فصول في فقه العربية) **والدكتور أحمد مختار عمر** في (دراسة الصوت اللغوي) **والدكتور محمود السعران** في (علم اللغة) **والدكتور عبد العزيز مطر** في (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) **والدكتور محمود فهمي حجازي** في (مدخل إلى علم اللغة) **والدكتور عبده الراجحي** في (اللهجات العربية في القراءات القرآنية) وغيرهم.

ولقد كنّا نودّ أن نعرض بطريقة أكثر استفاضة وتفصيلاً لتقويم أعمال هؤلاء الباحثين[٣٥] المحدثين ودراساتهم الصرفية التي أقاموها على أساس من علم الأصوات لولا ضيق مجال البحث، فهو طويل بدون هذا، وهو به أكثر طولا.

لقد مضى لنا قبل قليل حديث عن الصرف كعلم، بعد هذا نتحدث الآن عنه كعمل ينشأ عن ممارسة قواعد العلم، ويُعَرَّف على هذا بأنّه تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لغرض معنويّ أو لفظيّ أو لكليهما على ما أوضحنا قبل قليل، أو هو «تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان






★ د. رمضان عبد التواب ★ ★ د. عبد العزيز مطر ★ ★ د. محمود حجازي ★

مقصودة لا تحصل تلك المعاني المقصودة إلا بتلك الأمثلة المختلفة كاسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل والتثنية والجمع إلى غير ذلك»[٣٦].

وقد ردّ **السعد التفتازاني** جودة هذا التعريف إلى أنّه «يشتمل على العلل الأربع، فالتحويل هو الصورة، ويدلّ بالإلتزام على الفاعل وهو المحوّل، والأصل الواحد هو المادة، وحصول المعاني المقصودة هي الغاية»[٣٧].

فللصرف إذاً تعريفان علميّ وعمليّ، والتعريف الثاني هو معنى قولهم «الصرف بالمعنى العملي كذا»، وقد أشار لذلك **ابن القره داغي** في حاشيته على تصريف الأشنوي بقوله: «التصريف قد يكون اسماً للعمل المخصوص، أعني تحويل المصدر المجرد إلى المشتقات واشتقاق المصغّر والمنسوب والجمع عن مباديها، وقد يكون اسماً للعلم المخصوص فحينئذ يطلق بالاشتراك اللفظي على المسائل وعلى إدراكاتها وعلى الملكة الحاصلة من ممارستها ويعرف بالاعتبار الأول بالتعريف العمليّ أعني تحويل المصدر.... إلخ، وبالاعتبار الثاني بالعلميّ وهو علم أي تصديق أو ملكة أو مسائل كانت متعلقة بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب»[٣٨].

الهوامش

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٧.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب ٩:١٨٩.

(٣) انظر شرح السيد الشريف الجرجاني على التصريف العزّي: ٣.

(٤) الصَّبا بفتح الصاد ريح تهبّ من الشرق، وتقابلها الدَّبور بفتح الدال «انظر ابن منظور، لسان العرب ١٤:٤٥١».

(٥) انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط ٣:١٦٧.

(٦) العلّة في الأصل المرض الذي يثبت تارة ويزول أخرى فنسبت حروف العلّة وهي الألف والواو والياء للعلة لأنها تثبت تارة كما في يسعى ويغزو ويرمي، وتزول أخرى كما في اسع وأغزو وأرم «انظر حاشية العدوي على شرح شذور الذهب ١:٩٩».

(٧) أحمد بن محمد الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف: ٤.

(٨) انظر شرح السيد الشريف الجرجاني على التصريف العزي: ٣.

(٩) انظر د. عبد الرحمن شاهين، في تصريف الأسماء ٩.

(١٠) شرح نقره كار على الشافية ٤.

(١١) سيبويه، الكتاب ٢:٣١٥.

(١٢) سيبويه، الكتاب ٢:٣٩٢.

(١٣) سيبويه، الكتاب ٢:٤٠٢.

(١٤) انظر شرح العصام على الشافية ٤.

(١٥) أحمد الحملاوي، شذا العرف ١٩.

(١٦) جرجي عطية، سلّم اللسان، الدرجة الرابعة ٣.

(١٧) انظر ابن هشام، شرح شذور الذهب ٥٨.

(١٨) قالت العرب سانيته وسانيته أي شاركته في السنة «انظر ابن هشام، شرح شذور الذهب ٥٨، وحاشية العدوي على شرح شذور الذهب ١:٨٤».

(١٩) جرجي عطية، سلّم اللسان، الدرجة الرابعة ٣.

(٢٠) الحبيكة كسفينة الطريق في الرمل ونحوه والجمع حبائك وحبك كسفائن وسفن، وقد قرئ في الشواذ: والسماء ذات الحبك بكسر الحاء وضمّ الباء، وهذه هي التي لا نظير لها «انظر شرح الرضي للشافية، القسم الأول، ج١ هامش ص ٢ – ١٣».

(٢١) بفتح الطاء والراء وبكسرهما وبضمّهما هي القطعة من الغيم ومن الثوب «انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط ١:١٠٠».

(٢٢) الخرفع كقنفذ القطن الفاسد في براعيمه والقطن المندوف كالخرفع كزبرج «انظر الفيروزابادي، القاموس ٣:١٨».

(٢٣) بيطر: عالج الدوابّ والمعالج بيطار «انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط ١:٣٨٨».

(٢٤) انظر شرح الرضي للشافية، القسم الأول، ج١:٢ – ٣، وشرح نقره كار على الشافية ٤.

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) انظر أحمد مصطفى المراغي ومحمد سالم علي، تهذيب التوضيح، قسم الصرف ٢:٤.

(٢٧) د. كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ٨٥.

(٢٨) انظر د. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ٧ – ٨.

(٢٩) ابن جني، المنصف ١:٤.

(٣٠) انظر جرجي عطيه، سلّم اللسان، الدرجة الرابعة ٣.

(٣١) انظر د. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ٨.

(٣٢) برجستراسر، التطور النحوي للّغة العربية ٥.

(٣٣) انظر عمر الطرابيشي، شراب الراح فيما يتوصل به للعزّي والمراح ١٥، تحقيق د. البدراوي زهران.

(٣٤) عمر الطرابيشي، شراب الراح ١٤٠، تحقيق د. البدراوي زهران.

(٣٥) من الملاحظ أن من ذكرناهم من الباحثين هم من أهل المشرق في مصر، وليس إهمال دراسات أهل المغرب في هذا الميدان مقصوراً بل حمل عليه ضيق المجال كما ذكرنا، فالدراسات الصوتية في المغرب المعاصر ربّما تكون أكثر ازدهاراً ونشاطاً من مثيلاتها الحالية في المشرق، ولا بدّ أن هناك من عني بالأبحاث الصرفية على ضوء هذه الدراسات.

(٣٦) شرح السيد الشريف الجرجاني على التصريف العزّي ٣ – ٤، وأحمد الحملاوي، شذا العرف ١٩.

(٣٧) شرح السعد التفتازاني للتصريف العزّي ٣.

(٣٨) ابن القره داغي، حاشيته على تصريف الاشنوي ٨.

تصويب لغوي

لبعض الاستعمالات الشائعة

فيما يستعمله الكتّاب والمثقفون اليوم تقع أفعال أو مشتقاتها في عباراتهم فيعدونها إلى أشياء تتعلق بها من المفاعيل وغيرها بحروف معيّنة أو بدونها ظانين أن طرائقهم في الاستعمال عربية فصحى، والواقع ليس كذلك لنسيانهم طرائق العرب الفصيحة، وقد حدثناك عن صور لذلك، ونتابع هنا الحديث فنذكر صوراً مما يجري، ونبيّن صوابه اللغوي.

★ من ذلك قولهم: **تعرفت على صديق جديد في العمل، وعلى طريق جديد إلى منزلي.**

هنا يعدون الفعل (**تعرف**) إلى المفعول بالحرف (على)، والاستعمال اللغوي المسموع عن العرب هو أن يتعدى بالحرف (إلى) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

فصواب العبارة أن يقال:

تعرفت إلى صديق جديد، ويقال إيت فلاناً فاستعرف إليه.

هذا إذا كان المتعرف إليه من عالم الإنسان، أما إذا كان من غير الإنسان فيتعدى الفعل (تعرف) بنفسه فيقال:

تعرفت ما عندك بمعنى: تطلبته حتى عرفته وعلى هذا في تعرُّف الطريق تقول:

تعرفت طريقاً جديداً.

★ ومن ذلك قولهم: **معرفتك بالشيء خير من جهلك إياه.**

فعدى المصدر (المعرفة) بالباء مع أن الوارد عن العرب أن يتعدى الفعل ومصدره وتصرفاته كلها إلى المفعول بأنفسها يقال: عرف الشيء يعرفه معرفة وعرفاناً وعِرفة — بالكسر — علمه.

فالاستعمال الصحيح للعبارة أن يقال:

معرفتك الشيء خير من جهلك إياه.

وقد يسأل سائل: هل يجوز أن يقال: علمك بالشيء خير من جهلك إياه، أو لا بد من حذف الباء، فنقول: كلا التعبيرين جائزان لأن الفعل (علم) يتعدى إلى المفعول بنفسه، ويتعدى بالباء — أيضاً — في مثل هذا المعنى تقول: علم الشيء، علماً: عرفه، وعلم الأمر: أتقنه، وعلم به: شعر.

★ ومن ذلك قولهم: **تعطل أحد عن العمل وهو عاطل عن العمل.**

أي ليس له عمل أو تأخر عن الذهاب إليه. فيعدون الفعل — ومشتقاته — بالحرف (عن) والاستعمال الصحيح أن يتعدى الفعل ومشتقاته بالحرف (من) فيقال: **تعطل من العمل وهو عاطل من العمل.**

في المعاجم اللغوية:

عطِل يعطَلُ عَطَلاً وعُطُولا: خلا، وعطِلَت المرأة وتعطلت إذا لم يكن عليها حَلْيٌ فهي عاطل وعُطُل، وعطِل من المال والأدب: خلا.

وقال أبو تمام:

لا تُنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

والتعطيل: التفريغ والإخلاء، ومُعَطَّل: بقي بلا عمل.

فالفعل الثلاثي والمزيد منه يتعديان بالحرف (من) كما ترى.

★ يكثر في كلام المتحدثين بالعربية الآن، وفي الصحف:

قال فلان بأنه سيفعل كذا. (أي تكلم).

وتعدية الفعل (قال) بالباء في مثل هذه الأساليب غير صحيح عربية، فالصواب: حذفها، لأن الفعل (قال) يتعدى بنفسه في مثل هذا المعنى الذي يقصد به النطق والكلام.

ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى ﴿**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا**﴾[1]، وقوله سبحانه ﴿**قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً**﴾[2]، وقوله ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً**﴾[3].

والفعل (قال) يتعدى بالباء في معان أخرى غير معاني التكلم مثل أن يكون معناه (حكم بكذا) كقوله: قال القاضي بالعفو عن المتهم، أي حكم بالعفو أو يكون معنى (قال): اعتقد مثل قولهم: قال **سيبويه** بهذا الرأي، أي اعتقده وسار عليه ونحو ذلك أو يستعمل (قال) في معنى (قتل) مثل: قال القوم بفلان أي قتلوه، إلى غير ذلك من معان لها مجالات أخرى تصلح معها تعدية الفعل بالباء. أما إذا كان معناه التكلم فلا يعدى بها في العربية.

ولذا ينبغي التفرقة بين المعاني التي يتعدى فيها بالباء وبين المعنى المراد هنا وهو التكلم.

★ ومن ذلك قولهم: **بالسوق ما يحتاجه الناس من البضائع والسلع.**

هنا تعدى الفعل (يحتاج) إلى المفعول بنفسه، وأحياناً يعدونه باللام فيقولون:

نحن نحتاج للألفة بيننا.

والوارد عن العرب تعدي الفعل (احتاج) وتصرفاته إلى مفعوله بالحرف (إلى) فالصواب أن يقول: **بالسوق ما يحتاج إليه الناس إلخ**، وأن يقال: **نحن نحتاج إلى الألفة بيننا**:

وهكذا في المعاجم اللغوية.

الهوامش

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٥.
(٢) سورة مريم، الآية ١٩.
(٣) سورة مريم، الآية ٣٠.



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● **الكتاب**: سنابل الشعر (دراسات ومطالعات).

● **المؤلف**: علي محمد العمير.

● **الناشر**: دار العمير للثقافة والنشر ـ جدة / ط١ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، (٧٠ صفحة).

يجمع هذا الكتاب عشر مقالات، بدأها المؤلف ـ كما يقول في المقدمة ـ نزهات خلوية قام بها مع عدد من الشعراء الفحول، لم يقم بها مرة واحدة، بل اختلسها من الزمن بين حين وآخر. وكان يسجل انطباعاته ومشاعره عنهم بلغة الصحافة على شكل دراسة متواضعة غير مكتملة وعابرة. ولا ندري كيف يعترف بطريقته التعبيرية هذه، مع أن جُلّ مقالاته قد نشرها في مجلات سعودية شهرية وسنوية، لها وزن كبير من الدوريات العربية: كملف اليمامة الثقافي، والمنهل، والمجلة العربية، والفيصل، ومجلة الجزيرة. كما لا ندري كيف يؤكد للقارئ بأن مقالاته لن تخلو من معلومات صغيرة أو فائدة يسيرة أو طرفة نادرة أو ملاحظة فاحصة.. ليست هي كل رسالة تلك المجلات. ولكن لنر ذلك:

إن كتاب العمير ـ أو مقالاته ـ يوضح لنا طريقته في تعامله مع الأعلام الشعراء حيناً، كترجمة لهم، ومع النصوص الشعرية العربية والشعبية حيناً آخر، أو مع الاثنين معاً.

في الشاعر (أعشى قيس) نجد أنه البحث الوحيد الذي نعثر له على هوامش يدلل فيها المؤلف على بعض المراجع التي رجع إليها ليستكمل منها مادة موضوعه.. كالأغاني، والعمدة، وجمهرة أشعار العرب، والأعلام، والشعر الجاهلي، ومجلة العرب، وديوان الأعشى.. واستطاع من تلك المراجع أن يصوغ معاني دراسته عن الأعشى ضمن العناوين التالية: نسبه وعصره، ومكانته بين الشعراء وفي قومه، وغزله وخمرياته، وحياته الاجتماعية.

وقد يخرج العمير ـ أحياناً ـ عن حتمية الحقائق التي استقرأها من مراجعه السابقة، ليقف موقفاً نقدياً حراً.. كما في موضوع طلاق الشاعر لزوجه، أو في بعض الشعر المنحول والمنسوب للأعشى.

وقد يستهون العمير بالهدف الذي يقصده من وراء مقالاته، ويقلل من قيمتها بنفسه من باب الاعتراف والصدق والتواضع والسخرية.. لكن مقاله في (القهوة في الشعر الإحسائي) الذي رجع فيه إلى كتاب (شعراء هجر) واقتطف منه بعض النصوص الشعرية لأولئك الذين يغرمون بالبن، ويهيمون بأقداح القهوة، قد جاء على بعض الجوانب الوجدانية والنفسية والاجتماعية من خلال شعر القهوة، ولكن كان يعوزه الكثير من التركيز.

وقد يقوده اعترافه الصريح إلى المس بمقدرته الإبداعية وعدم جدارته أو تأهيله للكتابة عن الأعلام في الشعر أو النثر، ويرجعها لانشغاله أو اشتغاله بالصحافة «هذه الطاحونة التي تسحق الوقت، وتمحق كل فرصة للاطلاع والتزود». يقول هذا الكلام وهو يروي لنا شيئاً عن أخبار (العتابي الفيلسوف الشاعر) وشعره وفلسفته من كتابي (قصص العرب والأغاني).

ولا يغفل العمير ـ وهو في نزهاته الخلوية مع سنابل الشعر ـ الشعر الشعبي، ومن خلال مقالين ـ هما الأدب الشعبي في الجنوب، والمعارك الحربية في الشعر الشعبي في الجنوب ـ يعرض

لنا قصيدتين من الشعر الشعبي ؛ فكانت قصيدة المقال الأول ـ التي لم يذكر قائلها ـ تفيض بالعواطف الوطنية والإنسانية ، وتدعو بطريقة فنية ـ كنا نود لو أبرزها العمير ـ إلى التمسك بالقيم التي تتواكب مع الأرض والإنسان المواطن . وقد أظهر العمير روح السخرية اللاذعة في أسلوب الشاعر .

ولم يتعرض ـ كما أشرنا ـ إلى جمال القصيدة الفني ، سوى قوله إنها « لوحة إنسانية رائعة مفعمة » . لأن اهتمامه كان يرتكز على إبراز أهمية ومكانة الشعر الشعبي في الجنوب . ويتجلى هذا الاتجاه في القصيدة الثانية ، حين أفادنا أن الشعر الشعبي كالشعر العربي من حيث فاعليته في إذكاء مشاعر النخوة والحماسة والشجاعة في نفوس المقاتلين ، من خلال مقدمة طويلة ، لنقف معه في مقالته ، التي هي أشبه بدراسة أدبية لنص شعري شعبي قيل بمناسبة تاريخية بطولية لقبائل الجنوب وصمودهم ووقوفهم بوجه الهجمات العدوانية العثمانية .

لقد منحنا المؤلف قسماً كبيراً من الطريقة الأدبية في الدراسة الفنية للنصوص ، بأن عرفنا عن جو النص عبر البيئة وظروفها السياسية والتاريخية والجغرافية التي لها علاقة وثيقة بالنص ، ثم شرح الأبيات بيتاً بيتاً . أي أن دراسته انصبت على المضمون ، وتجاوز الشكل أو بناء القصيدة ، وشخصية الشاعر وأسلوبه ، ومقارنته بغيره من النصوص الفصحى أو الشعبية .. إلا أن الدراسة تظل خطوة حسنة في الكشف عن البطولات الشعبية القبلية من خلال شعرهم الشعبي .. فكانت تلك القصيدة التي نظمها الشاعر الشعبي (عبد الله أمسلامي) تجسد بطولة القبائل العربية في جيزان إزاء التسلط التركي .

وأخيراً ، فإن كتاب (سنابل الشعر) ، يفتح أمامنا نافذة جديدة نطل منها على عالم المجد الأدبي والثقافي والذاتي .. ويكشف لنا من جديد بعض المزايا الشخصية ـ الخاصة والعامة ـ التي يتمتع بها . وإن من يود أن يكتب عنه ، فسيتلمس صفات بارزة في كتاباته أهمها الصدق الوجداني ، الذي تشف ذاته من خلاله بوضوح .

★ علي محمد العمير ★

● الكتاب : نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي .

● المؤلف : بدر أحمد كريم .

● الناشر : تهامة ـ جدة / ط١ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، (٢٠٦ صفحات) .

تتسم مادة هذا الكتاب بالبريق والطرافة والحداثة .. وبالغزارة والتنويع والأهمية . وذلك لما يثيره موضوع الإذاعة من معان شتى في ذهن ووجدان السامع ، لما تغذي فيه من قيم جمالية وشعورية وفكرية . وبالتالي لما للإذاعة من دور فعال في كيان الدولة المعاصرة ، من دعاية وتوحيد وتثقيف ، ووسيلة ناجحة في زرع نفوس المواطنين بالأمن والنظام والحب والخير .. وفي صد هجمات العدو ، ودحض ادعاءاته وأساليبه المغرضة من غزو فكري أو ثقافي أو سياسي معادٍ لقيم ومبادئ وتقاليد الأمة .

كذلك كان لممارسات المؤلف الإذاعية ـ حوالي ربع قرن ـ دور كبير في إخصاب موضوع الكتاب ، وصبغه بالروح الحية ، والبحث الميداني ، ووسمه بالواقعية والالتصاق بعمق بالإذاعة كآلات ووسائل وأجهزة إدارية وفنية وعلمية وإبداعية .. بالإضافة إلى أن المؤلف كان يستعين بموضوعه ـ بين وقت وآخر ـ بمصادر ومراجع عربية وسعودية تغني مواده وأفكاره ، لا سيما التي كانت بعيدة عن تاريخ ممارساته الإذاعية ؛ كان يلجأ إليها لتكسب منهجه الدقة والموضوعية والشمول ؛ ولأن موضوعه بالأساس يقوم على النظرة التاريخية في نشأة وتطور الإذاعة السعودية ، عبر المراحل التي مر بها اكتشاف الراديو ، فنشأة الإذاعة في العالم الغربي والعربي .. حتى وقوفه على ظهور الإذاعة في المجتمع السعودي ، ليكون محور الدراسة ، ومجال الإفاضة حول الأفكار والمعاني التالية :

● أولا : حالة المجتمع السعودي قبل ظهور الإذاعة ، وقد عبَّر عن هذه الحالة بقول لأحمد عسه عن البدوي الذي « انتقل في المملكة من طور حضاري متخلف ، إلى طور حضاري أكثر تقدماً عندما أصبح مواطناً في شعب ، بعد أن كان فرداً في قبيلة ، لا يعرف المواطنة ، ولا يحسها ولا يشعر بضرورتها » .

● ثانياً : كيف نشأت الإذاعة السعودية ؟ ويلجأ إلى المراجع التي « تجمع على أن نشأة الإذاعة السعودية كانت الساعة الواحدة من مساء يوم الأحد ٩ ذي الحجة عام ١٣٦٨ هـ ، (الأول من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٤٩م) ، وهو يوم الوقوف بعرفات .. الذي انطلق فيه إرسال الإذاعة في تاريخ المجتمع السعودي » .

● ثالثاً : ملامح من شخصية الإذاعة السعودية في نشأتها المبكرة : ويشكو المؤلف من شح المصادر

وتناثر المعلومات، ولكنه يستفيد من الزركلي، وعبد الله عريف، وإبراهيم أمين فودة، في إيضاح ملامحها الأولى، في نشأتها المبكرة، وفي واقعها.

● رابعاً: تطور الإذاعة في المجتمع السعودي: ويفصل المؤلف كلامه في هذا التطور من خلال المراحل والأوضاع التالية:

(أ) المرحلة الأولى من بداية الإرسال الإذاعي عام ١٣٦٨ هـ، حتى عام ١٣٧٤ هـ؛ وذلك حسب وضع الإذاعة من الناحية الهندسية، والقانونية والإدارية ومواعيد البث.

(ب) المرحلة الثانية من عام ١٣٧٤ هـ، حتى عام ١٣٨٠ هـ، وذلك حسب أوضاع إذاعية جديدة أهمها: الوضع الفني، والتطور في البرامج، وفي مواعيد الإرسال.

(ج) المرحلة الثالثة من عام ١٣٨١ هـ، حتى عام ١٣٩١ هـ، ودرس هذه المرحلة حسب: مكونات العصر الذهبي للإذاعة السعودية، وملامح التطور لذلك العصر الذي شمل تطوراً في ساعات الإرسال، ونوعيات البرامج، وفي الموجات التي تبث عليها.. حتى ظهور التلفزيون في المجتمع السعودي وأثره على الإذاعة.

وكان أبرز ظاهرة لتلك المرحلة: إنشاء وتطور إذاعة صوت الإسلام (نداء الإسلام حالياً) من مكة المكرمة. ثم إنشاء إذاعة الرياض وبدء البث الفعلي وذلك في الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء غرة رمضان عام ١٣٨٤ هـ.

(د) المرحلة الرابعة والأخيرة من عام ١٣٩٢ هـ، حتى الوقت الراهن، وتشمل إذاعة القرآن الكريم من مكة المكرمة، ونشأة وتطور إذاعة القرآن الكريم من الرياض، وما استجد من أهداف وأنشطة.

ولقد خصص المؤلف فصلاً مستقلاً عن: (البرامج الموجهة في إذاعة المملكة العربية السعودية)، واعتمد في هذا الحديث على تقرير غير منشور (بخط اليد) لعبد الله عمران في إذاعة جدة القسم الفرنسي. وكانت الموضوعات التي تطرق لها المؤلف هي: أبعاد البرامج الموجهة في ظل الظروف التي يشهدها العالم الآن، والإذاعات الموجهة باللغة الأجنبية، ودورها في عهد الاستعمار، وتصفية الاستعمار، وحروب الأيديولوجيات، والإذاعة الموجهة ودورها في حرب الأيديولوجيات، والدعاية الصهيونية وموقفها من حقائق التاريخ، وأمثلة على أهمية البرامج الموجهة في الإذاعة: ثم فكرة عامة عن نشأة البرامج الموجهة في الإذاعة السعودية. ثم يقف المؤلف عند اللغات الأجنبية التي تبث بها الإذاعة برامج موجهة، وعددها اثنتا عشرة لغة هي: الأوردية،



★ بدر أحمد كريم ★

والأندونيسية، والتركية، والفارسية، والسواحلية، والصومالية، والبنغالية، والكورية، والتركستانية، والبمبرية، والإنجليزية، والفرنسية.

ويستخلص المؤلف أخيراً استراتيجية البرامج الموجهة في إذاعة المملكة، ودورها في خدمة سياسة المملكة وفي تنوير الرأي العام العالمي، ورسالة المملكة إلى شعوب العالم، والصعوبات التي تواجه البرامج الموجهة وكيفية العمل على حلها.

والكتاب غني بالتقارير والإحصائيات، والأرقام، والنسب، والحقائق، والمعلومات التي تهم كل شؤون الإذاعة، وبرامجها الدينية، والثقافية، والإخبارية، والمنوعات.. وكل ما من شأنه تثقيف المواطن، وتوجيهه، وزرع الثقة، وحب المعرفة والاستطلاع، وحب الحقيقة والوطن والأمة والدين.. في نفس المواطن.

والكتاب أصبح أبرز مرجع للباحث عن حقيقة الإذاعة السعودية، في مختلف أطوارها ومراحلها التاريخية، وقضاياها الفنية والإدارية والتوجيهية.

● الكتاب: رجل على الرصيف (مجموعة قصصية).

● المؤلف: عبد الله سعيد جمعان.

يشكل الإطار الاجتماعي أساساً لحدث معظم أقاصيص مجموعة (عبد الله سعيد جمعان) - رجل على الرصيف -. والقاص يعالج كثيراً من مشكلات مجتمعه التي يعيشها أفراد هذا المجتمع، ويحسون بوجوب تجاوز سلبيات الواقع، والتمسك بقيم الحياة الاجتماعية، ومثلها، وبالأصالة، منطلقاً يحدد خطوط تحرك الحياة بعامة.

والقاص في قصصه يعتمد على الطرح المباشر للأحداث، ويتخذ من طريقة السرد المباشر مساراً فنياً لرسم خطوط الأحداث وتحركات شخوصه، بل إنه يعتمد على لغة هذا السرد المباشرة، بل إن اللغة ذاتها أوقعته في متاهات المباشرة، والتقريرية، ذلك لضغط الفكرة الاجتماعية المستهدفة على فكره، وتعبيراته.

وتبدو طريقة القاص في معالجة مشكلات الواقع المعاش أقرب إلى السرد التقليدي الذي تعودناه في قصص الرواد لهذا الفن، ويبدو أنه أراد طرح أفكار

مسبقة بدت ملحّة عليه، مما أفقد القصص - باعتبارها قصصاً قصيرة - أهم ما يميز هذا النوع من الفنون، فالقصة عنده تتحرك في أكثر من اتجاه، وترسم أكثر من علاقة، وتتحدد معالم الشخصيات في لحظات متفاوتة، بأكثر من لوحة تعبيرية، ومن هنا فالقصة عنده تفتقد التوقف، وتكثيف اللحظات الشعورية المفردة، وتركيز الرؤية على موقف حياتي شعوري بعينه، وهو ما يميز القصة الفنية، القصيرة في المقام الأول.

ولعل الحوار الذي استخدمه القاص في معظم أقاصيص مجموعته هذه، هو حوار يتكئ على الفكرة أساساً للطرح، بمعنى أن الحوار لم يوظف إلا من أجل الفكرة المسبقة، فافتقد دلالته، وإيحاءه اللذين يتوجبان على كاتب القصة القصيرة للتحرك ضمن إطاره، إذ إن الحوار في كثير من معالجات كتّاب القصة، وكاتباتها، في الأدب المعاصر، أداة ووسيلة فنية معمّقة للإطار العام، لمدلولات اللغة والإحساس بالموقف، من حيث معايشته، والتعامل معه.

ولنقرأ جزءاً من قصته (خيوط العنكبوت) التي تبدو رامزة من حيث عنوانها، لكن القاص يأخذ في ترجمة الرموز، بل تفسيرها بصورة مباشرة أفقدت اللغة دلالتها، يقول القاص معتمداً على طريقة السرد، والحوار كليهما:

(وفي ذات يوم مررت عليه في منزله المهجور، وقد صعد على سلم خشبي، وأمسك بيده جريدة طويلة، راح ينفض بها جدار الحجرة... وقلت له:

- ماذا تفعل يا أبا سراج؟.

فقال مبتسماً:

- أحطم خيوط العنكبوت كما ترى!.

فقلت له:

- أتعني بها التقاليد، والجهل، اللذين يكبلانا كما قالت زينب؟.

- ربما... ولو أن تلك الخيوط يلزمها وعي شامل وحرب ضروس من كل الفئات.

فقلت:

- لقد صدقت يا عمر...).

ولعل طريقة القاص السردية المباشرة، وأسبقية الفكرة القصصية عنده، وإلحاحها عليه، قد دفعته إلى الاعتماد على اللغة التقريرية، ودفعت به - كذلك - إلى التدخلات الذاتية، فبدت بعض الآراء المطروحة، خاصة به، ومعبِّرة عن فكره هو، ولغته وإحساسه هو، بالمقام الأول، وهذا جزء من قصته (رجل على الرصيف) التي عنون بها مجموعته، وهي تحاول أن تتخلص من قيود التقليدية في السرد والحوار، ويحاول القاص - كذلك - الارتقاء بالشخصية القصصية إلى مصاف النماذج، يقول راسماً صورة لمأساة إنسان الصراع مع واقع الحياة، وصخبها، ولهاثها، وإن بقيت الرؤية ذاتية ومحددة:

(وتدور عجلات الحياة تبتلع ساعات العمر. وتنتهي صفحة من حياة الإنسان لتبدأ صفحة أخرى، ينتهي الليل وما في جوفه، وظلامه من مآس، وآلام، وسعادة، ومناجاة، وأحلام...، لتبدأ صفحة جديدة مع إشراقة الصباح الباكر... فيها الكفاح، والمزيد من تشبث الإنسان بالبقاء، والحياة... العامل إلى عمله، والموظف إلى مكتبه، والتاجر إلى متجره، الكل يسعى إلى لقمة العيش).

ولا يخفى أن كثيراً من كتّاب القصة في مجال المعالجات الاجتماعية، إنما يعتمدون على الطرق التقليدية في التصوير، ومن هنا بدأ كثير من هؤلاء الكتّاب الاعتماد على تصوير الواقع بكل جزئياته، وتفصيلاته، فالواقع عندهم أداة فعّالة ووسيلة لتجسيد أعماق الإنسان، وهذا ما يميز الواقعية النقدية دون شك، وقد كان القاص في مجموعته هذه متحركاً داخل هذه الدائرة، فصوره دقيقة، وواقعية، ويتخذ منها وسيلة للمشاركة، والتوحد، يقول في جزء من قصته (الشيء الذي لا نملكه):

(الفجر الجميل يتنفس... فينبثق في الأفق الشرقي نبع من الضوء بسط أشعته، فتبدد ظلام الليل... وبدأت خيوط الفجر تتسلل على الكون، وتجوس خلال الحقول وتتسلل خلال الشعاب، والوهاد، فتوقظ كل شيء للحياة... ويرتفع صياح ديك إيذاناً بمولد يوم جديد، وتشرق الشمس لتبدأ رحلتها الأزلية...).

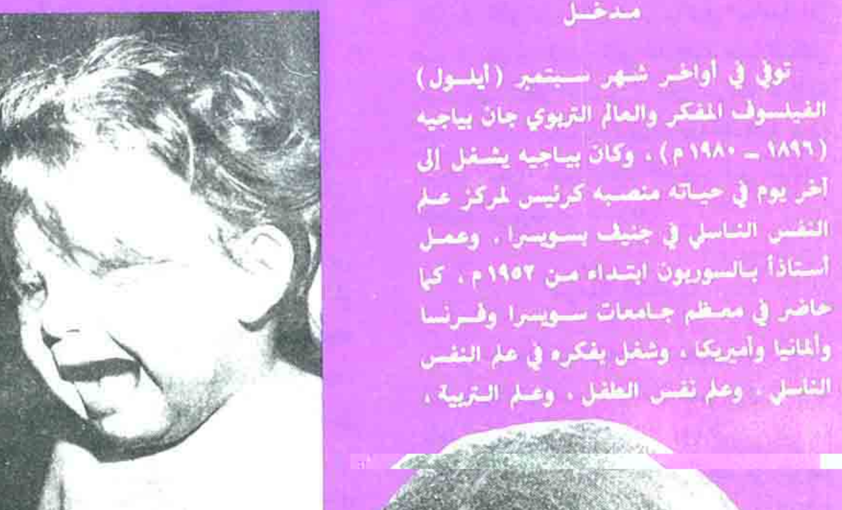
★ عبد الله سعيد جمعان ★





تربية الطفل عند جان بياجيه

بقلم: د. عبد الفتاح الديدي



مدخل

توفي في أواخر شهر سبتمبر (أيلول) الفيلسوف المفكر والعالم التربوي جان بياجيه (١٨٩٦ ـ ١٩٨٠ م)، وكان بياجيه يشغل إلى آخر يوم في حياته منصبه كرئيس لمركز علم النفس الناسلي في جنيف بسويسرا، وعمل أستاذاً بالسوربون ابتداء من ١٩٥٢ م، كما حاضر في معظم جامعات سويسرا وفرنسا وألمانيا وأميريكا، وشغل بفكره في علم النفس الناسلي، وعلم نفس الطفل، وعلم التربية، ونظرية المعرفة، أوساط المثقفين والعلماء والمناطقة في جميع أنحاء العالم طوال الأربعين سنة الماضية، وتأخر انتشار آرائه التربوية في أميريكا إلى أن اعترف علماء النفس والتربية هنالك في أواخر الستينات بالنتائج الهائلة التي وصل إليها، وتألفت هنالك حلقات تجريبية من المشايعين لآرائه والدارسين لنظرياته. وانتشرت الأبحاث والدراسات التي تشرح أفكاره وتؤيد اكتشافاته ومن أشهر

تربية الطفل

مؤلفاته « اللغة والفكر عند الطفل » ، و« الحكم والاستدلال عند الطفل » ، و« امتثال العالم عند الطفل » ، و« السببية الفيزيائية عند الطفل » ، و« نمو فكرة الزمن عند الطفل » ، و« تكوين الرمز عند الطفل » فضلاً عن المقدمة في « المعرفة الناسلية » من ثلاثة أجزاء ولعبت هذه الكتب أكبر دور في تاريخ علم نفس الطفل وعلم التربية ونظرية المعرفة .

تربية الطفل

يتمتع الطفل عند الميلاد بعدد من الصفات الوراثية الناشئة عن وراثة الإسكيم الأصلي أباً عن جد ، ولذلك يتصرف الطفل في السنتين الأوليين وفقاً لعادات حسية حركية وراثية لا تزيد على كونها أفعالا منعكسة بسيطة وقليلة العدد مثل المص والقبض على الأشياء وتحريك اليدين والساقين حركات عشوية غير هادفة .

ثم يظهر بعض التنظيم في هذه الحركات ويدل ذلك على وجود المقدرة عند الرضيع على توجيه الأفعال المعتادة المتكررة فيمسك يدأ بيد ويوجه فمه نحو أية ملامسة للفم والشفتين .

والمهم أن نؤكد أنه لا توجد عند الأطفال أية قدرات عقلية لأنهم لا يرثون أية قدرات من هذا النوع . لا توجد قدرات عقلية وراثية معدة سلفاً وجاهزة تماماً عند الرضيع . كل ما يملكه من حطام الدنيا أن هذا التعبير هو الإسكيم الوراثي الذي يمتد وينمو ويتطور حسياً وحركياً وفقاً للاتساع الأفقي والرأسي للأشياء والملموسات والمسموعات والمحسوسات والمرئيات والمذاقات الموجودة في إطار حياته .

وكان الخطأ الأكبر في تصور الطفل عند السابقين على بياجيه المولود سنة ١٨٩٦ م ، أن الطفل صورة مصغرة للكبار وكل ما يظهر عليه من عيوب فهي مجرد ملامح قصور عن الكبار . وهذا الفهم خاطئ من أساسه . لمقارنة حركات الطفل بأفعال الكبار من أجل اكتشاف عيوبها لا تؤدي إلى فهم الطفل وإنما يمكن اكتشاف الطفل عن طريق أفكاره وكلامه وإدراكه ومنطقه وعملياته النفسية في حد ذاتها وهو ما نطلق عليه اسم التناول الوضعي للنشاط النفسي عند الطفل .

والطفل يفكر بغير شك ، والرجل يفكر أيضاً ، وهذا الشبه لا يدعونا إلى المقارنة بينهما لأنهما يفكران حقيقة ولكن بأجهزة مختلفة وكلا على طريقته كما أن الأسماك تتنفس والإنسان يتنفس بأجهزة مختلفة عن الآخر . فالطفل لا يزال يخضع لأجهزته وقدراته التي



تنمو وفقاً لتطور الإسكيم الوراثي واتساع مداه بناء على عمليات **التكيف** adaptation **والمواءمة أو التعديل** accomodation **والتمثل** assimilation **والتصحيح** correction **والتنظيم** organization **والانضباط** adjustment والانتقال التدريجي من مرحلة إلى مرحلة .

لا يرث الطفل سوى الإسكيم أو المخطط الإجمالي لحركات النمو والتوسع الذهني بدون أي قدرات جاهزة . ويمر الطفل بمراحل ضرورية حتمية ولا يمكنه أن يقفز إلى مرحلة أعلى بدون مرور بالمرحلة التي تسبقها . ومهما اختلفت الأعمار قليلاً أو كثيراً في متابعة ومواصلة هذه المراحل بالترتيب الطبيعي ، ومهما تشابهت بعض الملامح في مراحل التداخل بين المرحلتين ، فإنه لا سبيل إلى تخطي المراحل أو تجاوزها ولو أظهر الطفل نبوغاً مبكراً فإنه يظل متوقفاً عند هذا النبوغ حتى يمر بمرحلته التي تسعفه ببقية الوسائل والأدوات لتعميق هذا النبوغ المبكر ، كما قد يظهر في حالات التفكير الاستدلالي أو التفكير التجريدي أحياناً قليلة جداً ونادرة .

المرحلة الحسية الحركية

ونذكر هنا بهذه المراحل التي نكررها لكي تكون واضحة في أذهان الجميع فالطفل يمر بمرحلة حسية حركية لمدة سنتين ثم مرحلة الترميز البسيط لتأليف اللغة حتى سن الثالثة والنصف ، وهي التي تقترن بظهور الأنوثة أو التمركز الذاتي عند الطفل ، وتستمر عنده حتى سن الخامسة تقريباً ، ثم مرحلة ظهور الفكر من الثالثة والنصف حتى الرابعة والنصف أو الخامسة .

وفي هذه المرحلة تظهر الأفكار أو التصورات المسبقة التي ستصبح في المرحلة التالية تصورات بالمعنى الصحيح بعد توزيعها وتصنيفها داخل أنواع الأشياء وفئاتها وأصناف الأفعال . وفي مرحلة التصورات المسبقة تكون الأفكار مهزوزة وعارضة وعابرة لأن الطفل لا يكون عادة واثقاً عندئذ ما إذا البرسيم الذي يشاهده أمام الحمار في الطريق هو نفسه الذي شاهده من قبل في المزرعة على بعد ميلين من المدينة . وليس الطفل عندئذ متأكداً من أن اللبن الذي يشربه في الكوب هو نفسه الذي كان بالزجاجة التي صب منها اللبن في الكوب . ويطلق اسم ما قبل الفاعلية على هذه المراحل من الثانية حتى السادسة عند الطفل حيث يظهر المنطق المحسوس أو تظهر مرحلة الفاعلية فيما بين السادسة والسابعة تظهر مرحلة الفاعلية وهي المرحلة المحكومة بظهور المنطق المحسوس من مركبات ملموسة أو مرئية أو مسموعة .

مرحلة الفاعلية

ومرحلة الفاعلية تتفاوت في الظهور عند أطفال البيئات والأقاليم المختلفة ، ولكن ظهورها في الغالب يتأكد ما بين السادسة والسابعة . وهنا في هذه المرحلة تثبت التصورات الأساسية . وهذه المرحلة هي مرحلة التعلم الغزير لأن عقل الطفل يتقبل المعلومات الكثيرة بسرعة ملحوظة ، ويمكن حشد البرامج التعليمية هنا بشكل غزير وسليم ، لأن سوء تكوين التصورات الأساسية في هذه المرحلة يؤدي إلى نتائج تربوية وذهنية سيئة عند الطفل . وأي تشويش يؤذي كيان الطفل الذهني ويتحول التصور هنا إلى عامل ديناميكي متكامل مع نفسية الطفل وشخصيته . والتصور هو ما ينشأ عن عملية تقطير العديد من الأفكار حتى تصبح جزءاً من كيانه العضوي بأسره وحتى يمكن أن تفجر خطوط ومعالم النشاط الذهني بداخله .

ويطلق عادة على هذه المرحلة اسم **مرحلة الفاعلية العينية** . وفيها يتم تكوين التصورات البسيطة عن التصنيف والتسلسل والعدد والطول والمساحة وغيرها ويؤلف الطفل تصوراته عن الوزن وكذلك مؤخراً عن الحجم . ويجري عادة تجريد هذه التصورات من الأشياء المادية . ولهذا فهي مرحلة فاعلية عينية يجري استخلاص التصورات خلالها من أشياء قائمة وماثلة بالفعل أو من ذكريات عن تلك الأشياء . ويستطيع الطفل أن يحل المسائل في حدود الأشياء الماثلة التي يتيسر له التعرف عليها والتي تعاونه في عمليات تفكيره في كل خطوة من خطوات المسألة .

وعندما يقوم الطفل بهذه التجارب ويمارس وجوده بين

الأشياء يترقب ما حوله للإجابة على مسألته ، ويناقش الإجابة مع زملائه ووالديه ومعلميه ، ويسعى للحصول على تفسيرات ، ويسجل النتائج في ألفاظ ذهنياً وعلى الورق . ولا يستطيع الطفل أن يقدم الفروض من أجل الحل في هذه المرحلة بشكل نسقي ، وتظهر خلال هذه المرحلة **التصورات الاجتماعية** في سن الثامنة والنصف **والتصورات الأخلاقية** في التاسعة والنصف . وتستمر هذه المرحلة حتى سن الثانية عشرة عندما تبدأ **مرحلة التفكير التجريدي** مع ظهور المراهقة عند الطفل .

مرحلة التفكير التجريدي

ابتداء من سن اثني عشر عاماً يمكن الطفل أن يفكر تفكيراً تجريدياً وأن يقدم أنواعاً من الفروض للعمليات الفكرية كما يستطيع الطفل أو المراهق أن ينتقل من المجرد إلى الشيء الجزئي أو من المجرد إلى المجرد . خلال هذه الفترة تتكون عند المراهق التصورات ويشرع في استخدامها ابتداء من مجردات مثل تصور النسب مثل العلاقة القائمة بين العلاقات في القانون والعدالة واللانهاية إلى آخره .

ونطلق على هذه التصورات والعمليات اسم **الصورية** Formal لأنها تأخذ شكلاً أو صورة وتصبح قريبة من معنى **الصيغة** Formula التي تنشأ عن التفكير في المجردات مثال ذلك عندما نقول : **يد ٢ أ** للماء فهذه هي الصيغة المجردة التي تعادل قولنا : الماء يتألف بنسبة واحد أيدروجين واثنين أوكسيجين أو مثلاً عندما أقول :

كل إنسان فان
وسقراط إنسان
إذن سقراط فان

وأود أن أحول هذا إلى صورة مجردة أو صيغة رمزية فأقول :

كل أ هي ب
و س هي أ
.·. س هي ب

فهذه الرموز المعبّر عنها في الصيغ السالفة هي صورة مجردة للكلام الوارد في القضايا والجمل المذكورة قبلها . ويقال الصيغ التي تنشأ من التفكير في المجردات عادة في مقابل استخلاص التعميمات من المشاهدات العينية . والتجربة هنا حقيقية ، مثلها مثل التجارب العينية التي تكلمنا عنها في المرحلة السابقة ، ولكنها تتميز بأنها ذهنية خالصة . وغالباً ما تكون نتيجة فاعلية بعض التصورات على غيرها . مثال ذلك تفاعل تصور العدالة وهو فكرة مجردة خالصة مع تصور النفعية غير الأخلاقية ، وهو فكرة أخرى مجردة خالصة يمكن أن تولد تصور القانون ، وهو أيضاً مجرد ، وقد يبعث ذلك مراهق السنوات الثالثة عشرة وما بعدها إلى وضع الفروض عن الممكن والمستحيل .

ويذهب بياجيه إلى أن صورة هذا الاستدلال عند المراهق والبالغ وأعني به **الاستدلال الصوري** يتخذ نماذج من الأنشطة الذهنية تماثل العمليات الرياضية في الفئات والمتقابلات ، ونستطيع متابعة منطق التفكير عند الطفل ونمو العديد من التصورات ونماذج التفكير التي تعين الطفل على التحول إلى كائن بشري مفكر ابتداء من تطور عمليات الاستدلال في هذه المرحلة .

وهذا يؤكد أهمية المراحل الأولى في استكشاف عوامل النمو العقلي عند الطفل التي تعتبر أساساً لكل إمكانات التفكير المنطقي المسلسل في سنوات حياته كرجل بالغ ، فضلاً عن أن النمو العقلي هو حلقة الاتصال بين كل مظاهر الحياة النفسية والوجدانية والعضوية والاجتماعية والفكرية لدى البالغين .

المنطق عند الطفل

وبياجيه هو أول من قدم لنا ثروة من التفصيلات التي تتعلق بأفكار الأطفال عن العالم المحيط بهم . وأظهر بياجيه أهمية هذه الأفكار بوصفها ذات قيمة في ذاتها بعيداً عن نطاق تسجيلها في صورة إحصائيات . والكتاب الوحيد الذي استخدم فيه الإحصاءات بكثرة هو كتابه « النمو المبكر للمنطق عند الطفل » الذي ظهرت ترجمته عام ١٩٦٤ م ، بأمريكا . وبهذه المناسبة نشير أيضاً إلى أن بياجيه يعارض في استخدام القياسات المختلفة للقدرات عند الأطفال ولم يضع بياجيه سوى قياس واحد يسمى « **قياس بياجيه ـ هيد** » الذي اشترك في وضعه مع **هيد** من أجل قياس ومعرفة أفكار الطفل في سن الرابعة والنصف حتى الخامسة والنصف لاعتقاده في صعوبة التعرف على حقيقة تفكير الطفل بالوسائل الأخرى في تلك السن بالذات . **وجرى استخدام هذا القياس في أمريكا لمعرفة مستوى تفكير أولاد الفقراء الذين يقبلون على المدارس لأن المسؤولين اكتشفوا تخلفهم عادة في التعليم على أولاد ميسوري الحال .**

والمهم هو أن بياجيه كشف لنا طرق التعرف على تفكير الأطفال للحصول على نتائج كيفية لا نتائج كمية . واعتاد أن يستخدم هذه الأفكار للكشف عن مسار النمو الذهني في نشأة الأطفال الصغار والمراهقين . واعتاد بياجيه أن يسجل الأسئلة التي يوجهها الأطفال بعضهم إلى بعض ، ويعيد بدوره توجيهها إلى الأطفال فيحصل منهم على إجابات نموذجية أقرب ما تكون إلى الكشف عن مقوماتهم الذهنية .

وقد لاحظ بياجيه حدوث ثورتين كبيرتين في حياة الطفل أولاهما في سن الثانية ، أي في نهاية المرحلة الحسية الحركية ، وثانيتهما في سن الثانية عشرة ، أي في نهاية مرحلة الفاعلية وبداية سن المراهقة . وتحدث الثورة الأولى في حياة الطفل في سن الثانية لإحساس الطفل فجأة بانفصاله عن الأشياء وبأنه لم يعد جزءاً من الأشياء . وعلى ذلك تنبعث في نفسه ظلال الأنوية أو التمركز الذاتي حتى يمكن تلافي شدة هذا الانفصال عن الأشياء المادية . وتستمر معه الأنوية مدة المرحلة قبل الفاعلية أو ما قبل نهايتها بقليل . أما المراهقة في سن الثانية عشرة فتصحبها الثورة الثانية لحدوث عمليات الهدم والبناء في جسم الطفل ودخول عمليات ذهنية تجريدية في محيط تفكيره .

علم النفس الناسلي

ولعله مما يسترعي الانتباه أن الأمريكيين لم يشرعوا في الانتباه الحقيقي نحو **علم النفس الناسلي** عند **بياجيه** ونحو أفكاره التربوية إلا في مطالع الستينات بعد ثلاثين سنة من الإهمال الكامل في حين استقبلت باريس **بياجيه** في مطلع الخمسينات بحفاوة بالغة وظل يلقي محاضراته أربع سنوات كاملة بالسوربون كأستاذ لعلم نفس الطفل في المدرج الكبير بملحق مبنى السوربون .

والسر في ذلك هو إقبال الأمريكيين المنقطع النظير على اختبارات الطفولة وقياسات الشخصية . ولكنهم اضطروا في النهاية إلى الاعتراف بعلم نفس الطفل عند **بياجيه** وباتجاهه التربوي . وهم يذهبون في الغالب إلى أن المعلومات التي قدمها بياجيه عن سلوك الأطفال غير جديدة . أما إضافاته إلى علم نفس النمو عند الأطفال الكبار فهي ذات أصالة منقطعة النظير . فقد قدم وصفاً نسقياً للمراحل والعمليات التي يتم بها حصول الأطفال على معرفتهم بالعلاقات المكانية واستمرار وجود الأشياء والسببية إلى آخره . وقد تحتوي بعض اختبارات الأطفال على بعض الموضوعات مثل الملاحقة البصرية للأشياء المتحركة في الشهور الأولى للطفل وبحث الأطفال عن الأشياء المرئية التي تختفي في حوالي الشهر التاسع . ولكن **بياجيه** استطاع بمهارة فائقة أن يحكم الربط بين تلك الأنواع السلوكية البسيطة ، وأن يظهر كيف تمثل المراحل المختلفة في نمو الشعور بدوام الشيء . ولا يهم بياجيه بالسن التي يحصل فيها أطفال الشهور الأولى على تلك





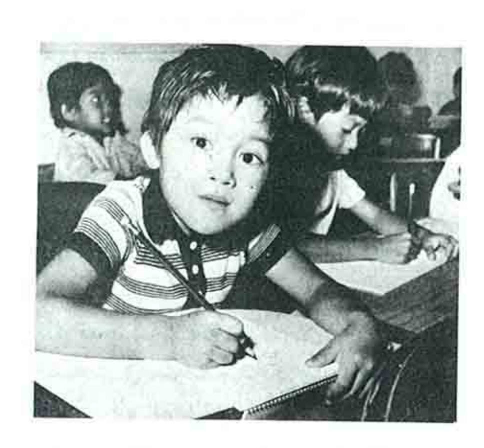
الأنواع من السلوك . ولكنه يعني بالعملية أو التوالي الذي تظهر في مساره نماذج جديدة من السلوك أو مراحل جديدة من السلوك .

وقد أجريت بعض التجارب بهدف محدد وهو معرفة ما إذا كان توفير المعلومات من الخارج ، أي إعطاء الطفل فرصة التحقق من النتيجة المعطاة سلفاً لبعض الأفعال . وتم استخدام عناصر تجريبية معرفية محضة في هذه الإجراءات بحيث يجري تطبيقها على عملية التعلم الخاصة بالأبنية المعرفية . والواقع أن الإجابة على هذا السؤال كانت سلبية بشكل عام لدى الجميع . وقد كان من الشائع أن **بياجيه** يرفض التلقين . ولكنه في الحقيقة لم يقطع بأن تقديم المعلومات غير ذي فائدة . بل على العكس فإن مثل هذا الزعم سيكون متعارضاً مع نظرية النمو عنده التي تتميز أساساً بالاحتكاك والبنائية . وأشار **بياجيه** في نتائجه إلى أن المناهج التجريبية لا تكون على درجة من التقدمية حينما كان على الطفل أن يقبل الوصلة بين الأحداث عندما يتم فرضها عليه . وإنما يتحقق التقدم إذا اكتشف الطفل ذاته هذه الوصلة بين الأحداث وهذا الاكتشاف الفعال للوصلات هو ما يحدث في النمو بناء على الاحتكاك . ولكن يظل صحيحاً أن الطفل نفسه هو المصدر الرئيسي للنمو لأن تقدمه ينشأ من نشاطه في البيئة من حوله أو من ردود أفعاله إزاء تأثير البيئة عليه .

الميكانيزمات التنظيمية

ويعتمد التعليم على النمو .. هذه حقيقة مقررة .. وليس مصدرها أن بعض الأشياء يمكن تعلمها فقط عند مستويات معيّنة من النمو . ولكن كذلك لأن التعلـيم في بعض المواقف المعدة بحيث تتوفر للطفل فرصة الاحتكاك بالبيئة تجري نفس الميكانيزمات الخاصة بالنمو من أجل تحقيق التقدم الذي تتحقق بواسطته الأبنية الخاصة بالمراحل .

وقد أطلق بياجيه اسم **الميكانيزمات التنظيمية** على هذه **الميكانيزمات الوظيفية لأنها تنشأ من التوازن أو من التكيف الذي نعتبره تآزراً بين التمثل والمواءمة أو التعديل** - assimilation - accomodation وتقوم الأبنية التي حددها **بياجيه** خلف السلوك الملحوظ عندما نطلب إلى الطفل أن يحل إحدى المسائل . ولكنها لا توفر لنا وصفاً لطريقة الانتقال الجاري من مرحلة إلى أخرى . ولما كان من المؤكد أن تفكير الأطفال ينمو خلال احتكاكات بالبيئة بأوسع معانيها ، وأن سلوكاً جديداً ينشأ من إعادة إدماج الطفل لإسكيمات العملية فإننا نستطيع أن ننظم احتكاك الطفل بالبيئة بطريقة منظمة وسريعة ، فإذا تحقق التقدم للطفل أمكننا أن نلاحظ اللحظات المتوالية عندما تتم عملية إعادة الإدماج أثناء الفترات المرحلية . أو بعبارة أخرى يمكن ملاحظة التغير في السلوك أثناء مراحل التعلم التي توضح **ميكافيزمات الانضباط التدريجي** وإعادة إدماج الإسكيمات القائمة .



والموضوع الذي يهمنا أن نشير إليه هنا هو أن نشاط الطفل في حد ذاته ليس وسيلة للاحتكاك بالعالم الخارجي ، وليس عاملاً من عوامل النمو الذهني ، وإنما يصبح النشاط هاماً إذا كان وظيفياً ، أي إذا كان موجهاً نحو احتكاك نافع بالأشياء وبالمواقع المؤدية إلى زيادة تجربته وتكرار ذكرياته السابقة التي تجعله يستعيد الامتثالات القديمة وتعاونه على استكمالها مرة بعد مرة .

التقليد والمحاكاة

والتقليد والمحاكاة هما مصدر التعلم الرئيسي في حياة الرضيع حتى سن الثانية ، ويستخدم الطفل في هذه المرحلة الحسية الحركية بدنه ليتمثل الأشياء أو يعبّر عن صورته الذهنية عن الأشياء بالأفعال . فإذا قدمنا إليه ملعقة بدا كما لو كان يأكل بها . وإذا قدمنا إليه طاسة في شكل لعبة بدا كما لو كان يقوم بالطهي . وهذه الأفعال والمعاني خاصة به وحده بناء على ملاحظاته . ولكنها توحي في نفس الوقت بأنه قد تألفت لديه صورة ذهنية عما يفعله وبأنه يربط بين التجربة اليومية التي يقوم بملاحظتها وبين أفعاله وحركاته الخاصة . ثم يصبح بعد ذلك قادراً على استبدال شيء بشيء فيستخدم العصا الطويلة بدلا من الحصان ، والحلقة الكبيرة بدلا من السيارة ، والكراسي الصغيرة بدلا من القطار ، وأوعية اللعب للطعام . وتتحول أصواته أيضاً بدورها إلى امتثالات فإذا قال **رن رن** كان يقصد التليفون وتعني **كواك كواك** البطة **وتوت توت** القطار **وبيب بيب** السيارة ، وهكذا وعندما يشرع في اللعب مع أقرانه يقوم بتمثيل أدوار مسرحية اجتماعية فيقلد أمه وهي تطهي الطعام لصغارها ، ويقوم برعاية الطفل الصغير في شكل عروسة صغيرة ، كأنه يقلد أمه في رعاية الصغار ، ويقلدها أيضاً في ذهابها إلى المتجر لشراء الحاجات أمام الأطفال الآخرين ، بل ويصبح أماً رؤماً بالنسبة إلى سواه من الأطفال ، وينهي وينهر على طريقتها ، أو يؤدي دورها في استضافة الزائرات أو توديع والده عند الباب للذهاب إلى العمل ، أو إعداد الأطفال للذهاب إلى المدرسة . **ويعتبر التمثيل الاجتماعي مرحلة متقدمة على مرحلة التقليد من الناحية الفكرية والاجتماعية .**

في المرحلة التالية من الثانية إلى السادسة يتعمق الطفل حركاته السالفة ثم يبتكر ألواناً أخرى من السلوك ويبشر بألوان من السلوك القادم فيقدم على اللعب بالصلصال لتكوين الأشكال المماثلة للمنازل المتجاورة أو المزارع بما فيها من ماشية أو بعض الأشياء التي رآها أثناء إحدى الرحلات أو في بيته . ويتلو ذلك تقليد الصور أو الوجوه ، وفي أواخر هذه المرحلة يستقي الأطفال بعض الأشكال للصلصال من خبراتهم . فيمكنهم مثلاً تقليد بطة من إحدى الصور ، ولكن لا بد أن يكون في هذه الحالة قد شاهد بطة بالفعل وتكررت مشاهداته لها وقام باللعب معها واستمع إلى صوتها ورآها تسبح في الماء أمامه ، ومعنى ذلك أن الصورة في حد ذاتها جسر ضروري بين الموضوع أو الشيء أو الحدث وبين اللفظة أو الرمز ولكنها لا تكفي وحدها .

ونشير هنا إلى أن المعلمة أو المعلم الناجح يمكنه أن يستدل دائماً على وضعية أو نوعية الطفل أمامه من تتابع المراحل كما يحددها بياجيه قبل مواجهة الأطفال برموز أو إشارات جديدة حتى ولو كان ذلك بالصور فقط . وقد برهن **سيجل** Sigel في برنامجه التدريبي عن نمو القدرات التصنيفية لدى الأطفال الصغار سنة ١٩٧١ م ، على أن أبناء الطبقات الدنيا من الأطفال قد أظهروا قدرات فائقة في تجميع الأشياء ذات الأبعاد الثلاثة ، ولكنهم لم يتقدموا إطلاقاً في تصنيف الصور أو تجميعها . وأبرز **سيجل** الحاجة إلى دراسة ارتباط القدرة على التصنيف بالخبرة المعرفية وبتعلم القراءة والأرقام عند الطفل .

ومن هنا نرى إلى أي حد تكون سنوات الطفل الأولى مليئة بالجهود الطويلة المليئة بالمشاغل والأنشطة

حيث يبدأ بملاحظاته الخاصة ، ويحاكيها فيحصل على المفاضلة والتمييز في الفهم خلال نشاطه . ويتعلم الطفل من خلال احتكاكه بالأطفال الآخرين وبالبالغين كما يتعلم من تجاربه المتكررة في صب الماء والسوائل ونقلها بكميات مختلفة ، وكذلك نقل الأجسام الجامدة من مختلف الأشكال والأحجام بداخل علب أو صناديق أو جرادل أو مط الأشياء وتطويلها ولويها ، وعملياً الشد والجذب والبناء والربط وطفو الأشياء وقطعها ولصقها وتلوينها وتصويرها وألعاب التمثيل المشترك وغير ذلك من الجدول الطويل للأفعال والانشغال بالأشياء التي ترضيه وتشغل انتباهه وتتولد المعرفة خلال هذه الأنشطة من عملية إيجاد علاقة أو تحولا بين شيئين واكتشاف آثار هذه التحولات أو العلاقات ويصبح بعد ذلك هذا التاريخ الخاص بنمو أبنية الطفل بداية فهمه الهام في عمليات القراءة .

مرحلة اكتشاف العلاقات

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أهمية **مرحلة اكتشاف العلاقات والتحولات** على ذلك النحو عند الأطفال لأن حرمان الطفل من اكتشاف العالم من حوله في موضع مؤسف عند الكبر . فالشخص البالغ من الشباب مثلاً يستعيد كل تجارب الطفولة عند مواجهة أحد المواقف . وتم إجراء تجارب على الشباب المتعلم من الجامعيين لحل بعض الإشكالات في تفسير أبعاد الظل أو تفسير مبادئ التوازن في بعض الأوزان غير المتعادلة على أبعاد غير متساوية من نقاط الارتكاز . والمحاولة حرة أمام الشاب فيطلب إليه المشرف إجراء التجربة بالأدوات الموجودة بدون احتياج إلى أية معلومات فيزيائية مسبقة من أجل اكتشاف العلاقات بين مختلف أثقال الأحجام المختلفة والأبعاد المتدرجة من المركز ، وفي الحال كان الشاب يستحضر صيغة القانون الذي تعلمه في مادة الفيزياء وكان يبدو سعيداً بالسرعة التي تجاوب بها مع المسألة . ولكنه كان يصاب فجأة بالإحباط إذا ما سألناه تطبيق الصيغة على المسألة والإشارة إلى الأوزان غير المتعادلة ، والمواضع التي يمكن استخدامها لاستكمال التوازن . فلم يكن يستطيع تشغيل الصيغة التي ذكرها . ولقد استطاع أن يذكر الصيغة بطريقة مناسبة ولكنه لم يفهم مبدأ التوازن في حد ذاته . ولذلك حرص على قياس المسافة من نهاية الظل بدلا من أن يقيسها ابتداء من المركز .

ومعنى هذا ببساطة أن الطالب الشاب استعان بذاكرته التعليمية ولم يستعن بخبراته الطفولية في ممارسة عمليات التوازن بين الأحجام ذات الأثقال المختلفة . ومثل هذا الإحساس ينشأ من مرات الخبرة في سن الطفولة . ويشبه ذلك الطفلة التي تحرم في صغرها من اللعب أو العرائس فنجدها تستعيض عن ذلك في كبرها في السن بشراء لعب خاصة بها لا تتركها للأطفال .

وليست التربية تعلماً عن طريق العمل وحسب ، بل إنها حرية الممارسة لهذا العالم وتأسيس الحقيقة من خلال هذه الممارسة . وليس حسب التعلم أن يكون القدرة على صياغة الإجابة الصحيحة أو تقديم الحل السليم . فالتعليم يتطلب الفهم . ولا بد أن يكون الفرد قادراً على تمثل المعرفة الجديدة إذا كانت قابلة للاستخدام العملي . فالمعرفة يجب أن يتم تمثيلها وإدماجها في النسق الملائم لها حتى تكون ذات معنى .

التفكير العيني

وتظهر العمليات العينية في دورها في نمو تفكير الطفل بعد سن سبع سنوات وتتركز أهمية مرحلة الفاعلية فيما يلي : هذه المرحلة تساعد على تنظيم الأفعال الذهنية في قدرات التفكير الفاعلي للفرد عند ممارستها للأشياء العينية وكذلك في الخبرات السابقة التي أعدت الطفل بأي شكل كانت لبناء فهمه للعكس reversibility والتبادل reciprocity والثبات constancy ثم في إدراك الطفل للعلاقات بين الأجزاء والكل التي يعين بناؤها مؤخراً على بناء التوظيف العقلي الذي يجري في العمليات الصورية المجردة بعد سن الثانية عشرة .

وقد نتساءل كيف يكون التفكير العيني ذا تأثير حاسم في نمو الأبنية الذهنية عند الطفل . أو ما خصائص العملية كما تتجلى في تفكير الطفل أثناء سن المدرسة ؟

●● الخاصية الأولى هي التجميع . ويميز **بياجيه** مبدأ التجميع بوصفه الأساس الذي تصدر منه كل مفهومات التصنيف والتسلسل والمحافظة والعدد والمكان . والتجميع ثلاثة أصناف منها ما يتصل بالهوية والتعادل ومنها ما يشير إلى النسق المنطقي للأصناف ، حيث يمكن إدماج أحد الصنفين في الآخر أو اشتباك أحدهما مع الآخر جزئياً في بعض الخصائص أو استبعاد أحدهما للآخر نهائياً .

★ **المثال الأول** : عصفور الدوري وعصفور أبو الحناء طيور .

★ **المثال الثاني** : الطيور تشمل الدوري وأبو الحناء والبط وأنواعاً أخرى .

★ **المثال الثالث** : صنف الطيور يضم طيوراً تسبح وطيوراً لا تسبح إطلاقاً .

والصنف الثالث من التجميع هو ما يشير إلى العلاقات بين الأجزاء والكل في شيء عيني أو مجموعة أشياء أو أشخاص . مثال ذلك إذا كان حسن شقيق حسنية كانت حسنية شقيقة حسن .

ويمكن تصوير ذلك في سلسلة من أربع دوائر متدرجة في الحجم بحيث تكون (أ) صغيرة نسبياً و(ب) أكبر قليلاً و(ج) أكبر منها ثم (د) أكبرها كلها . ويستطيع الطفل أن يرى أن أ < ب ، ب < ج ، ج < د ، ويستدل من ذلك على أن أ < د .

●● والخاصية الثانية هي التصنيف : وتنمو قدرة الطفل على التصنيف مع ملاحظة التشابهات والاختلافات والعمل بمقتضاها . فالطفل أولا يستطيع أن يضع العناصر بعضها مع بعض وفقاً لتشابهها واختلافها . وإذا أعطينا الطفل في سن الرابعة أو الخامسة مجموعة حزم من القطع الصغيرة ذات الألوان والأشكال والأحجام المختلفة وطلبنا منه أن يضع معاً ما يتفق منها مع بعضه نجده يحاول أول الأمر أن يضع المربع الأحمر مع المثلث الأحمر ، ويقرر الملاحظ أن الطفل لم يتعرف فقط تلقائياً على اختلاف اللون الأحمر كلون مختلف عن سواه ولكنه استطاع أيضاً أن يستخرج كل القطع الحمراء من بين القطع الصغيرة وأن ينظمها بمفردها . ولكن الطفل لا يلبث أن ينشغل بالبحث عن المثلثات الحمراء أو المربعات ويخرج عن الإطار .

أما في التفكير العيني الفاعلي بعد السادسة فيتقدم سلوك الطفل من المجموعات البسيطة والتخطيطية إلى القدرة على تنسيق التآزر على أساس كل من التماثل ومن العلاقات . ويعتمد الأساس الحقيقي للتصنيف لا على التعرف على تشابه المدركات ولكن على تحكم الطفل في التحديد الكمي مثل أحد ، بعض ، كل . ويصبح الطفل أيضاً بالتدريج قادراً على التصنيف وفقاً لمعيارين أو ثلاثة دفعة واحدة كأن يقول مثلاً : هذه زجاجات كلها مصنوعة من الزجاج وتمتاز بالعنق الرفيع . . ثم يغير المعيار فيصبح قادراً على اقتراح عدد من الطرق لتصنيف الزجاجات كأن يقول : هذه الزجاجات شفافة وتلك غير شفافة . . هذه صغيرة وتلك كبيرة وهكذا . . ثم يمسك بواحد من المعايير أو أكثر في عملية التصنيف للأشياء العينية .

●● الخاصية الثالثة هي التسلسل : والتسلسل يمثل نمواً أساسياً في عمليات الطفل الذهنية وهو عملية تشير إلى قدرته على تنظيم العناصر وفقاً للحجم المتزايد أو المتناقص ووفقاً للتدرج في العمق أو التدرج في الارتفاع ، فالطفل ينظم أولا صندوقاً من المعلبات





ابتداء من الصغيرة إلى الكبيرة اعتماداً على الصدفة أو اعتماداً على الخطأ والصواب . وشيئاً فشيئاً يبدأ في امتلاك القدرة على تنسيق تفكيره الصعب (**بالنسبة إليه**) بأن كل علبة أصغر من العلبة التي تدخل فيها وأكبر من العلبة التي توضع بداخلها ، وعندما ينظم الطفل كل مجموعة بشكل صحيح ويفهم كيف يعمل حساب كل مجموعة يستطيع بسرعة وبدقة أن يشغل حيز العلبة التي اختفت من السلسلة . فإذا لم يكن قد أمكنه ذهنياً أن ينسق بين العلاقات قد يبدأ من جديد في تجميع السلسلة . فيمتلك القدرة على التنسيق أولا بالموازنة بين حجمين أو ثلاثة أحجام ثم يتداول خمسة أو ستة أحجام مسلسلة . **أما بالتفكير العيني الفاعلي فلا ينتابه أي اضطراب في سلسلة من عشرة أو اثني عشر حجماً . بالإضافة إلى ذلك يمكنه أن يتطلع ويخطط كيف ينفذ التسلسل من الأكبر إلى الأصغر مثلاً ويمكنه بسهولة أن يقلب العملية وينظم التسلسل من الأصغر إلى الأكبر .**

●● **الخاصية الرابعة هي المحافظة** : يمتلك الطفل في آن واحد القدرة على توثيق المجموعات والتصنيف والتسلسل وكذلك على بناء نسق من التنظيمات التي تعينه على التعويض من الداخل عن أي تغيير خارجي . فمثلاً عندما يصب سائلاً من إناء واسع منخفض إلى إناء رفيع مرتفع يتعرف على شكل السائل المختلف في الحالتين ، وأن السائل هو هو في الحالتين طالما أن السائل لم ينقص منه شيء ولم يزد عليه شيء . فإذا عاد السائل إلى وضعه الأول كان هو نفسه بلا تغير . والإناء الضيق مرتفع ولكنه رفيع أيضاً .

وهذه العمليات يسميها بياجيه :

(١) هوية بسيطة .

(٢) عكسية بالقلب .

(٣) تعويض أو عكس بعلاقات متبادلة .

وتحتوي فكرة أن بعض حالات الشيء تظل غير متغيرة مع وجود تغييرات جوهرية في الصفات الأخرى على جوهر ما هو كلي في نمو التفكير .

●● **الخاصية الخامسة هي الأعداد** : يتألف فهم الطفل للأرقام من تركيب عمليات ضم الأصناف أو التسلسل ويحصل الطفل أثناء العمليات العينية على القدرة على تجاهل الاختلافات عند استخدام الأرقام كأن يقول عدد واحد قلم معادل لعدد واحد مسطرة ، ولعدد واحد كرسي من حيث العدد واحد هو المعنى هنا . ولكن ينبغي أيضاً أن يفهم أن الأرقام متسلسلة وأنه لا يجب عد نفس العدد مرتين في سلسلة عددية . وعليه أن يحصل أيضاً على فهم للعلاقات المنطقية الرياضية بحيث إن عدة أشياء إذا اقترنت برقم بعينه بقيت هي هي مهما تغير نظام وضعها ومهما بدت مختلفة من مكان لآخر .

●● **الخاصية السادسة هي المكان** : فالطفل بعد كل ذلك يعرف موضع بيته بالنسبة إلى البيوت المجاورة ، أو بالنسبة إلى المدرسة التي يتردد عليها ، وكذلك موضع المدرسة بالنسبة إلى بيته . ويصبح ذهنياً قادراً على شغل المكان بين كل منها حيث الدكاكين والبيوت الأخرى ومحطة الترام وغير ذلك . ويصبح تفكيره عندئذ أكثر مرونة وأكثر استقراراً . ويعرف في كل مرة أين هو من الموقع ككل . ويستطيع أن ينسق خاصتين في نفس الوقت ويمكنه أن يقوم بتعويض التعرف على هوية المكان من الناحية اليمنى أو من الناحية اليسرى في الطريق بين المدرسة والمنزل .

ومن مجموع هذه الخصائص الذهنية والمكونات العقلية يتقدم الطفل في حياته لممارسة احتكاكه بالمجتمع . ولعلنا نقول الآن مع أستاذنا بياجيه : إذا كان الهدف من التدريب الذهني هو تكوين الذكاء أكثر من حشو الذاكرة وإخراج المكتشفين الفكريين أكثر من مجرد المتفقهين فلا شك أن التعليم التقليدي مسؤول بكل وضوح عن القصور الخطير . ●



★ عبد الله القرعاوي ★

★ طاهر الزمخشري ★

★ محمد سليمان الشبل ★

الاتجاه الطبيعي

بقلم: د. محمد بن سعد بن حسين

ونعني به ذلك الشعر الذي اتخذ من الكون مسرحاً ، ومن الطبيعة مادة ، فراح شاعر يصف النجوم ومسابحها ، والأنسام ومسارحها ، والورود في عروشها ، والمياه في مساربها ، وعصائب الطير وهي تجوب الحدائق والرياض ، والفراشات وهي تداعب الأزهار . وكل مظهر من مظاهر الطبيعة التي أبدع الباري تبارك وتعالى خلقها وجعل تأملنا فيها اعتباراً .

وكان للطبيعة من أقوال شعرائنا أوفر نصيب بغير أنهم في ذلك على قسمين :

١ — شعراء نظروا إلى الطبيعة بعين كحّلتها صور القديم فلم يبعدوا في تغنيهم عن مناهج الأسلاف الأولين ولم يأت قولهم تقليداً لهم بل اصطحبوا روحهم محلاة بروح جديدة فجاء شعرهم أحلى صورة للجمال رسمت بكلمات نزعت عن الغرابة ، وسمت عن اللحن والابتذال .

فهذه على سبيل المثال (الغيداء وواديها) لأحد الرواد المجددين الشاعر الكبير حسين سرحان . وهي قصيدة تصوّر مشاعر الشاعر وإحساساته ، فتنة الحبيب وفتنة الطبيعة التي أبصرها الشاعر في ذلك الوادي الذي إن لم يقدر له أن يكون كوادي النيل ووادي دجلة ، فإن في جمال الحبيب وفتنته ما يعوضه عن ذلك بل ويزيد ، ومنها :

ما بعد واديك يا غيداء من وادي
يشدو به الطير أو يحدو له الحادي
سما به (الطور) حتى بددت يده
شمل الكواكب من مثنى وآحاد
يحبو النسيم على الكثبان فيه ضحى
يردد الشجو فيها أي ترداد
والزهر أمثال من كأس على شفة
لمياء في روضه المعشوشب النادي
وفي الضفاف هنا أو هاهنا عبق
أراجه روح أنفاس وأكباد

كذاك واديك ما أنفك أذكره
في يقظتي ومنامي ذكر مزداد
ذكرته بعد عشر عج جانبه
نبتاً وأسقاه صوب الرائح الغادي
حبيك زخرف منه كل ذي عطل
حسناً وقوم منه كل مناد

ب ـ وآخرون أبصروا الطبيعة أحضاناً دافئة تأويهم وتحضنهم حين يذهب بهم القلق والسأم والملل كل مذهب فتهدأ نفوسهم حين ينغمسون في فتنة الطبيعة حتى ولو كانت تلك المفاتن من نسج خيالاتهم وتصوراتهم .

فقصيدة عروس الصحراء للشاعر **محمد سليمان الشبل** لا تحس فيها إلا انغماساً في طبيعة (**حائل**) انغماساً يهدف فيه الشاعر إلى بث أشجانه وهواجسه من خلال مناجاة الطبيعة ومنها :

بقلبي ! ما أهواه فيك من السحر
وما بفؤادي عنك من طيب الذكر
وما لاح في دنياك من صور الهوى
حياة على كفي مرابعك الخضر
أنا العاشق الولهان ذوبت مهجتي
فسالت بأنفاس الصبابة في شعري
رؤى ـ كالأماني ـ ولولت في مشاعري
كنادبة الأطلال ، في موحش القفر
تجرعت منها ما جنيت من الأسى
ومازال قلبي بين طياتها يجري
سق الله من نبع السماء مرابعاً
ترنم في أفيائها ساجع الطير

ولم يقف الشعراء عند وصف الطبيعة كما هي ، بل سلك بعضهم في حديثه عنها مسلك التشخيص . .

فطاهر زمخشري يحس الطبيعة أحياء يتحدثون ويتناجون ، ويأتون من الأفعال ما يأتي الأحياء من حديث وحوار ، وجدل ، وشجار وتنافس على ينابيع الجمال وتفاخر بمخضبات الدلال ، فتأتي القصيدة في صورة لوحة من الفن الجميل ، وإن كانت قد شحنت بما عمرت به نفس الشاعر من حزن أو فرح ، وتفاؤل أو تشاؤم ، وحس أرهفته التجارب والانتباه الأحداث ، لكنه في هذا وذاك يظل عامراً بحب الجمال يجنح فيه إلى أعلى مرتبة للكمال لو استطاع ، ولذا تراه يضم الأصيل إلى الليل ، ويؤاخي بين البحر والروض والشطآن ، ويجعل الزهرة ترف للنسيم ، والشذا يداعب ألوان الأصيل .



ولنقرأ له هذه الأبيات من قصيدته على الشاطئ :

وشوش الموج نسمة في الأصيل
بالندى عاث في محيا الجميل
قال : أفشيت بالشذا سر ورد
كان يغفو مرنحاً في الأسيل
فأجاب النسيم يا موج إنا
نتبارى في مد ظل ظليل
ونذاكي العبير من كل ورد
نترع الكأس بلسماً للعليل
وعلى الشط هينات الأواذي
تناغي الملتاع بالمأمول
وخطى الليل رجعها يقرع السـ
ـمع بهمس البتول والمتبول
واللحاظ المجنحات التعابير تعـ
ـيد الصدى بقال وقيل

وقد يتخذ الشاعر من بعض مظاهر الطبيعة سميراً يناجيه ويحادثه في غربته كصنيع الأستاذ **عبد الله القرعاوي** حين سامر النخلة وهو في أمريكا وهي قصيدة أذكر أنها كانت جيلة ، لكنها بعيدة الآن عن ذاكرتي ويدي ، وقد يكون حديث الشاعر مع النخلة حديث رثاء لها وبكاء عليها حين يتنكر لها الزمن ويفرض المد العمراني قطعها فتنتهي بذلك حياة شجرة زانت الأشعار منذ القدم ، وأطعمت الطير والإنسان ، واتخذت منها منافع شتى يوم أن كانت سيدة الموقف .

ذلك ما فاضت به مشاعر **عبد العزيز النقيدان** وجرى به قلمه في قصيدة رائعة منها :

الحديد المبيد أرداك قتلاً
فتمايلت من أذى (الجراف)
قد جهلناك في سنين سمان
وعرفناك في السنين العجاف
أنت فينا مآذن شامخات
حولها الطير غردت في الطواف
ما لهم أوسعوك قتلاً مبيداً
هل من الدين سنة الإتلاف ؟
الحضارات كم تجر وبالا
وعلينا وبالها غير خاف
أنت يا نخلتي فخار ومجد
وعطاء في الخصب أو في الجفاف
هل ستنسى القلوب أفضالك الثرة
فالتاريخ نقش في لوحة الإنصاف

ونود أن ننبه على ظاهرة حسنة في شعر الطبيعة عند شعراء المملكة العربية السعودية ، وهي أنهم لم يتطرقون في حديثهم عنها ، ولم يبالغوا في الاحتفاء بها مبالغة ترفعها إلى مراتب القداسة كما هو شأن بعض المتأخرين من العرب ، وهذه سمة في شعر أبناء هذه البلاد بعامة ، لعلها كانت من مظاهر تأثير دعوة الإمام **محمد بن عبد الوهاب** ـ رحمه الله ـ في الفكر بعامة والأدب بخاصة .





اللغة والتطور

المنهج المعياري في الدراسة اللغوية

بقلم: د. صلاح الدين صالح حسنين

ساد المنهج المعياري الدراسات اللغوية منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين ، ويقوم هذا المنهج على فكرة ملخصها أن اللغة المعنية ظاهرة نقية ، والقواعد هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على نقائها ، وارتبطت هذه الفكرة بالمنطق ؛ ذلك أن اللغويين القدامى اعتقدوا أن اللغة نقية ، وهذا يعني أنها مسلسلة ومرتبة ، والمنطق يساعد على السلاسة والترتيب ، لهذا يجب أن ترتبط اللغة بالمنطق .

والهدف من هذا المنهج ، هو وضع قواعد للتمييز بين الصواب والخطأ في اللغة ، ولما كان هذا المنهج مرتبطاً بالمنطق ، فإنه انقسم كما تنقسم أبحاث المنطق إلى قسمين :

★ **القسم الأول** : يعتمد على **القياس** ، ويرى أصحابه أن اللغة نتيجة اتفاق الإنسان ، لهذا فهي تميل إلى الانتظام والاطراد . وأفضل المناهج التي تساعد على التمييز بين الصواب والخطأ هي **القياس على المطرد** ، فهو يساعد على جمع الأمثلة المطردة في ظاهرة ما ، واستنباط قاعدة منها ، نحو الأسماء التي تنتهي بالتاء المربوطة عند جمعها .

فقد لوحظ اطراد حذف التاء المربوطة وإضافة ألف وتاء ، نحو **بقرة وبقرات ، وشجرة وشجرات** .

وهذا الاطراد يساعد على استنباط قاعدة عامة ، تقاس عليها الأمثلة الأخرى ، فتؤدي إلى نشوء أمثلة صحيحة لغوية[1] ؛ يقول ابن جني في هذا : **« إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، وإن لم يتكلموا به »** .

ومن اللغويين العرب الذين تمسكوا بالقياس على المطرد وتشددوا في تطبيق أحكامه ، **البصريون** ، فقد كانوا يتأكدون أولا من اطراد الأمثلة حتى يسوغ لهم القياس عليها .

★ **القسم الثاني** : يعتمد على **السماع** ، ويرى أصحابه أن اللغة وليدة الطبيعة ، ولهذا فهي لا تميل إلى الاطراد ، والقياس على المطرد لا يفيد في وضع قوانين للتمييز بين الصواب والخطأ ، لذلك فالأساس عندهم هو السماع من أصحاب **اللغة الأصليين** .

ومن اللغويين العرب الذين تمسكوا بالسماع ، **الكوفيون** ، وقد كانوا لا يشترطون اطراد الأمثلة للقياس عليها[2] ، وإنما كانوا يقيسون على المثال الواحد أو المثالين ؛ من ذلك أن البصريين يرون أن جمع **فارس هو فارسون أو فارسين** (حسب حالته الإعرابية) ، وما يخالف هذا فهو شاذ لا يعتد به ، أما الكوفيون فإنهم يجيزون جمع **فارس** على **فوارس** لأن هذا الجمع سمع عن العرب .

المنهج العلمي

يقصد بذلك دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها ، وقد ظهر هذا العلم على يدي الباحث السويسري



«دي سوسير» نتيجة لأرائه في اللغة، وتتلخص فيما يلي:

(١) اللغة كائن حي.

(٢) اللغة ظاهرة اجتماعية.

(٣) اللغة ليست كما كان يظن القدماء، هي الأصوات والمفردات والعبارات في حد ذاتها، بل هي نماذج تجريدية بين كل طائفة منها علاقات، تكون نظماً متداخلة، يعتمد كل منها اعتماداً تركيبياً على نظم أخرى، أما الأصوات والمفردات والتعبيرات في ذاتها فهي أمثلة تطبيقية للغة[٣].

لقد أسفرت هذه الآراء عن ثلاث نتائج هامة هي:

(١) إذا كانت اللغة كائناً حياً من ناحية، وظاهرة اجتماعية من ناحية أخرى، فإنها ترتبط بالمجتمع، بمعنى أن **أي تطور اجتماعي ستبدو مظاهره في اللغة، لأنها هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عنه، وعلى العكس من ذلك، فإن اضمحلال المجتمع سيؤدي إلى اضمحلال اللغة، وفناء المجتمع سيؤدي إلى فناء اللغة.**

(٢) إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنه يجب تقسيمها إلى مستويات متطابقة للمستويات التي يتكوّن منها المجتمع، وإذا كان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات هي: **الطبقة الراقية، والطبقة المتوسطة، والطبقة الدنيا**، فإن اللغة تنقسم هي الأخرى إلى **لغة أدبية، ولغة المثقفين، ولغة العوام**، ومن ثم يدعو دي سوسير إلى دراسة كل مستوى دراسته مستقلة عن المستوى الآخر.

(٣) تشعبت اتجاهات البحث اللغوي، نتيجة الاختلاف في النظر إلى اللغة، وأهم هذه الاتجاهات:

(١) اتجاه يهدف إلى دراسة الخصائص العامة والمشتركة بين كل اللغات الإنسانية، وموضوع البحث في هذا الاتجاه هو **علم اللغة العام**.

(٢) اتجاه يهدف إلى دراسة اللغة المعيّنة بهدف إيضاح خصائصها الدقيقة، والطرق التي تتبعها في تركيب أنظمتها المختلفة، ويشترط لتطبيق هذا الاتجاه تحديد المستوى اللغوي المراد دراسته وتحديد فترة زمنية معيّنة لدراسة هذا المستوى اللغوي فيه، ويعرف هذا الاتجاه بالاتجاه الوصفي.

(٣) اتجاه يهدف إلى دراسة التطور الذي يطرأ على اللغة المعيّنة، ويعرف هذا الاتجاه **بالاتجاه التاريخي**. ويشترط لتطبيقه وصف اللغة في مرحلتين تاريخيتين معيّنتين، ثم المقارنة بينهما، لإيضاح نواحي التطور التي طرأت على المرحلة الأحدث تاريخياً[٣]. **ويركز هذا البحث على الجانب التاريخي في الدراسة اللغوية.**

يهم علم اللغة التاريخي بالتطور الذي يطرأ على اللغة، أي على **الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة**، وذلك من خلال المقارنة بين دراسة اللغة، في فترتين زمنيتين مختلفتين أو أكثر، ويعتمد علم اللغة التاريخي في دراسته على مصدرين، هما:

(١) الوثائق الثابتة تاريخياً.

(٢) اللهجات المنطوقة، واللغوي عندما يدرس اللهجات، يسجل العناصر التي تتكوّن منها، وهي الأصوات، والبنية، والصرفية، والتراكيب النحوية والعناصر الدلالية، ثم يرتبها ويبلورها في شكل نظام متكامل، يربط كل هذه الجزئيات[٤] بهدف كشف الأبعاد الحقيقية للظاهرة اللغوية ـ ليس كما هو الحال في الدراسات التقليدية إصدار أحكام الصواب والخطأ ـ وبالتالي، فاللغوي عندما يدرس اللهجات لا يفعل هذا بهدف الرفع من شأنها، أو القضاء على الفصحى، فليس هذا مجاله، وليست هذه طبيعة عمله[٥].

هذا وأشار اللغويون العرب القدماء إلى التطور اللغوي، ومن هؤلاء **ابن خلدون** الذي أشار إلى اختلاف اللغة في عصره عن العربية الفصحى، فقال: **«ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد، واستقرينا أحكامه، نعتاض عن الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى غير موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها».**

أسباب التطور اللغوي

(١) من المعروف أن الكلام نشاط، يزاوله جمهور المتكلمين، وعن طريق هذا يحدث التطور اللغوي، ولما كان المتكلم العادي يطبّق القواعد اللغوية تلقائياً، أي دون تأمل في القواعد المحددة التي وضعها اللغويون، بعد استقرار الاستعمالات اللغوية، فإنه يتعرض للخطأ بقياس أمر على أمر آخر قياساً غير دقيق، مما ينتج عنه ما يسمى بالخطأ الشائع، وهذا الخطأ الشائع لا يلبث حتى يصير قاعدة[٥]، وذلك نحو تحول ألف التأنيث المقصورة أو الممدودة إلى تاء مربوطة نحو **«أوْلة»** بدلا من **«أولى»**، وقد وصفها **الزمخشري** بأنها فصيحة، ومن ذلك أيضاً أن الأصل في حركة لام الجر الفتح، وحركة باء الجر الكسر، نحو **لَهُ وبِهِ**، ولكن **تحولت فتحة اللام إلى كسرة بسبب القياس على حركة باء الجر، وذلك نحو للرجل وللناس**، وأشار اللغويون القدماء إلى هذه الظاهرة فوصفوها بأنها طردٌ للباب على وتيرة واحدة[٦].

(٢) اتجاه المتحدثين إلى تخفيف بعض الصيغ، ونتيجة لهذا التخفيف، قد تتحول الأفعال إلى أدوات مثل تحول الفعل **نَعِمَ** إلى **نِعْمَ**، وكان **التامة** إلى كان **الناقصة**[٧].

(٣) **الزيادة في التفصح**، من ذلك جمع كلمة **معيشة على معائش**، خلافاً للصيغة القياسية معايش، وذلك ظناً من المتكلمين أن الصيغة التي تحتوي على الهمزة فصيحة، واعتقد المتحدثون، بذلك، أن المفرد معيشة على وزن فعيلة، وفعيلة تجمع على فعائل، نحو كريمة وكرائم، ولكن معيشة في الواقع على وزن **مفعيلة**، وهذا الوزن يجمع على مفاعل،

فتكون صيغة الجمع القياسية معايش[9] ومن ذلك أيضاً نطق ثُوم، وهي صيغة فصيحة **ثَوْم، ورُوح رَوْح**.

مظاهر التطور في العربية

التطور الصوتي:

(١) يميل أهل **تميم** إلى تحقيق الهمز، وهذا هو الأصل، أما أهل **الحجاز**، فيميلون إلى تسهيل الهمز، يقول **سيبويه** إمام النُحاة: **«اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة**، فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة» نحو **يَسْأل ويَسَل**.

(٢) يميل أهل الحجاز إلى المحافظة على نطق الألف الساكنة، أما أهل تميم فيميلون إلى إمالة الألف الساكنة، إذا أتى بعدها حرف مكسور نحو **عابد، وعالم، ومساجد**، أو إذا أتت بعدها ياء نحو **مفاتيح**. ويمنعون الإمالة إذا كان الحرف المكسور حرفاً من حروف الإطباق وهي **ص، ض، ط، ظ، ع، خ، ق**.

(٣) الأصل في حركة ضمير الغائب المذكر المتصل (ـهُ) هو الضمة **نحو كتابهُ**، واحتفظ أهل الحجاز بهذا الأصل، ولكن أهل تميم يغيرون هذه الضمة إلى كسرة، إذا كان قبلها كسرة أو ياء، نحو مررت بِهِ ومررت بدارِهِ. ومن هذا القبيل أن أهل الحجاز حافظوا على الضمة الأصلية للضمير المتصل (هُمْ)، أما قبيلة **ربيعة** فقد كسرت ميم هذا الضمير إذا سبقت بكسرة، نحو (مِنهِمْ) ولم يعتدوا بالساكن الذي قبلها كما يقول سيبويه.

(٤) الأصل في حركة حروف المضارعة من الأفعال الثلاثية المجردة هو **الفتحة**، نحو **يكتب ويَعلم**، وحافظت لغة أهل الحجاز على هذا الأصل؛ أما لغة تميم فتستبدل هذه الفتحة بالكسرة، وأشار سيبويه لذلك فقال: **«هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فَعِل، وذلك في لغة جميع العرب، إلا لغة أهل الحجاز، وذلك قولهم أنت تِعلم وأنا إِعلم»**.

التطور في مجال تركيب الجملة:

(١) الأصل في الجملة الفعلية أن يلازم الفعل الإفراد قبل الفاعل المثنى والجمع نحو: **كتب الولدان، وكتب الأولاد**، لكن تطور هذا النظام في لهجة **طيء**؛ بحيث أصبح الفعل فيه يطابق الفاعل في العدد والجنس مطابقة كاملة، ويطلق على هذا الاتجاه **اسم لغة أكلوني البراغيث**، قال سيبويه: **«اعلم أن من العرب من يقول ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة»**.

(٢) الأصل في خبر ما النافية هو الرفع، وحافظت لغة **بني تميم** على هذا الأصل، أما لغة أهل الحجاز فتنصب هذا الاسم. قال سيبويه: «هذا باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله، ذلك الحرف هو ما تقول: **ما عبد الله أخاك، ما زيدٌ منطلقاً**، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى **أما وهل**. وهو القياس، لأنه ليس بفعل كليس، ولا يكون فيه إضمار، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذا كان معناها كمعناها، ومثل ذلك قوله عز وجل **﴿ما هذا بشراً﴾**، في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها إلا من عرف كيف هي في المصحف».

التطور في البنية الصرفية:

(١) أصل (**لَعَلّ**) هو (**لأنّ**) وخطوات هذا التطور كالآتي:

(١) **لام الجر مفتوحة في الأصل كما أثبتنا ذلك من قبل**.

(٢) **قلبت الهمزة عيناً كما في أنّ، وعنّ**.

(٣) **تحولت النون في لأنّ إلى لام**، لأن التبادل بين حروف **الميم والنون واللام والراء كثير الوقوع، من ذلك وجود صيغة كعنّ في اللهجات العربية القديمة إلى جانب صيغة لَعَلّ**.

ونتيجة لهذه التغييرات بَعُدت عن أصلها واستعملت أداة للرجاء[9].

(٢) أصل (**لَيْتَ**) هو الفعل (**رَأيْتُ**) ومر هذا التطور بالخطوات الآتية:

أ ـ سهلت همزة رأيت وقد رأينا ذلك من قبل.

ب ـ أبدلت الراء لاماً، وهذا الإبدال كثير الوقوع بين حروف **م، ن، ل، ر**، ونلاحظ هذا في كلام الأطفال فهم يقولون: (**لاجل**) بدلا من (**رجل**).

وهكذا أدى هذا التطور إلى نشوء صيغة جديدة هي: (**ليْت**) لكنها لم تستخدم فعلاً، وإنما استخدمت أداة للتمني.

وبعد، فلقد أثبتنا في هذا البحث أن اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، تتطور كما تتطور سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى، ويهدف البحث اللغوي المعاصر إلى تتبع هذا التطور وتسجيله وتحليله تحليلاً علمياً دقيقاً.

المراجع

(١) د. محمد علي الخناش، البنيوية في اللسانيات، المغرب، ١٩٨٠م/ ١٨ ـ ٢٠.

(٢) د. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة النحوية، القاهرة، ١٩٥٦م/ ٧٥ ـ ٨٠.

(٣) د. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، بيروت، ١٩٨٠/ ٧.

(٤) Carl James Contrastive analaysis. London 1980/5.

(٥) د. محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، القاهرة/ ٦٨ : ٨.

(٦) د. عبد الرحمن أيوب، النظم اللغوية والتطور/ ٨ (وقائع تعليم العربية لغير الناطقين بها، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض/ ١٩٨٣م). د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، أصوله وقوانينه، القاهرة، ١٩٨٠م/ ٦٢ ـ ٦٥.

(٧) د. سعد مصلوح، في اللهجات العربية القديمة، القاهرة، ١٩٧٥م/ ٣.

(٨) د. محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون/ ٢٥.

(٩) د. أيوب، النظم اللغوية والتطور.

(١٠) نفسه.

علم التناسب القرآني عند البقاعي

في أحضان أنسام جبال البقاع العزيزي بالشام، وفي قرية خَرْبَة رُوحا بالتحديد عام ٨٠٩هـ، ولد صاحبنا إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر، الملقب فيما بعد بـ«برهان الدين» «البقاعي»، ومرت به وبأسرته أحداث جسام، فقد فيها أباه وعاش في كنف أمه وأبيها، متنقلاً بين القرى والمدائن يتلق العلم حتى شب، فرحل إلى «مصر» عام ٨٣٤هـ، فاتخذها موطناً رئيسيا[١] بقي فيه حتى عام ٨٨٠هـ، فغادرها إلى الشام[٢] وبقي بدمشق حتى وافاه الأجل ليلة السبت الثامن عشر من شهر رجب عام ٨٨٥هـ، فدفن بالمقبرة الحميدية من جهة قبر عاتكة[٣].

وقد ترك تلاميذاً نهلوا من علمه، وكتباً سجلت جهده العلمي، بلغت فيما أحصيته له، ووثقت نسبتها له «خمسة وستين كتاباً». حفظ الله لنا منها ثلاثين كتاباً ـ حسبما هديت إليه ـ[٤]، أجلها تفسيره للقرآن الكريم المسمى «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»[٥]، ويحققه نخبة من الباحثين بكلية أصول الدين بالأزهر.

بقلم: محمود توفيق محمد سعد

مفهوم التناسب عنده

أول ما يسترعي الدارس لنتاج البقاعي تسميته لتفسيره للقرآن «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»؛ فقد جعل ما في الدر نظماً، وما في الآيات والسور تناسباً. وذلك قصداً منه؛ لمن أسس منهجه، ولا سيما في هذا الكتاب، أن اسم كل شيء دال على جوهره[٦]. والتأمل الواعي في نتاجه يكشف عن قصده تحري الدقة في تسميته مؤلفاته، مثلما كان في تفسيره حريصاً على تبيان تناسب اسم كل سورة من القرآن لمضمونها ومغزاها ومقصودها الأعظم.

فهو حين جعل ما في الدر نظماً وما في الآيات والسور تناسباً، كان على وعي من أمره، وكان ينظر إلى ما بين مصطلح «النظم» ومصطلح «التناسب» من مفارقة جوهرية من حيث الجذر الاشتقاقي لكل كلمة والبناء التركيبي لكل.

مصطلح «التناسب» يستمد من جذره الاشتقاقي «ن. س. ب» أن العلائق بين أفراد عالمه علائق جوهرية، فهي كما في دنيا الناس علاقة دم يجري في العروق والأوصال، ويشكل كثيراً من سماتهم الداخلية والخارجية، ومثلها في دنيا الكلام؛ فهما على نهج سواء يسيرا ولا سيما في الاعتلاق.

ويأخذ مصطلح التناسب من بنائه التركيبي «التفاعل» الدلالة على شدة وقوة العلاقة، وتولدها من أطراف عدة متكاثرة متفاعلة، على أن جانب المباينة والمفارقة في التناسب أقرب إلى العين؛ فيسرع العقل للحكم بالمخالفة والتقاطع حين ينظر غياب التشاكل الحسي، ولكنه إن

تأمل بعين صقر وبصيرة خبير رأى جانب الاتفاق الجوهري جدّ قوي ، وذلك ما تراه أيضاً في دنيا الناس .

أما مصطلح «النظم» فتعطي دلالته اللغوية أنه ضم شيء إلى آخر ، وغالباً ما يكون الملتق بين المنظومات غير جوهري ، وذلك أقرب إلى ضم الدُّر بعضه إلى بعض ؛ فلو دسست بين در حقيقي منظوم حبات زائفة مقاربة للحقيقي حجماً وشكلاً لما تيسر التفريق بينهما إلا لخبير عليم ؛ فجانب المشاكلة في النظم أقوى وينظرها كل أحد ، ولكنه لا يرى جانب المفارقة الجوهرية في المنظومات حين تتشاكل .

البقاعي باستخدام النظم للدر والتناسب للآيات والسور ، يكشف في إيجاز ولمح عن موقفه وفهمه للمصطلحين ، وعن منهجه في تفسيره فكراً وتعبيراً . والتقدم قليلاً في تفسيره يجد أنه في مقدمته قد جعل التناسب القرآني علماً – كغيره – فعرفه بقوله : «علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن ، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال»[٧] .

غير مجد هنا مناقشة مفهوم العلم في تصور البقاعي ؛ فهو لا يخالف ما عليه الأقدمون من أنه «إدراك للأصول والقواعد عن دليل ، وإمكان استحضارها متى أريد ذلك»[٨] . ومن خلال إدراك هذه الأشياء يقف الدارس موقف معرفة وفقه للعلل المقتضية الإتيان بكل جزئية وعنصر من القرآن في الموطن الملائم . والعلة إنما هي المقام والمقتضى ، **وعليه فيمكن القول إن علم التناسب القرآني عنده هو «إدراك المقامات والأحوال المقتضية الإتيان بكل جزئية في موطنها الملائم لها مع بقية أخواتها»** .

وظاهر التعريف يقصر هذا العلم على بيان الرتبة بين الأجزاء وتلك واحدة من أحوال اللفظ التي ذكرها البلاغيون والنقاد ، فهل أغفل البقاعي كل هذه الأحوال ، ونفاها عن مجال التناسب ؟

للإجابة عن هذا نذكر أن البقاعي في بيان التناسب بين الجمل والآيات كان كما يقول : «يُمهِّد لكل جملة مهاداً يدل على الحال الذي اقتضى حلولها وأوجب ترتيبها على ما قبلها من شكلها ، وما أوجب تأكيدها أو إعراءها وتقييدها ونحو ذلك من أفانين الكلام وأساليب النظام»[٩] .

فالتناسب إذن يتناول عنده مقتضيات أحوال تركيب وترتيب الأسلوب وعلى ذلك فالأدق أن يقول : «**علم التناسب القرآني هو علم تعرف منه علل تركيب وترتيب أجزاء القرآن**» .

وهو حين اقتصر في تعريفه السابق على جانب الترتيب في العبارة أراد أن يلفت الأنظار إلى قيمة جوانب الترتيب في الأسلوب وأن سر البلاغة فيه ، بينا البلاغيون والنقاد حتى عصره كان اهتمامهم قاصداً إلى جوانب التركيب في الأسلوب . كما أن البقاعي كان في اقتصاره على التصريح بجانب الترتيب دون التركيب ينظر إلى المستوى الأعلى من مستويات التناسب ؛ لأن **التناسب عنده ذو مستويين** : المستوى الأول يسميه «النظم التركيبي» ، والمستوى الإسمي يسميه «النظم الترتيبي» .

(١) النظم التركيبي[١٠]

يتناول بناء ونظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب[١١] ، فلا يتعدى إطار الجملة ، سواء كان ذلك في ركنيها الأساسيين أو المتعلِّقات وإن تكاثرت . ويدخل فيها مظهر الترتيب بين عناصر الجملة الواحدة مثل تقديم المسند أو المفعول أو المتعلِّق . . . إلخ ، فترتيب عناصر الجملة الواحدة هو من قبيل التركيب لا الترتيب عنده . وهو يريد بهذا أن الترتيب لا بد وأن يسبقه تركيب ، والمفردات لا دخل للأديب أو المبدع في تركيب عناصرها [الحروف] وإنما هو يركب عناصر الجملة التي ترتب فيما بعد بعضها مع بعض .

وكل مظاهر التركيب والترتيب في الجملة المفردة يمثل عند البقاعي النظم التركيبي الذي لا يكون إلا في جسد الأسلوب ، وهذا النوع من النظم عنده «قريب التناول سهل التذوق فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي [كذا] يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره ، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز»[١٢] .

وقرب متناوله وسهولة تذوقه جاء من أن مجاله الذي يعمل فيه أقل خفاء ؛ فهو يتناول جانب الألفاظ أو المعاني الأول أو المعاني الثواني [بمفهوم **عبد القاهر الجرجاني**] ، والثواني وإن تكن ذات خفاء هي معه بحاجة إلى تأمل يتلاءم مع مقداره إلا أن ما يحتاجه من جهد غير عظيم ؛ فكثيرون في معية استحضار قواعد علوم البلاغة التي عُني بها البلاغيون تحريراً وتقريراً يستطيعون تناول ثُمر هذا النظم ورؤية كثير من ملامح جماله وجلاله ؛ لأن هذا النظم عند البقاعي يمثل جسد الأسلوب على الرغم من الإعْلاء الذي منحه له **عبد القاهر** ، ولكن البقاعي لم يعتد كثيراً بهذا النوع من النظم ، وجعل روح الأسلوب النظم الآخر .

(٢) النظم الترتيبي[١٣]

وهو «**نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب بحيث ترتبط كل جملة في الأسلوب بأخواتها فتكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بها**»[١٤] .

فالنظم الترتيبي يقوم على تبيان العلائق بين ما أنتجه النظم التركيبي من جمل ، وهذا النظم الترتيبي هو الدعامة الرئيسية للتناسب عنده ، وهو روح الأسلوب الباعث فيه حيوية وفاعلية .

والتعبير بأن تكون كل جملة آخذة بحجزة ما أمامها يعطي الدلالة على شدة التمكن والاعتلاق ، وشدة الاحتياج إلى هذا الاعتلاق ، كما أنه لا يكون اعتلاق أطراف وحواشي ، فهو اعتلاق في المضمون والمحتوى ، على أساس أن الحجزة في وسط الشيء . والمضمون قلب الأسلوب . فالبقاعي لا يكتفي بما سُمي ربطاً جزئياً والتحاماً موضعياً ، وإنما يشترط لكل سورة من القرآن مبدأ واحداً وروحاً يهيمن على كل عنصر من عناصرها دق أو جل .



المهم أن البقاعي رد الإعجاز الجمالي للقرآن إلى التناسب في ترتيب عناصره ، والفلاسفة والنقاد قديماً وحديثاً ردوا الجمال في الأشياء كلها سواء كانت حسية أو عقلية إلى ما بين عناصر الأشياء من علائق وانسجام **فأرسطو** يقول : « الكائن أو الشيء المكون من أجزاء متباينة لا يعم جماله ما لم ترتب أجزاؤه في نظام وتتخذ أبعاداً ليست تعسفية ، ذلك لأن الجمال ما هو إلا التنسيق والعظمة »[١٥] .

ونراه أيضاً يَرُدُّ مبعث السرور فينا إزاء الأشياء السارة إلى عنصر الترتيب[١٦] ، ومن قبله ذهب **أفلاطون** إلى أن التناسب عنصر رئيسي من عناصر الجمال[١٧] ، وكذلك **أفلوطين**[١٨] (٢٠٥ ـ ٢٧٠) والأشياء في نظر **« أوغسطين »** « لا تكون جميلة إلا إذا تشابهت أجزاؤها وانتظمها انسجام واحد »[١٩] ومثله عند **« سانت توماس »** وإن أضاف إلى التناسب التكامل والوضوح حتى يتحقق الجمال[٢٠] .

ويذهب **« سيرل بيرت »** إلى أن الذي يكون جوهر الجمال هو وجود نوع من النظام أو الترتيب ليس **سطحياً أو دخيلاً** ، ولكنه طبيعي حي كالخصائص التي تقرر نمو النبات[٢١] .

ويرى **« هاربرت »** وأتباعه أن الجمال يتكون في صورة خاصة أو علاقة بين الأجزاء في الشيء المفهوم[٢٢] .

ويعد **العالم الإنجليزي « وليم هوجارت »** التناسب والتنوع على رأس العوامل والمؤثرات التي تؤسس في مجموعها سمة الجمال في الأشياء[٢٣] .

وظاهرة الجمال عند **« كانط »** تعبّر عن الانسجام أو الاتساق أو النظام ، وهذا هو قوام الجمال ومناط تقريرنا وإعجابنا بالشيء الجميل في مجال الطبيعة[٢٤] .

فجمهرة الفلاسفة والنقاد يرون أن علة كل جميل اتساقه وتناسب عناصره كما « أن علة كل قبيح الاضطراب »[٢٥] ، **ولذلك « فالصورة الجميلة بنية حية تشتبك أجزاؤها في علاقات فيما بينها ، وهي في مجموعها تكون تلك الوحدة**



التي هي في الواقع نتيجة لتلك العلاقات »[٢٦] .

فالبقاعي وأولئك النقاد والفلاسفة إزاء فهم الجمال يجمعهم روح واحد ، وليس معنى ذلك تأثر البقاعي بهم أو تأثرهم به ؛ فدراستي للمحصول الثقافي للبقاعي أكدت لي أنه ليس للبقاعي علاقة بالفلسفة الأعجمية ، واطلاعه محصور في الفلسفة الإسلامية الخالصة المتمثلة فيما سمي **بعلم الكلام** .

فالبقاعي منذ خمسة قرون مضت وفي عصر اتُّهم بأنه عصر الموسوعات والتجميع دون إضافة جديد ، استطاع أن يدرك ما تشبث به فلاسفة ونقاد محدثون يقولون فيسمعون .

والبقاعي منذ خمسة قرون أكد أن كل ترتيب إنما يستلزم وجود علاقة قوية بين جميع العناصر فيما بينها وبين الكل الشامل . وقد قال ذلك تماماً « سيرل بيرت »[٢٧] .

عن طريق الاعتلاق بين الجمل في السورة يستطيع المتدبر الوقوف على مغزى ومقصود الكلام وسره ولبابه[٢٨] ، وعن طريق هذا المغزى والمقصود الأعظم يمكن للمتدبر تحرير وجه الاعتلاق بين الأشياء فكان الأمر منه وإليه ، وإذا بالمتدبر للسورة القرآنية يعيش في حركة دائرية تصاعدية لأن المعاني والعطاءات التي يعطيها علم التناسب القرآني إنما يعتمد على أسس منها مباني الكلام وتراكيبه إلا أنها عائدة ـ في الوقت نفسه ـ بالنفع الأسمى عليه ، وكاشفة عن سحره وإعجازه . **فالنظم الترتيبي يتكئ على النظم التركيبي ويستمد منه لينمي عطاءه فيضفي عليه ويزكيه ، فكل منهما آخذ معط .**

ومعنى هذا أن الإجادة في الوقوف على عطاء النظم الترتيبي تنبني على إجادة التأمل في النظم التركيبي « **لمعرفة المقصود الكلي هو المفيد لمعرفة المقصود من جميع أجزاء السورة** »[٢٩] فيظل المتدبر يتنقل بين التأمل في الجزء والتأمل في الكل فيعيش في حركة دائرية وهو يحاول تأمل النص وتدبره . وذلك ما دعا إليه **المفكر الألماني شلير مافر** (١٨٤٣ م) فقال :

« لكي نفهم العناصر الجزئية في النص لا بد ـ أولا ـ من فهم النص في كليته وهذا الفهم للنص في كليته لا بد أن ينبع من فهم العناصر الجزئية المكونة له »[٣٠] .

والقارئ لهذا النص يتداعى إلى ذهنه سريعاً موقف البقاعي في نهجه ومسيرته في تفسيره فهو دائم الحركة الترددية بين المقصود الكلي والجزئيات في السورة . وعدل من فهمه وتدبره طبقاً لما أسفر عنه دورانه بين الكلي والجزئي . بل قام بتعديل في خطته ومنهجه بعد الاستمرار فيها عشر سنوات[٣١] .

ومن ثم كانت ملامح التناسب بين عناصر السورة ذات خفاء دفع بعض المستشرقين وأدعياء الثقافة الطعن في القرآن من هذه الحيثية وخفاء ملامح التناسب ودقتها أضفت صعوبة إدراكها فاحتاجت من المتأمل إلى رحابة أفق وعمق تأمل وشفافية بصيرة ، وقدرة على الاختزان الأمين لدقائق التعبير والتتبع الدقيق في حرص بالغ كل حركة جزئية فيرصدها ليحظى في النهاية بالروح الممسك بزمام كل صغيرة وكبيرة بعد أن ألقت إليه مقاليدها ، وذلك أمر صعب مراسه ، ومن ثم كانت ثماره باسقة ذات شأن وخطر ، ويكفي أن يتوقف عليها ما يخسر الإنسان معه سعادة الدارين .

فالبقاعي في اعتماده في تحديد معنى جزئيات النص على المقصود الكلي للسورة الواردة فيها سبق أئمة النقد الأدبي المعاصر الداعين إلى ما سمي بالوحدة العضوية في العمل الأدبي[٣٢] ، ونحن لا نذهب إلى القول بالوحدة العضوية أو الموضوعية في السورة القرآنية وغير ذلك من المصطلحات النقدية ،

في إطلاقها على القرآن رائحة اعتزال قد يفهم منه القول بخلق القرآن الكريم. بل **نحن لا نؤيد إسقاط مصطلحات ومعايير النقد على الدرس القرآني فالفرق جد شاسع بين منهج التعبير في القرآن ومنهج التعبير في الفنون الأدبية.**

المهم أن البقاعي يؤكد أن في كل سورة مبدأ مهيمناً على كل عنصر من عناصرها سواء دق أو جل ذلك العنصر كما أنه يؤكد **أن الأصل في تحديد عنصر القيمة للأشياء عنده هو مقدار تناسب هذه الأشياء فيما بينها وتناسبها مع الغرض المسوق له الكلام.**

ومعنى هذا أن البقاعي لا يكتفي بتناسب الأسلوب في ذاته، أي من حيث هو كل مكون من عناصر متعددة. وكذلك لا يكتفي بتناسب الأسلوب مع الغاية، وإنما هو يحم وجودهما معاً وفي وقت واحد، ويجعل التناسب الثاني ـ أعني التناسب مع الغاية والهدف ـ هو منبع التناسب الأول. وإدراك التناسب الأول أيسر عنده من إدراك التناسب الثاني، كما أن الالتذاذ بالأول أقرب، وعطاؤه حسي أو عقلي يكتفي به من قصرت همته. أما إدراك التناسب الثاني فهو أصعب وأسمى لذة، وعطاؤه روحي لا يشرئب إليه إلا ذو همة عالية.

وموقف البقاعي من التناسب القرآني يؤكد استحالة الحكم على الجمال التعبيري من خلال المضمون وحده؛ لأنه لا وجود لذلك المضمون إلا في محيط الصياغة والتشكيل؛ فمنهما يبرز المضمون.

على أن البقاعي يعطي للصياغة اهتماماً أعلى مما يعطيه للتشكيل، وليس ذلك ـ فيما أعتقد ـ إغفالا من البقاعي لفاعلية التشكيل في التعبير القرآني؛ فهما على حد سواء في المنزلة لدى التعبير القرآني، وإن يكن البلاغيون قد حكموا على التشكيل بالعرضية، وحبسوه في التزيين والترف التعبيري ـ البقاعي عندما شُغل أكثر بالصياغة كان ذلك من قبيل الاهتمام بما كان غامضاً أو غير ذي حظوة لدى النقاد والمبدعين؛ فالشعراء في عصر البقاعي كانوا شغوفين بالتناسب الشكلي، ودونك «**ابن حجة الحموي**» وغيره يؤكد ذلك. هذا الاهتمام من معاصري البقاعي بالتناسب الشكلي هو الذي دعا البقاعي إلى الاهتمام بالصياغة حتى إن ما عده غيره تشكيلاً استحال في منهج البقاعي صياغة كما نراه في تدبره لأسلوب الاحتباك القرآني أو اللف والنشر... إلخ.

ومتابعة البقاعي في تفسيره للقرآن الكريم تؤكد لنا أن قدراته التصويرية والسلوكية جديرة بأن تتوقف عندها جهود الباحثين محللة، مقومة، مستفيدة ما سيغير ـ في يقيني ـ نهج الدرس البلاغي وملامحه.

لما قدمه البقاعي ـ بحق ـ فيه إضافة وإكمال لعطاء **عبد القاهر الجرجاني** ويفوق كثيراً ما قدمه **الزمخشري** من حيث المنهج والنظرية. وإن سما الزمخشري عليه في تحرير المسائل البلاغية كالتشبيه والاستعارة بأنواعها... إلخ. وهو تحرير غير مرتبط بالسياق الكلي والمقصود الأعظم للسورة، فكان البقاعي بما قدم في تفسيره للقرآن الكريم جديراً بأن يوضع بجوار عبد القاهر الجرجاني، وجار الله الزمخشري على الأقل. في مقال قادم إن شاء الله نستكمل القول في منهجه السلوكي التطبيقي، وسنرى ما يؤكد ما قلته آنفاً.

الهوامش

(١) راجع كتاب عنوان الزمان للبقاعي ١٦٢/١، مخطوط رقم ٢٢٥٥، تاريخ تيمور.

(٢) راجع مقدمة الاعلام بسن الهجرة للشام، للبقاعي، مخطوط رقم ١٦٦ بالخزانة الزكية بمصر وشذرات الذهب لابن العماد ١٥٧/٨.

(٣) راجع نظم العقيان للسيوطي، ص ٢٤، والبدر الطالع ١٩/١ ـ ٢١، وشذرات الذهب ٩/٧.

(٤) حققت ذلك وفصلته في بحث لي للعالمية «الدكتوراه».

(٥) راجع ترجمة البقاعي في عنوان الزمان ٣٥٠/١، ونظم العقيان، ص ٢٤، وشذرات الذهب ٣٢٩/٧، والبدر الطالع ١٩/١، والضوء اللامع ١٠١/١، ومعجم المصنفين ٢٧٧/٣، وبدائع الزهور ١٦٩/٣، والأعلام للزركلي ٥٠/١.

(٦) راجع نظم الدرر للبقاعي ٤/١، مخطوط رقم ٢١٣، تفسير دار الكتب المصرية.

(٧) المرجع السابق ٢/١.

(٨) فيض الفتاح للشربيني ١٠/٢ ـ ١٨، والاحكام في أصول الاحكام للآمدي ١٣/١.

(٩) مصاعد النظر للبقاعي ق ٢، مخطوط رقم ١٩٦٩١ ب، دار الكتب.

(١٠) التركيب «لا يغير في مفهومه النسبة بالتقديم والتأخير بخلاف الترتيب فإنه تعتبر فيه النسبة بين الأجزاء»، راجع المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ٢٦٩/١.

(١١) انظر «نظم الدرر» للبقاعي ٣/١.

(١٢) الموطن السابق.

(١٣) الترتيب «جمع الأشياء الكثيرة في نظام واحد يكون لبعضها منها نسبة إلى بعض بالتقديم والتأخير»، راجع المعجم الفلسفي، جـ١، ص ٢٦٧، للدكتور جميل صليبا، طبعة (١) سنة ١٩٧١م، بيروت.

(١٤) انظر نظم الدرر ٣/١، و ٤١٣/٦، مخطوط رقم ٢١٣ تفسير.

(١٥) انظر كتاب في الشعر لأرسطو، ترجمة د. شكري عياد، ص ٦٠، ط١٣٨٦هـ.

(١٦) انظر «علم الجمال» لدنيس هولسمان، ترجمة د. أميرة مطر، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(١٧) انظر «فلسفة الجمال»، د. عبد الفتاح الديدي، ص ٨٣ ـ ٨٦.

(١٨) انظر «علم الجمال» لدنيس هولسمان، ص ٢٧.

(١٩) الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، ص ٤٧، طسنة ١٩٧٤م.

(٢٠) الموضع السابق.

(٢١) انظر «كيف يعمل العقل» لسيرل بيرت، ترجمة محمد خلف الله، ص ٢٤٥، جـ٢.

(٢٢) الأسس الجمالية في النقد العربي، ص ٥٦ و١١٨ ـ ١١٩.

(٢٣) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، د. محمد علي الريان، ص ٢٨، ٢٩، ٣١، ط٤، سنة ١٩٧٤م.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٢٥) عيار الشعر لابن طباطبا، ص ١٥، ط سنة ١٩٦٥م، القاهرة.

(٢٦) الأسس الجمالية في النقد العربي، ص ١٢٥، ط٣، سنة ١٩٧٤م.

(٢٧) كيف يعمل العقل لسيرل بيرت، ص ٢٤٣، ترجمة د. خلف الله.

(٢٨) نظم الدرر، جـ٦، ق ٤١٣، مخطوط رقم ٢١٣، تفسير.

(٢٩) المرجع السابق، ٢/١ب.

(٣٠) انظر مقال «الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النص» للأستاذ «نصر بن زيد»، ص ١٤٥، مجلة (فصول)، عدد (٣)، مجلد (١).

(٣١) انظر مصاعد النظر، ق ٧ ب، مخطوط رقم ١٩٦٩١ ب، دار الكتب المصرية.

(٣٢) انظر النقد الأدبي لوليم ڤان أوكونور، ترجمة صلاح أحمد إبراهيم، ص ١٠٦ + قواعد النقد الأدبي لأبركرومبي، ص ٥٦ ـ ٥٧، وفلسفة الجمال، د. الديدي، ص ٢١١ ـ ٢١٢، وكيف يعمل العمل لسيرل بيرت ٢٤٢/٢ ـ ٢٤٥، ومشكلة المعنى في النقد الحديث لمصطفى ناصف، ص ٧٩، وفلسفة وفن، ص ٢١١، لزكي نجيب محمود، و«كانت» لزكريا إبراهيم، ص ٣٠٤، والنقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني لأحمد الصاوي، ص ١٢٩ ـ ١٣٨، مجلة (فصول)، ص ٩٧، عدد (٢)، مجلد (١).

من وحي السبعين

شعر: د. عزت شندي موسى

مضى العمرُ.. إلا ما أراه قليلا
وأصبحت أخشى في القريب.. رحيلا
ودارت بيَ الأيام حتى تثاقلت
بنجمي فأبدى في العشيِّ أفولا
وجفَّت عصارات الحياة بهيكلي
فصار على مرِّ الزمان نحيلا
على أنها مرَّت كأضغاث حالم
تجشَّم ليلاً قد طواهُ.. ثقيلا
وتلك لعمري سُنَّةُ الله في الورى
وما نرتجي، فيما يريد، بديلا
فلا يشمت الجهَّال.. فالكأس لا تني
تدور عليهم.. صبية وكهولا
وليس لمخلوق - وإن طال مكثه -
سوى الموت يغدو مورداً وسبيلا

* * *

فيا أيها الغافي.. تنبه ولا تنم
فسوف ينام الجفن منك طويلا
ولا تدع الأيام تمضي.. عواقراً
فقد تنتضي ثوب الشباب عجولا
وقد سلب الدهر الأحبَّة.. شملهم
فأمسوا على كرِّ السنين فُلُولا
وباتت مغانيهم خلاءً دوارساً
وقد تركوا للذكريات طلولا

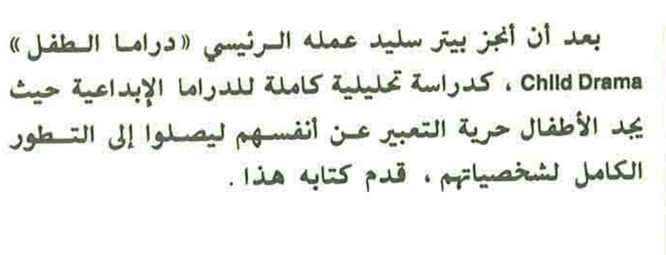
* * *

وداعب زهور الحب قبل ذبولها
فسوف تلاقي في الخريف ذبولا
ومتِّع - خليَّ القلب - بالحسن.. أينما
لقيت سناء أو رأيت جميلا
وكحل به عينيك قبل نضوبه
فلا بد أن يفنى السنا ويحولا
.. ولكن تورَّع إن أردت سلامة
وعش رغم إغراء الجمال.. نبيلا
ترى الله في كل المفاتن.. ماثلاً
وفي كل ما يُسبي الفؤاد مثولا
وقل إن هذا كله صنع مبدع
تجلى على عرش الجمال.. جليلا
وعطِّر بذكر الله في كل لحظة
فؤادك.. واغمر بالثناء رسولا
ومهما يكن من عثرة في جهالة
فغفران ربي لا يزال جزيلا
وليس يذوق العفو إلا الذي كبا
هفا بكرة.. ثم استقام أصيلا

رحلة في كتاب

تأليف :
بيتر سليد
عرض وتحليل :
محمد بسام ملص

مقدمة إلى دراما الطفل



بعد أن أنجز بيتر سليد عمله الرئيسي « دراما الطفل » Child Drama ، كدراسة تحليلية كاملة للدراما الإبداعية حيث يجد الأطفال حرية التعبير عن أنفسهم ليصلوا إلى التطور الكامل لشخصياتهم ، قدم كتابه هذا .



يقول **فرانسيس ماكنزي** ، وهو مدير سابق لجمعية الدراما البريطانية ، في مقدمة الكتاب التي تقع في ثلاث صفحات ، إن هذا الكتاب يشمل كل أساليب **« بيتر سليد »** الأساسية في دراما الأطفال موضحة ببساطة . إن الكتاب حافز للمعلمين والمهتمين في دراما الأطفال ، كما أنه معين لأولئك المعلمين الذين تنقصهم الثقة في خيالهم .

يستمد المؤلف مادته من تجربة واسعة مع الأطفال استمرت أكثر من



٣٠ عاماً ، وهو يعالجها معالجة تحليلية ، وإن كان موقفه الكلي في الكتاب يظهر مقدار حبه وتقديره واحترامه للأطفال . وما يؤكده المؤلف عن العلاقة بين دراما الطفل وفن الطفل هو مثير للاهتمام . ومن هنا فإن نصائحه للكبار الذين يتعاملون مع الأطفال في هذا الميدان لها قيمتها لأنها نابعة من تجربة وحب للعمل .

يتابع ماكنزي تعليقه على المؤلف فيشير إلى أن العديد من المدارس في **بريطانيا** قد تأثر معلموها بأسلوب بيتر سليد . ولعل أكثر موقف أثار ماكنزي عندما يتطرق المؤلف بيتر سليد إلى الدراما الاجتماعية Social Drama التي تعد من أكثر أنواع الدراما تأثيراً في الأطفال .

هذا الكتاب هو اختصار لكتاب « دراما الطفل » Child Drama للمؤلف نفسه . وقد جاء بناء على رغبة الكثيرين . ويلاحظ أن الكثير مما ورد في هذا الكتاب جديد في مادته رغم ورود بعض الفقرات من الكتاب الأول . وقد عزز سليد كتابه هذا بأمثلة جديدة استقاها من المدارس ، بالإضافة إلى وجود بعض الصور الفوتوغرافية التي لم تنشر من قبل . وقد خص المؤلف الآباء بقسم خاص بسبب اهتمامهم الشديد الذي أبدوه أثناء انعقاد مجالس الآباء .

مبادئ عامة General Principles

دراما الطفل هي فن قائم بذاته . إنها ليست نشاطاً اخترعه شخص ، ولكنها السلوك الحقيقي للإنسان . ومن الأهمية بمكان التمييز بين دراما الطفل والمسرح ، لأن ما يفعله الطفل في الواقع يختلف عما نراه على خشبة المسرح . **إن أساس دراما الطفل هو اللعب . لذلك يجب التركيز على اللعب .**

اللعب جزء حيوي للحياة ، وهو بالنسبة للطفل يعتبر طريقته في التفكير والاسترخاء والعمل والتذكر والتجربة والإبداع والتلقي . اللعب هو الحياة نفسها . وتكون أفضل طريقة للعب الطفل عندما يلقى الرعاية والتوجيه من عقل راشد لا يحاول أن يتدخل . تظهر في لعب الطفل **لحظات تشخيص** Characterization ومواقف عاطفية مما يؤدي إلى أن يبرز اصطلاح جديد هو **اللعب الدرامي** Dramatic Play . وأهمية هذا الاصطلاح هو في الاستخدام . فهناك فكرة التمييز بين الدراما بالمعنى الواسع والمسرح كما يفهمه الكبار . في المسرح عرض منظم وتجربة مشاركة وممثلون ومشاهدون . في اللعب الدرامي كل طفل هو ممثل ومتفرج . وهذا يقودنا إلى **كلمة « دراما » المأخوذة من اللاتينية Drao بمعنى الفعل والحركة والمعاناة** . وهكذا فإن الطفل في الدراما يعمل ويكتشف الحياة ، سواء أكان ذلك من خلال اللعب الفردي أو الجماعي . ولا يكون هنا أي اعتبار للمسرح بمفهوم الكبار . اللعب الدرامي تجربة مثيرة يكون دور المعلم فيها الإشراف .

ونلاحظ في دراما الطفل سمتين بارزتين هما الانهماك (**الاندماج**) Absorption **والإخلاص** Sincerity . والانهماك هو الاندماج الكلي بما يفعله الشخص . أما الإخلاص فهو شكل كامل من الأمانة في تأدية الدور مع الشعور المكثف من الواقعية والتجربة . ولا بد من تنمية هاتين الميزتين لأنها ذات أهمية في بناء الفرد . فهما تساهمان ، فيما بعد ، في المحاولات المستمرة بالنسبة للمسرح . وتبدأ هاتان الميزتان بالظهور في المراحل المبكرة كشكلين من اللعب عند الأطفال : **اللعب التصوري** Projected Play **واللعب الشخصي** Personal Play .

اللعب التصوري : Projected Play

هو الدراما حيث يستخدم فيها العقل كلية ، في حين أن الجسم لا يستفاد منه بصورة كاملة . تستخدم في هذا اللعب الألعاب والمكعبات والورق وغيرها من الوسائل التي تتخذ أدواراً وشخصيات ، كما أنها تصبح جزءً من المكان . في اللعب النموذجي يقف الطفل أو يجلس أو يستلقي على الأرض . وعادة ما يستخدم يديه . إن الحديث الرئيسي في هذا اللعب الدرامي يقع خارج الجسم ، ويتميز بأن الطفل يندمج فيه اندماجاً كاملاً . ويكون الاتجاه نحو الهدوء والثبات في حين أن الأدوات المستخدمة مثل الألعاب والمكعبات تأخذ دور الحركة . ويمكن الاستفادة من الأصوات أيضاً . وهذا النوع من اللعب يكون مسؤولا عن نمو الانهماك Absorption إذ إنه يبدأ في مرحلة مبكرة من عمر الطفل ، وهي مرحلة لا يتمكن فيها الطفل من استخدام جسمه .

اللعب الشخصي : Personal Play

في هذا النوع من اللعب يستخدم الطفل جسمه من أجل الحركة ، كما أنه يبدأ في التشخيص أيضاً . ويدخل الرقص في هذا اللعب

الدرامي ، إذ إن الطفل بإمكانه استخدام جسمه .

يكون الاتجاه هنا نحو الصوت والحركة المادية يقوم بهما الطفل وهو يكتشف محيطه . ويظهر هذا اللعب إخلاص الطفل في الدور الذي يؤديه . وكلما استطاع الطفل أن يسيطر على جسمه كان أكثر قدرة على هذا اللعب .

وتتطور من هذا اللعب أنواع مختلفة من الرياضة مثل الركض وألعاب الكرة والسباحة وركوب الخيل والدراجة ، بالإضافة إلى الرقص والتمثيل . ويمكن استخدام الحوار والموسيقى . ومن هذا اللعب يمكن أن تتطور أيضاً ، فيما بعد ، الألعاب بالآلات الموسيقية وصيد السمك والقراءة والكتابة وألعاب أخرى غير عنيفة . ويلاحظ هنا التأمل والصبر والتركيز والتنظيم والاهتمام بالدمى المتحركة ونماذج مسرحية .

إن الطفل الذي يُعطى الفرصة المناسبة لممارسة هذا اللعب يجرب الأفكار والعواطف بين سن الواحدة والخامسة . ورغم أن الانسجام يسبق الصدق ، إلا أن الصفتين تقويان معاً ليبرز التمثيل . وهكذا فإن الدراما موجودة دائماً وهي تتطور عند الطفل من الصورة الأقل وضوحاً إلى الصورة الأكثر إشراقاً . وهذان النوعان من لعب الأطفال ، واللذان يكملان بعضهما البعض ، لهما التأثير الأكبر على بناء الطفل وسلوكه وقابليته ليتكيف مع المجتمع . **إن إتاحة الفرصة للطفل ليلعب ، معناها أن يكسب ويتطور . وبالمقابل فإن عدم اللعب قد يعني فقدان جزء أساسي من الشخص** ، وهو ذلك الجانب غير المتطور من شخصيته الذي قد يؤدي إلى صعوبات مثل عدم الثقة في المستقبل . ولهذا يتجاوب الأطفال المعوقون عادة لهذا النوع من اللعب إذ من خلاله يتمكنون من إعادة بناء أنفسهم . إنهم يفعلون في مرحلة متأخرة ما كان يجب أن يفعلوه في مرحلة سابقة مبكرة من عمرهم .

الأشكال المتكررة : Recurring Shapes

تظهر شكل الدائرة في الفترة المبكرة عند الزحف والركض والدوران حول نقطة . وتزداد الدوائر اتساعاً بين سن الخامسة والسابعة . وتضم الدائرة الكبيرة في المدرسة الابتدائية معظم الأطفال خلال اللعب . وفي السابعة أيضاً تظهر مرحلة المجموعات لأن الرفاق هم جزء مهم في حياة الطفل الطبيعية في هذه الفترة . في مجموعة الرفاق هذه يكون اتجاه الأطفال نحو قائد ذي شخصية قوية يعمل كوسيط بين الطفل والبالغ بالنسبة لبقية الأطفال في المجموعة نفسها . وتبدأ الدائرة الكبرى بالانقسام إلى دوائر . ثم تظهر الدائرة بين سن ١١ و ١٣ بأشكالها المختلفة ، وبعدها يتبلور الاهتمام نحو المسرح . ويمكن لخشبة المسرح المرتفعة أن تكون ذات فوائد ، إلا أن الحاجة الأساسية في هذه الفترة هي نحو أرض واسعة تسمح بحرية الحركة . ويبرز أيضاً شكل آخر وهو شكل اللولب عندما يندفع الأطفال إلى الساحة ، وكذلك يبرز شكل S في المرحلتين الابتدائية والإعدادية . وشكل S هذا هو نصف شكل 8 المألوف في الركض .

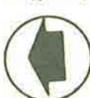
العلاقة بين اللعب التصوري والدراما :

هناك حقيقة مهمة وهي أن **الرسم عند الطفل** يحسِّن شعوره بالفراغ عندما يتحرك على الأرض . إن الطفل الذي يركض على شكل نجمة أو مثلث يقوم برسم هذه الأشكال على الورق في هذه المرحلة . وهذا سببه أن الأطفال بدأوا يميزون بين الكتلة والفراغ من خلال لعبهم الدرامي . إنهم يلاحظون أجسامهم والمسافات فيما بينهم . ومع التدريب الدرامي يقل ارتطامهم ببعضهم البعض أو بما يحيط بهم ، وهذا بدوره يقدم تحسيناً للفن . وهكذا **فالفن هو خارطة تبيّن تطور الشخص** .

عندما يكتشف الأطفال الفراغ بمعناه المادي ويميزونه بوضوح ، وعندما يريدون أن يكونوا أكثر جدية في الدراما بمعناها العاطفي والخيالي ، فإنهم يحققون آنذاك تساوي الأبعاد . وتساوي الأبعاد هو الذي يسبق التكوين ، إذ تترتب الكتلة واللون والفراغ بطريقة أكثر وضوحاً . إن التكوين الجيّد في الرسم يقابله التجمع الجيّد في الدراما . **إن دراما الطفل هي خطوة نحو الترتيب العقلي ، وهي أيضاً مؤشر إلى التقدم الاجتماعي الذي يحرزه الطفل إذ يبدأ باعتبار حاجات الآخرين** . ونتيجة لذلك تظهر الدراما كفن قائم بذاته يجب أن يتميز ويُحترم ويتطور .

ماذا يفعل الآباء لمساعدة الأطفال
What Parents Can Do To Help

دراما الطفل هي شكل من أشكال التعبير الذي يهتم بطبيعة



الإنسان . ويصبح الأطفال سعداء واثقين من أنفسهم والآخرين ، مطيعين باستخدام الدراما . ويرى الكبار الواعون كيف يتطور أطفالهم في الحياة من خلال مراقبتهم . فهذا الشكل من الفن يهتم بالحياة . وكلما عرفنا عن دراما الطفل استطعنا أن نغير موقفنا ، وبالتالي أن نعمق فهمنا للدراما .

موقف الآباء العام :

الحب هو أهم شيء في حياة الطفل . وعلى الآباء أن يدركوا أهميته في حياة أطفالهم . إنه ليس أمراً عارضاً أو نزوة ، بل هو شعور صادق دائم . ولهذا فإن على الآباء أن يكتشفوا كيف يشكلون نموذجاً من السلوك الشخصي تجاه أطفالهم . إنه سلوك يجمع الصبر والعطف . يقدم الآباء بعض القواعد لأبنائهم وعليهم أن يتعاملوا معهم بحنان وحزم من أجل التقيد بها لتصبح فيما بعد عادة . وعادة ما تقدم الأم معظم الإرشادات بينما يكون الأب هو السلطة الأخيرة . وفي حالة حدوث خلل في هذا الوضع فإن الثقة بين الطفل وعائلته تتأثر كثيراً .

كلمة نعم يجب أن تعني نعم ، وكلمة لا تعني لا . ويجب أن يراعي الآباء فهم الأطفال لهذا . وفي هذا المجال لا نتوقع من الأطفال أن يكونوا دائمي النظافة لأن لعبهم لا بد أن يؤدي إلى بعض الأوساخ . **وإذا ما أصر الآباء على ضرورة نظافة الأطفال دائماً فإن هذا الموقف يكون ظلماً لهم لأنه غير صحي** . كما أن غيابهم عن الأعين يجب ألا يكون مصدر إزعاج للكبار . إن الأطفال ينمون ، ويجب ألا يفعل الآباء كل شيء لهم . بل عليهم أن يشجعونهم بحيث يحتفظون بالثقة والأمل دائماً .

لا بد من توفر شعور بالحياة الاجتماعية داخل البيت . ويرافق هذا شعور بالمرح ، وبوجود فرص للعمل مع ضرورة وجود جو يتوفر فيه الأمان ليتيح للطفل أن يجرب الأشياء بطريقته الخاصة . وعندما يقف الأطفال يفكرون ويتخيلون أنفسهم أمام التنين أو في مركبات الفضاء ، فإن هذه هي دراما الطفل ، فطريقتهم في تنفيذ أفكارهم هو شكل فن الأطفال . وفي هذه المواقف على الكبار مراقبة الأطفال وتشجيعهم ، وهذا يمنح الكبار فرصة ذهبية ليفكروا بالآخرين .

يكون اللعب التصوري هو الأكثر ظهوراً في سنوات الطفل الأولى . ويساهم المعلمون في تنمية هذا اللعب خلال أوقات الدرس . أما النوع الثاني من اللعب ، وهو **اللعب الشخصي ، فلا تعرف بداياته ، ويحتاج إلى المكان لكي ينمو** . وهذان الشكلان من اللعب يمكن أن يكونا دراما وليس مسرحاً كما يفهمه الكبار .

يساعد البيت دراما الطفل وينميها من خلال اقتراحات عدة . فالأصوات المختلفة الصادرة من أدوات كثيرة تجذب الطفل منذ سنواته الأولى . والسبب أن الطفل يحب الأصوات ويقسمها إلى ضربات وإيقاعات . ويحب الطفل أيضاً القفز إلى أعلى والركض . ولا يمنع الوالدان الركض خوفاً على الطفل من السقوط لأن القفز والركض يقودان إلى الألعاب الرياضية فيما بعد ، وهما أساس رقص الطفل . كذلك فإن الصراخ والمناغاة بين وقت وآخر تساعد الطفل في اكتشاف قوة رئتيه والبحث عن المفردات . ويشارك الكبير في أصوات مليئة بالحيوية . ويمكن إدخال بعض الكلمات الحقيقية وإعادتها أكثر من مرة ، لأن الطفل سيقوم باستخدامها فيما بعد . وبذلك يزيد من مفرداته .

يسعى الكبير ، وهو يشارك الطفل في الصراخ والمناغاة ، إلى دمج الكلام والأصوات والموسيقى بحب عميق للصوت . وهذا بدوره يقود الطفل ، فيما بعد ، إلى تذوق ذكي للأدب ، ويؤدي إلى التقدير الحقيقي للشعر .

ويُنصح الكبير بتكوين كلمات جديدة غريبة ، أما السبب في هذا فهو اهتمام الطفل باللغة ، فيكون للكلمات الصحيحة اهتمامها فيما بعد . كما يسمح الكبير للطفل بالألعاب المختلفة مثل رعاة البقر واللصوص التي تساعد في نمو الطفل . **وعلى الكبير أن يحذر حذراً شديداً من السخرية من الطفل وهو يلعب أمام أي زائر** . إن هذه هي الدراما الحقيقية . هنا الطفل يجرب الحياة ويكتشف نفسه .

يجب ألا يظن الكبير أن عند الطفل بواعث عدائية بسبب القتل الكثير خلال اللعب . إن الطفل يحاول أن يتغلب على العدو الذي يتخيله . وبما أن الكبير يريد للطفل أن يفوز في معارك الحياة ، فإن هذا اللعب له ما يبرره فهو ممارسة وتمرين وإعداد للحياة . وإذا ما قام الطفل بالتحدث إلى أبيه ، مثلاً ، كأنه أحد رعيته ، فهذا معناه أن الأب قد استطاع أن يكسب ثقة طفله به ، **وكلما سلك الأب سلوكاً أفضل نحو طفله اعتاد الطفل أن يتعرف بطريقة مناسبة في لحظة ما إلى الحياة** .

يحرص الكبير على أن يتيح الفرصة لأطفال آخرين المشاركة مع طفله ، لأن الأطفال يتعلمون التسامح عند اللعب مع بعضهم البعض . كذلك يتعلمون الطاعة بالاستخدام الصحيح لدراما الطفل . كما أن نموهم العاطفي يأخذ مجراه الصحيح إذا كانت هناك متابعة حنونة غير مقيدة .

يمكن للكبير أيضاً أن **يقترح** ماذا يجب أن يقدمه الطفل ، ولكن يجب ألا **يبين** كيف يتم ذلك . ويلاحظ الكبير هنا ألا يقطع اللعب على الطفل ، وإن أراد له أن يفعل ذلك فلينبه الطفل إلى أن وقت الطعام أو الحمام قد حان .

ويحاول الآباء ألا يعطوا اللعب الثمينة لأطفالهم ، بل يقدمون لهم الألوان والورق والأشياء البسيطة الأخرى ، كما يحرصون على ألا يشجعوا المباهاة لدى الطفل ، بل إن يشجعوا النجاح عنده . كذلك لا يقوم الكبار بتشجيع أفكار « المسرح » في السنوات المبكرة . فالكل يعمل في دراما الطفل ، أي أنه لا يوجد جمهور وممثلون . ولا يحاول الكبار أن يتحدثوا عن مشاكل صغارهم أمام الكبار لأن هذا يؤذي الصغار كثيراً .

يُنصح الوالدان عادة بتخصيص غرفة للطفل إذا أمكن ذلك . ويترك الوالدان الفرصة للطفل ليختار ألعابه . ويشجعانه أيضاً على ارتجال الحوار في القصص التي تقرأ له . **ويجب أن ينتبه الوالدان إلى ضرورة تجنب الضحك إذا ما قام طفل في الخامسة بتقديم خمسة أشخاص وأشياء في ثوان** . إن الضحك في المواقف التي يكون فيها الطفل مندمجاً في لعبه يفقده جدية اللعب . ويُشجع الطفل على الاهتمام بالحياة والجمال فيما يراه .

ماذا يفعل الكبار مع الأطفال من سن الخامسة إلى السابعة

يبدأ الكبير بمشاركة الطفل في سن الخامسة في لعبه ولا يكتفي بمجرد المراقبة . فالطفل يبدع بمساعدتنا . ومن هنا فعلينا أن نثير الارتجال في الحركة والموقف واللغة . ونستفيد من الأصوات كثيراً لأن الأطفال مغرمون بالأصوات . يأتي إبداع الأطفال ، في المدرسة الابتدائية مثلاً ، من خلال استخدام العديد من الأصوات المثيرة . **وعادة يقسم الأطفال الصوت إلى ثلاثة أقسام : ضربات الوقت ، والإيقاع ، والقمة** . ويمكننا أن نجعلها وحدة واحدة إذا ما فهمناها وقدرنا أهميتها للطفل . لهذا نأخذ معنا إلى القاعة المخصصة للنشاطات ، أو في قاعة الدرس ، الطبول والصافرات والصناجات والعصي . كذلك **يمكن استخدام « البيان » و « الحاكي »** في فترة متقدمة .

يدخل الأطفال على **صوت الجرس** ، ويسألهم المشرف عما سمعوه . ويجيبون بأنه يذكرهم بزلاجة الثلج . وبسرعة يطلب منهم المشرف أن يتخيلوا الموقف مع **زلاجة الثلج** ، دون أن يتدخل في تفاصيل إبداعهم . ومع الصافرة يتخيل الأطفال القطار ، ثم يقومون بتشكيل قطار ويسيرون دون أن يقدم المشرف أي نقد . وإذا ما أبطأت حركة القطار يقوم المشرف بتوجيههم إلى المحطة بواسطة الصافرة . ويراقب المشرف بعض المترددين والخجولين أثناء اللعب الدرامي هذا ، ليقوم بمساعدتهم في لقاءات لاحقة .

وفي كل مرة يقوم المشرف بإصدار أصوات من آلة مختلفة . ويطلب من الأطفال أن يؤدوا ما توحي إليهم الأصوات . ويقبل المشرف كل الاقتراحات دون أن يقول : « افعلوا هكذا » ، لأنهم قد لا يطيعون . والقاعدة العامة تقول : **إنه إذا لم تكن هناك أوامر فلن يكون هناك عصيان** . وهكذا فإن المشرف يسيطر على المجموعة بالصداقة والثقة والمرح ، ويدعهم ينظمون أنفسهم بأنفسهم .

وحتى يقوّي المشرف صداقته مع الأطفال ، يحاول أن يتركهم يؤدون قصصاً تظهر من اقتراحاتهم . هذا بالنسبة لأطفال الخامسة . أما أطفال السادسة فإن المشرف يقترح عليهم أفكاراً لقصة يقومون بأدائها . أما أطفال السابعة فيبدأون في الجدية . وهنا يقدم المشرف قصة بتشخيص أكثر وضوحاً ، كما يزيد من عدد الشخصيات . ويهتم كثيراً بأن يقدم الأطفال الأفكار المختلفة لأنهم بذلك يشاركون في الإبداع . ويعطي المشرف الفرصة للأطفال ليقدموا تفاصيل مختلفة يؤدونها فيما بعد درامياً ، ومن خلال متابعة المشرف لهم . وينبغي على المشرف أن يكون مسروراً لهذه البدايات وإن كانت نتائجها قليلة . ومن حق المشرف أن يشعر بالارتياح إذا ما استطاع طفل السادسة أن يميز بين ضربات الإيقاع (المنتظمة) والإيقاع (المتغير) ، وأن يحافظ على توازنه والمسافة بينه وبين الآخرين . **وعلى المشرف أن يدرب الأطفال على ارتجال الحوار لأن هذا هو أفضل توجه نحو تطور اللغة عندهم** .

وقد تصادف المشرف بعض الصعوبات المرتبطة بالمكان . ويمكن له أن يستفيد من وجود المقاعد بأن يتخذها الأطفال جبالا وخيولا . ويراعي المشرف أن يأخذ الأطفال الأوضاع التي يرتاحون إليها ، لأنه ليس في مسرح حيث الأطفال ينقسمون إلى جمهور وممثلين .



ماذا يفعل الكبار مع الأطفال
من سن الثامنة إلى العاشرة
What To Do With Juniors

يتابع المشرف الأعمال التي بدأها في المرحلة الابتدائية المبكرة . يشجع المشاهد الطويلة ويقلل من إعطاء التعليمات . إنه هنا يستخدم قصصاً أطول وأكثر تعقيداً . ويتيح الفرصة للأطفال ليشاركوا في تكوين أحداث القصة وفي الإضافات العديدة . وقد يقترح الأطفال كيفية تقديم المناظر كما يقررون اختيار الأشخاص . وعلى المشرف هنا أن يضيف محاولات مرتجلة من الأطفال أنفسهم من خلال إعطاء الفرصة لهم ليقدموا اقتراحات مختلفة ، وكل هذا حتى لا يفتر حماسهم . ويفتح المشرف المجال للنقاش . كما أنه يقدم ملاحظات مثل هذه : «أعجبتني الطريقة التي قدمتم بها . . ولكن أعتقد أنه بإمكاننا جعلها أكثر اهتماماً وإثارة» ، ويتجنب أن يقول : «من الأفضل لو فعلتم كذا» ، وعليه أن يتقبل إجاباتهم والاستفادة من اقتراحاتهم مع بعض الإضافات . **ويتذكر المشرف دائماً أن التدخل في لعب الأطفال غير تربوي . أما التوجيه والإشراف فهو الأسلوب الأفضل** . إذ إن تلك اللحظات هي لحظات تعليمية تختلف عن اللعب الذي يمارسونه في ساحة المدرسة مثلاً .

يمكن للأطفال في سن التاسعة أن يبتكروا قصصاً من خيالهم . وتظهر هنا بوضوح سيولة اللغة ، ولا بد من تشجيعها . ولا يخشى المشرف أن يظهر سلوك الأطفال فظاً ، فالثقة في الصداقة والحب التي يعاملهم بها تعطيهم الثقة في أنفسهم . ومع اختلاف البيئات تتعدد اللهجات ، **فيجب على المشرف ألا يسخر من لهجات الأطفال المختلفة لأن هذا من شأنه أن يحبطهم.**

عندما يسمح المشرف للأطفال بتقديم القصص العديدة التي تكون من ابتكارهم ، يشعر الأطفال بالراحة في صداقتهم معه . وهذا يتيح فرصة القيام بمشاهد غير قانونية بطريقة قانونية . ويجب ألا نمنعهم ، لأن هذا له بعد نفسي . إن الدراما تساعد كثيراً في مجال العلاج . **فالدراما العلاجية Dramatherapy تمنع العديد من الأمراض النفسية .** إنها وسيلة بسيطة ذات أهمية تربوية بالغة .

وبشكل عام تستخدم الأرض للعب الدرامي . أما في حالة وجود خشبة مسرح ، فيمكن استخدامها كمكان مثل قصر . وفي حالة استخدام خشبة المسرح للظهور تقل الفائدة المجنية من الدراما ، لتتحول إلى عرض مسرحي .

من سن التاسعة إلى الحادية عشرة:

يمكن للمشرف أن يضيف المزيد لإبداع طفل بين التاسعة والحادية عشرة بحيث يستفيد من الأساطير والخرافات . وهكذا يبدأ **الاهتمام بالأدب** . ويكون تقديم الأساطير بتشخيص أكثر تعقيداً ومواقف أكثر عمقاً . ونتيجة لذلك تنمو الحبكة الدرامية وتتطور . ولا ينصح أبداً باستخدام المسرحية التي تعتمد على النصوص المكتوبة في هذه المرحلة .

يتابع المشرف دور طرح الأسئلة وإعطاء الفرصة للأطفال ليناقشوا ويفكروا من خلالها . ويشجع المشرف الأطفال على الرقص الإبداعي الذي يطور الإحساس بالجماعة . الأطفال يرقصون معاً بروح الجماعة . ويساعد الرقص الأطفال على تطوير أسلوب فردي للحركة . إن دراما الطفل تساعد كثيراً في تطور وإغناء فن الطفل . **ولا يطلب المشرف من الأطفال كتابة نص للتمثيل ، بل يشجعهم على كتابة القصة التي يريدون تقديمها درامياً** . وسيجد المشرف في النصوص التي يكتبها الأطفال في هذه المرحلة عبارات مباشرة تقولها الشخصيات . إنها بداية الحوار .

عادة ما يهم الأطفال بالملابس ، من جملة اهتمامهم بالمسرح . إلا أن استخدام الملابس من شأنه ن يعيق حركتهم في اللعب . وإذا كان لا بد من استخدام قاعة الدرس ، فيجب إزالة المقاعد لضرورة تأمين المكان من أجل حركة الأطفال . ومع ضرورة الامتناع عن وجود الممثل والمتفرج ، يُشجع الأطفال الذين يجلسون على المقاعد على المشاركة . وقد يقوم الأطفال المشاركون في الدراما بإدارة ظهورهم بطريقة قد تبدو مخالفة لأساسيات «التمثيل المسرحي» ، إلا أن على المشرف ألا يوقفهم لأنهم ليسوا على خشبة المسرح ، وما يؤدونه هو أكثر أهمية لأنه الحياة نفسها .

ويتابع المشرف دوره في الإرشاد ، وخاصة في هذه المرحلة من عمر الأطفال . إن دراما الطفل الناجحة ليست فقط ذات بعد تربوي ، بل ذات تأثير اجتماعي أخلاقي أيضاً . فهي تشارك مشاركة أساسية في منع جنوح الأحداث ، إذ أنها تتيح منفذاً شرعياً للطاقات الكثيرة عند الأطفال . وإذا لم تُستغل على هذا النحو فإنها تتحول إلى سلوك عدائي مثل السرقة والاعتداء على الآخرين وعلى الملكيات العامة .

ماذا يفعل الكبار مع الأطفال
من سن الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة
What To Do With Seniors

لا ينصح بتقديم الاقتراحات للأطفال الذين عندهم خبرة في الدراما . وعمل المشرف هنا تشجيع الأطفال وخاصة الخجولين منهم ، لأن هذه المرحلة العمرية تكون تربة لنمو الخجل وتطوره . ويمكن للمشرف الواعي أن يمنع ذلك .

يتابع المشرف ما بدأه في المرحلة الابتدائية ، ويشجع اللعب على الأرض . أما الموضوعات التي يطرحها فتكون أكثر كمالا وأفضل تنفيذاً بفضل ما استفاده الأطفال في المرحلة السابقة . وقد تظهر عند بعض الأطفال أفكار قديمة تعود إلى المرحلة المبكرة وذلك بسبب القلق العاطفي المؤقت والناتج عن الانتقال من مدرسة إلى أخرى .

تبدأ هنا مرحلة الانتقال من الارتجال إلى النص المكتوب . وأول خطوة يخطوها المشرف ليستجيب لرغبات الأطفال في استخدام النص هي خطوة الارتجال . وأثناء ذلك يقوم بتدوين بعض الجمل المختارة ليعرضها على مجموعة الأطفال . وتتم مناقشتها جماعياً . بعد ذلك يعاد العرض بالحوار الذي ناقشه الأطفال مع المشرف ووافقوا عليه . ويقدم العرض مرة أخرى بعد نقاش ما إذا كان من الممكن تحسين الحوار . ويحرص المشرف هنا على ألا يشعر الطفل بأنه أخطأ . ويقول المشرف : «كيف يمكن لشخصية أن تتصرف في موقف كهذا ؟» ولا يقول : «لا . . . هذا غير صحيح !» . إنه بهذا يكسب ثقة الأطفال فيه .

وفي هذا الانتقال الذكي من الارتجال إلى النص ، ينمو النص ويتطور . ويشجع الأطفال على كتابة نصوص مسرحياتهم باختيار الحوار المباشر والحبكة الدرامية الجيدة مع مراعاة طول المشهد أو المشاهد . وهذا بدوره يقود إلى أن يقدم الأطفال مسرحيات يكتبها غيرهم . **ويحذر المشرف من أن يفرض النص الأدبي على الأطفال ، لأن فرض النصوص الأدبية المختارة لا يتم إلا تدريجياً . فالمهم هنا هو تقديم المسرحية البسيطة ذات التشخيص القوي** . وينتبه المشرف إلى أنه مرب قبل أن يكون معداً للممثلين المحترفين الذين يجب أن يطلعوا على نصوص مسرحية جيّدة . ويمكن للأطفال في هذه المرحلة أن يتدربوا على الأصوات لأن هذا جزء من اهتمامهم . إن هذه هي طريقة أصيلة ومناسبة للوصول إلى التذوق الجيد للنص المسرحي .

وقد يطلب الأطفال من المشرف استخدام خشبة المسرح . وهنا يوضح المشرف لهم أن الأحداث تجري في المكان كله : على الأرض وفوق خشبة المسرح ، على اعتبار أن قاعة النشاط هي للعب .

من سن (١٣) إلى (١٤) :

تكون الدراما هنا قد خطت خطوة أخرى بالاستفادة من النص ، كما أن الحركة تصبح موجهة أكثر من ذي قبل . ويجب متابعة الارتجال في الحوار . في البداية قد يضطر المشرف إلى توقيف العرض الدرامي المرتجل أو الذي يعتمد على النص ، ولكن عندما تعاد الدراما ثانية ينصح المشرف بعدم التدخل لتستمر الدراما . وهنا تتوطد علاقة الأطفال بالمشرف .

قد يلاحظ المشرف وجود أطفال مرتبكين أمام مشهد ما وبأيديهم النص . هنا يترك المشرف النص ويطلب من الأطفال أن يتحدثوا بطلاقة في المشهد المطلوب ، ارتجالا بدون استخدام للنص . وهذا يعطيهم الفرصة ليبدعوا أكثر . بعد ذلك يمكن استخدام النص بنجاح .

من سن (١٤) إلى (١٥) :

يبدو استخدام خشبة المسرح طبيعياً في هذه المرحلة لأن وجود جمهور لا يؤثر كثيراً على الأطفال . ويركز المشرف على التمثيليات التسجيلية التي تظهر من مناقشات حول مشاكل شخصية واجتماعية . وهكذا تكون الدراما الاجتماعية تحضيراً للأطفال لمواجهة مواقف الحياة .

بالنسبة للبنات في عمر ١٣ إلى ١٥ ، تشجع المشرفة الحركة الدرامية بالكلمة أو بدون كلمة . وتستفيد المشرفة من الأدب العالمي كمادة أساسية .

وإذا ما أراد المشرف أن يقدم موقفاً تاريخياً ، يحضر صوراً تمثل الفترة الزمنية ، كما يقرأ عن تلك الفترة من كتاب . ويشجع الأطفال أيضاً على القراءة من الكتاب نفسه . وليس الهدف من هذا هو تحسين القراءة عندهم فحسب ، بل معايشة المضمون العاطفي وارتجال مشاهد من أجل الحياة أيضاً . ولا مانع من أن يعطي المشرف الفرصة للأطفال ليقدموا نهاية العرض ، وهي عادة ما تكون سعيدة .



الدراما الاجتماعية : Social Drama

هي الدراما التي تشمل مشاهد من الحياة تساعد الأطفال في سلوكهم الاجتماعي ، ومنها استقبال غريب في المدرسة ، دخول مكتب المدير ، طلب ترفيع من رئيس شركة ، حضور اجتماع ومساعدة ضرير في الطريق . إنها الدراما التي تهتم بالحياة اليومية وأهمية تأثيرها على الأطفال . إنها خير بداية للأطفال والذين يعانون من الخجل .

على المشرف أن يطور هذه المزايا العديدة عند الأطفال : الجدية ، الاندماج ، الثقة ، سهولة التعبير اللفظي ، الحساسية ، التميّز ، اختلاف الحالات النفسية والانسجام مع المواقف .

مسرح الأطفال : Children's Theatre

قابل المؤلف بيتر سليد ٣٢ ألف طفل تحت سن ١٤ عاماً من خلال عمله في دراما الطفل لمدة تزيد على ٣٠ عاماً . من هؤلاء ثلاثة فقط ، يفضلون التمثيل بنص مسرحي على دراما الطفل . ولا بد من إعطاء الطفل الفرصة ليمارس الدراما لأنها حق له . فالأجيال القادمة يجب ألا تعاني من الخجل الذي كانت الأجيال السابقة تعاني منه .

أسئلة وإجابات : Questions And Answers

من خلال الأسئلة العديدة المطروحة على المؤلف نلمس العديد من الملاحظات المرتبطة بدراما الطفل . وهي ملاحظات تمثل اختصاراً لما ورد في الكتاب .

إن الارتجال في دراما الطفل هو تمرين للمسرح مثلما هو تمرين للتربية ، وهو أساس دراما الطفل . إن عمل المسرحيات ليس هو التدريب الجيد للمسرح والتربية دائماً . كما أن الألعاب الكثيرة للطفل أثناء الدراما تربكه وتحد من خياله وإبداعه . **فالدراما الحقيقية للطفل تكمن في الإبداع الداخلي وليس في المادية الخارجية . وعندما يرغب الأطفال في الكلام أثناء الأداء الصامت فيجب أن يشجعوا على ذلك .**

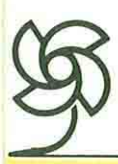
عندما يشعر المشرف أن طفلاً يريد أن يسيطر أثناء الدراما فمن الضروري إعطاء الأدوار القيادية إلى الآخرين مع مراعاة الطفل . أما الطفل الخجول فلا يُدفع إلى المشاركة ، لأنه سيشارك إذا ما وجد الجو مناسباً لذلك .

يقع الكتاب في ٩٩ صفحة من القطع المتوسط بالإضافة إلى ٤ صفحات مخصصة للصور الفوتوغرافية التي بلغ عددها ١٤ صورة . وقد استعان الكتاب في الصفحات الخمس الأخيرة بكشاف يساعد القارئ في الرجوع إلى الموضوعات الأساسية والمفاهيم وبعض الأفكار التي وردت في فصول الكتاب . وقد قسّم المؤلف كتابه إلى ستة فصول ، وجاء الفصل الأخير على شكل أسئلة وإجابات تلخص ما ورد في الفصول الخمسة .

تطرق المؤلف إلى جوانب سلوكية عديدة للطفل . ولم يكتف بعرض مادته الأساسية بمعزل عن نفسية الطفل وتطوره ، لأن تطور الطفل وجوانب سلوكه المختلفة لا يمكن أن تنفصل عن لعبه الدرامي الذي هو موضوع الكتاب . إلا أن المؤلف لم يشر إلى أي مصدر من المصادر التي تتطرق إلى تلك الجوانب ، رغم أنه أراد لكتابه هذا أن يكون مبسطاً ما أمكن ، يقرأه الآباء والمربون فيجدون فيه عرضاً سهلاً . إن التوثيق في المعلومات والإشارة إلى المصدر تعطي العمل القوة ، وتكسب ثقة القارئ فيه .

تبرز أهمية الكتاب في تبسيط الموضوع وعرضه كمادة سهلة يستطيع الكبار من آباء ومربين ومهتمين في الطفل من أن يستوعبوه ويشرفوا على الأطفال عند ممارستهم لهذا اللعب الدرامي . وأهم ما أكد عليه الكتاب هو ضرورة التمييز بين دراما الطفل والمسرح . ولم يبخل المؤلف في عمله في تقديم خبرته التي اكتسبها خلال أكثر من ٣٠ عاماً في ميدان دراما الطفل . والأهم من ذلك أنه عرض المادة لكل مرحلة عمرية مراعياً مزايا كل مرحلة . **إن إرشادات المؤلف إلى الآباء والمعلمين وما يجب أن يفعلوه في مجال دراما الطفل تعد علامة مميزة أيضاً في هذا الكتاب** . وقد استعان المؤلف بعشرة رسوم توضيحية لتكوينات الأطفال أثناء لعبهم الدرامي .

لا شك أن الكتاب يعتبر ذا قيمة تربوية يغير الكثير من المفاهيم التربوية التقليدية ، كما أنه يقدم مادة تمهيدية لمسرح الأطفال .





★ قطاع طولي للهرم الأكبر ★

أسرار التحنيط عند الفراعنة

★ الأهرامات الثلاثة .. إحدى عجائب الدنيا السبع ★

بقلم: محمد الخطيب

بقيت عمليّة التحنيط سراً من الأسرار لا يعرفها إلا القليلون خشية أن تتسرب إلى البلدان المجاورة فتفقد أهميتها .. وها هي المومياوات قائمة حتى اليوم في (المتحف المصري بالقاهرة)[1] تتحدى التلف ببطء شديد طيلة أربعة آلاف سنة، حيث ساعد جفاف المناخ أن تحافظ على شكلها، فكيف كانت تتم هذه العملية ؟؟

أوجد قدماء المصريين وسائل مختلفة لحفظ الجثة من التفسخ، ومن أول هذه الوسائل: وضع الجثة في حفرة وردمها بالرمال التي تمتص السوائل الموجودة فيها، وبذلك تجف ويبقى الجسد حافظاً لكيانه فترة طويلة من الزمن. وقد تطورت هذه العملية مع التطور الحضاري العام.

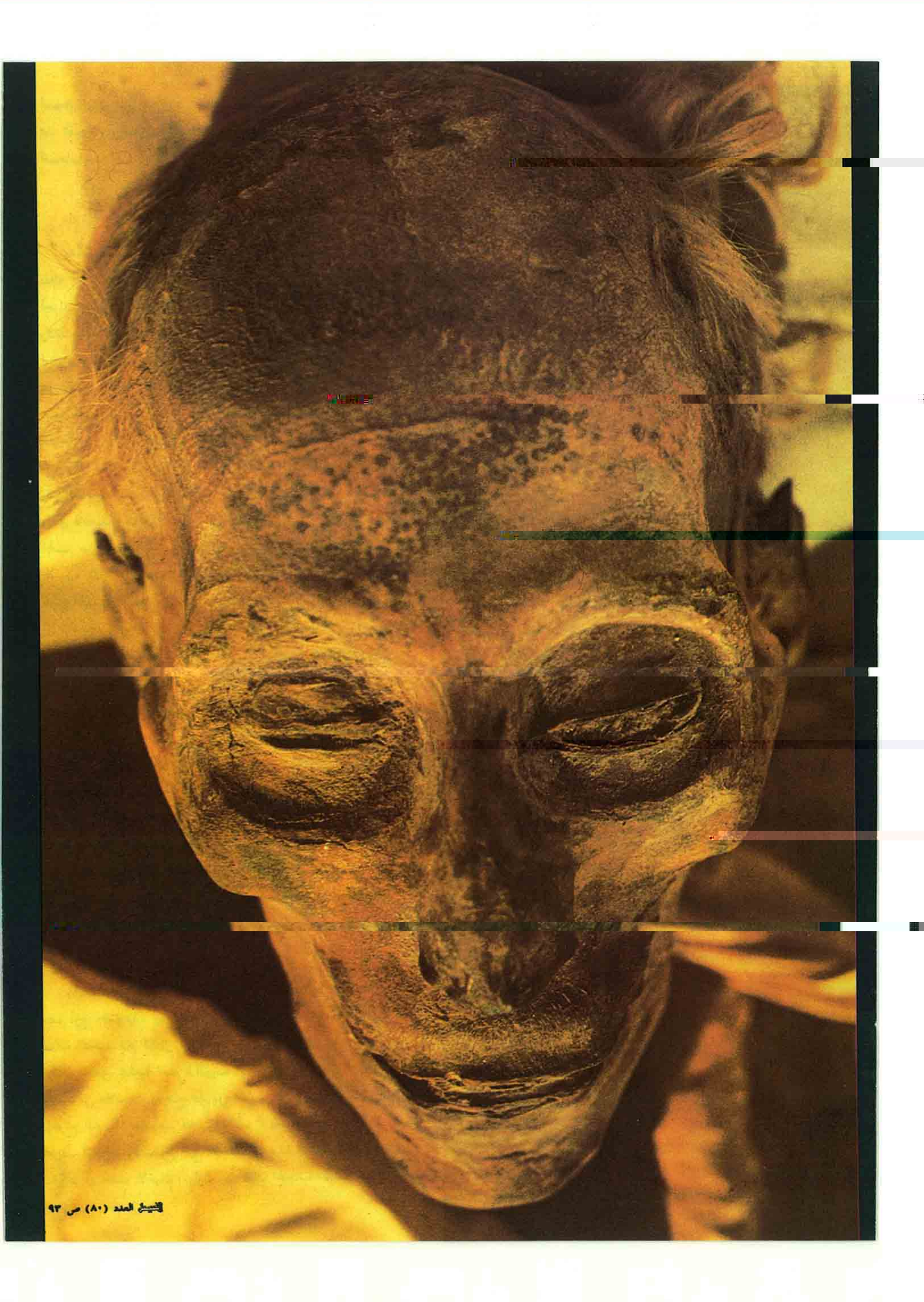


▲ ★ هرم سقارة المدرج ، وبداية التفكير في إنشاء المقابر الهرمية ★

★ إحدى «المومياءات» بالمتحف المصري في القاهرة ★

ويصف «هيرودوت» الذي زار مصر في منتصف القرن الخامس ق.م ، طرائق التحنيط التي عرفها فيقول : «أولا بواسطة قطعة معقوفة من الحديد[٢] . . . يُخرجون المخ من المنخرين ، يخرجون بعضه هكذا والبعض الآخر بواسطة عقاقير يصبُّونها في الرأس . وبالنسبة للجسد يشقون الجنب بحجر إثيوبي مسنون ، ويخرجون الأحشاء كلها وينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ، ثم يطهرونها بالتوابل المجروشة ، وبعدئذ يملؤون الجوف بمرّ نقي مسحوق ودارصيني ، وعطر العشبة وسائر أنواع الطيب ما عدا البخور ثم يخيطونها ثانية ، وبعد ذلك يملّحون الجثة بتغطيتها بالنطرون[٣] سبعين يوماً . ولا يجوز أن تستغرق عملية التمليح وقتاً أطول ، (إن مدة السبعين يوماً هي مدة الحزن من يوم الوفاة إلى يوم الدفن) . وفي نهاية الأيام السبعين يغسلون الجثة ويلفون الجسم كله بشرائط من الكتان الشفّاف المدهون بالصمغ ــ الذي يستعمله المصريون غالباً بدلا من الغِراء ــ وعندئذ يتسلم الجثة أصحابها ويعملون لها هيكلاً خشبياً على شكل إنسان ويضعونها فيه ، وبعد إغلاقه عليها يحفظونها بعناية في غرفة الدفن ويقيمونها مسندة إلى الحائط . وهذه الطريقة باهظة التكاليف» .

أما **الطريقة الثانية** ــ الأقل كلفة ــ فيصفها هيرودوت على الشكل الآتي : «يحقنون الجثث بزيت الصنوبر حتى يمتلئ الجوف ، دون أن يشوهوها ودون أن يستخرجوا الأحشاء منها ، فيُدخلونَ الزيت من الشرج ويَسدُّونه كي لا ينساب منه ، ثم يملّحون الجثة أيام ــ سبعون يوماً ــ وفي نهايتها يُخرجون من الجوف الزيت . . وقوته عظيمة ، حتى أنه يجرف معه الأحشاء التي تكون قد تحللت ، أما اللحم فيذيبه النطرون . وبذلك لا يبقى من الجثة سوى الجلد والعظم ، ثم يردّون الجثة إلى



أصحابها دون عناية أخرى » . وبالنسبة لجثث الفقراء : « يغسلون الجوف بماء الفجل ، ويضعون الجثة في الملح سبعين يوماً ثم يردّونها إلى أصحابها » .

التحنيط.. والعلم

بدأ التحنيط في أواخر **عهد الأسرة الثالثة** (٢٦٥٠ ق.م) ففي ذلك الوقت كانت تُستخرج من تجويف البطن ومن التجويف الصدري ، أجزاء الجسم القابلة للتحلل السريع من خلال فتحة في جانب البطن . وكانت هذه الأعضاء تحفظ في صندوق مقسّم إلى أربعة أجزاء وفي أربعة أوانٍ منفصلة يُطلق عليها اسم **(أواني كانوب)** . وأقدم مثل عُثر عليه هو صندوق الملكة حرس أم **الملك خوفو باني الهرم الأكبر** . وربما حاول المحنّطون بعد إخراج الأجزاء القابلة للتحلل تنظيف الجسم من الداخل ، وإن كان ذلك غير كاف للمحافظة على الجسم في حالة جيدة .

وعُثر أيضاً على مومياء من **عصر الأسرة الخامسة** (٢٢٧٠ ق.م) وهي للمدعو (نفر) أي ـ الجميل ـ وكان رئيساً للفنيين والمنشدين ، ولدى فحصها وتحليلها كيمياوياً تبين أنه بعد استخراج الأحشاء وتجفيف الجسم من السوائل حُشي التجويفان الصدري والبطني بأقمشة كتانية مغموسة بالراتنج وملح النطرون الجاف ، ومرّ وقرفة وغيرها . كذلك عُولج الجسم كله بمواد راتنجية لسد المسام ، ومنع الرطوبة من الوصول إلى الأنسجة ، ومن ثم لا يمكن لبكتريا التعفن أن تصيب الجسد أو تعيش على خلاياه . وقد غُطي الرأس بطبقة خفيفة من الكتان ، وظهرت تفاصيل الجسم واضحة تماماً ، من الرأس حتى القدمين ، وعلى الصدر وجد عقد من خرز القاشاني وكذلك في معصم اليد ، ووجد بجوار المومياء عصا من الخشب ، وصولجان ، وصندل مصنوع من الخشب والكتان .

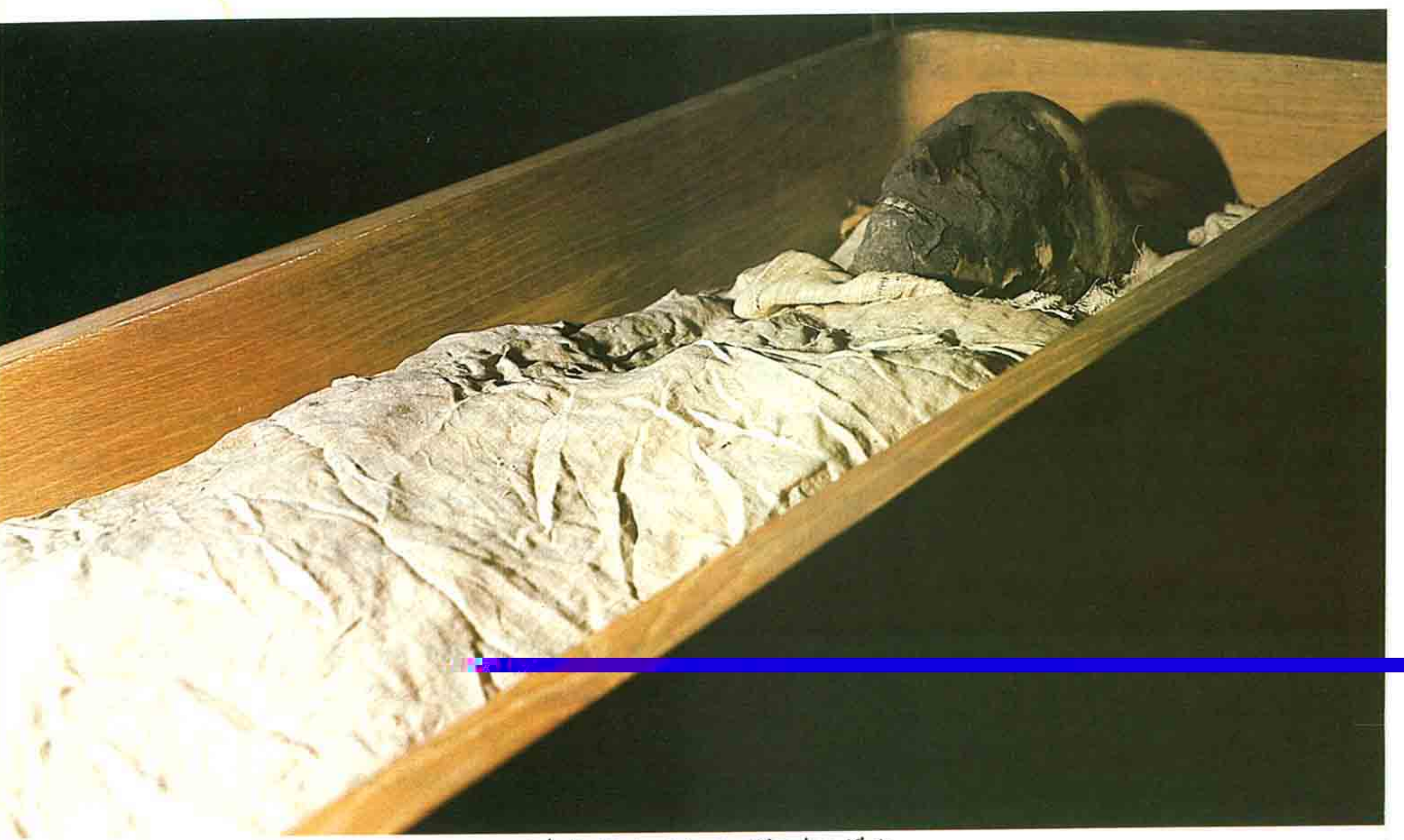
وعثر أيضاً على موميات بعض الأميرات من **الأسرة الحادية عشرة** (٢١٠٠ ق.م) ومنهن **(عشاييت) و (مايت)** وقد اتضح أن الأحشاء لم تُستخرج من خلال فتحة جانب البطن كالمتبع ، بل وجدت الأحشاء داخل الجسم . وابتداءً من عصر الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ق.م) بدأ المحنّطون بعمل فتحة في الجانب الأيسر من الجسم ، لإخراج الأحشاء منه فيما عدا القلب الذي كان يُترك في مكانه . إذ كان يعتبر مركز للعقل ، يسجّل كل الأفعال الطيبة والسيئة التي فعلها الإنسان في حياته .

وفي **عصر الدولة الحديثة** (١٥٨٤ ـ ١٠٧١) ق.م ، بلغت مصر أوج حضارتها ، وبلغ التحنيط أيضاً درجةً عاليةً من الاتقان . وكانت عملية التحنيط تـم كالتالي : « يُنقل جسد الميت إلى **دار التحنيط ، وكان يطلق عليها اسم « البيت الجميل » أو « بيت التطهير »** ، ويُجرَّد من ملابسه ، ويوضع على لوح خشبي ، ثم تبدأ عملية التحنيط بإخراج المخ بآلة حادة من فتحتي الأنف ثم يُفتح الجانب الأيسر من تجويف البطن ، وتستخرج جميع الأحشاء ما عدا الكليتين اللتين كانتا تتركان في أغلب الأحيان ، ويُزال بعد ذلك الحجاب الحاجز وكل ما في

★ تابوت حجري يوضع به التابوت الخشبي ★ ▲



★ تابوت توت عنخ آمون .. من أشهر وأبدع ما صنعه المصريون القدماء ، وهو من الذهب الخالص ومُطعّم بالأحجار النفيسة ★ ▼



★ أكثر من أربعة آلاف عام وسرّ التحنيط ما زال غامضاً ★

التجويف الصدري ما عدا القلب والأورطة ، ثم يغسل تجويف البطن وتجويف الصدر بنبيذ الخلّ والبهارات ، أمّا الأحشاء فكانت تنظف من محتوياتها ، ثم تُغسل وتطهّر وذلك بوضعها في النطرون مدة أربعين يوماً ، ثم تعطّر بدهنها بزيت عطري وبمحلول الراتنج ، وأخيراً تلفّ في أربع لفائف ، توضع كل واحدة منها في إناء ، وكانت أغطية هذه الأواني تشكّل بأشكال أولاد حورس الأربعة[٤] وهم : **إيميستي** : بشكل رأس آدمي ، **حابي** : بشكل رأس قرد ، **دما** : بشكل رأس ابن آوى ، **موتف** : بشكل رأس كلب ، ويطلق على هذه الأواني الأربعة اسم : أواني كانوب ، وكانت توضع في صندوق اسمه : صندوق كانوب .

وكان تجويفا الصدر والبطن يُحشوان بلفائف مؤقتة ، بها أكياس من كتان تحوي مسحوق النطرون الجاف وأكياس أخرى مشبعة بمادة صمغية معطّرة . وهذه المواد تعجّل بتجفيف الأنسجة وتعمل على إزالة رائحة التعفّن طوال فترة التجفيف .

وكان الميّت يوضع على سرير مائل يسمى : (**سرير التحنيط**) به مجرى صغير يؤدي إلى تجويف بشكل إناء تتجمع فيه السوائل التي كان يحويها الجسم . ويغلب على الظن أن عملية التجفيف هذه تستغرق أربعين يوماً .

وبعد أن تتم عملية التجفيف يُرفع الجسم من النطرون ، وتُنزع اللفائف المؤقتة التي كانت موضوعة بتجويفي الصدر والبطن وكذلك الأشياء الأخرى التي استُخدمت في معالجة الجسم . وكان النطرون المتخلف عن عملية التجفيف واللفائف المؤقتة وجميع المواد التي استُعملت في عملية التحنيط توضع في أوان وتدفن في الرمل قرب المقبرة أو في حجرة صغيرة بجوار الجثة .

وأخيراً كان الجسم والتجويفان يُغسلان بنبيذ التمر قبل أن يبدأ لفّهُ بالكتان . كما كان يُملأ تجويف الرأس بلفائف كتانية مشبعة بالراتنج ، أما تجويفا الصدر والبطن فكانا يملآن بمواد توضع بأكياس كتانية ، ومن هذه المواد : المرّ والقرفة والكاسيا . . هذا بخلاف أكياس أخرى مملوءة بنشارة الخشب الممزوج بالراتنج ، وأحياناً توضع بصلة أو بصلتين . ثم يُضم حرفا الفتحة التي استخرجت منها الأحشاء ، وتغلق بقطعة من الذهب أو من شمع النحل ويُنقش عليها عين حورس السحريّة . وبعد ذلك يعطّر الجسم بزيت الأرز وبعض العطور النفيسة ، ثم يدهن بالمر والقرفة وبعض المواد ذكية الرائحة . ثم يُلفّ بالكتان المشبع بالراتنج والرمل حتى يظهر الجسم والأطراف بشكل يقارب الشكل الطبيعي . وتنتهي عملية التحنيط بأن يُغمس الجسم بأكمله بالراتنج مما يساعد على تقوية الجلد وسدّ مسامه وعزلهِ عن الرطوبة »[٥] .

الدفن والمحاكمة

كانت عملية التحنيط تتم مترافقة مع الطقوس الجنائزية والشعائر السحريّة . وعند الدفن يجرى احتفال مأتمي أمام القبر يصحبه العويل والبكاء والأناشيد الدينية والذبيحة وإحراق البخور وتقديم القرابين والعطور .

ويقوم الكهنة بفتح فم الميت ليستطيع الكلام وتناول الطعام في الحياة الآخرة ، ثم يوضع في حجرة الدفن ويزود بالطعام والشراب .

واعتقدوا أن الإنسان سيحاكم بعد الموت أمام الإله (أوزوريس) وكان يمثَّل على هيئة عجل أو كبش . . ويُحتفل بموته ولَقبه كُلّ عام . . ويَرمز بموته وبعثه إلى انخفاض النيل وارتفاعه ولعلهما يرمزان لموات الأرض وحياتها . وقد جاء في كتاب الموتى[٦] وصف تفصيلي لهذه المحاكمة . فكان أوزوريس يحاسب الموتى ويزن قلب كل من يريد الخلود في كفة ميزان ، تقابله في الكفّة الأخرى ريشة ليتأكد بذلك من صدق قوله . ويقف المتوفى أمام الإله ، ويعدد الخطايا التي لم يرتكبها ، أي ينفي ارتكابه الخطايا وعددها (٤٢) خطيئة فيقول : إنني لم أرتكب كذا وكذا من الخطايا ، فهو لا يعترف في الحقيقة بشيء وإنما يعلن براءته . والذين لا ينجون من هذا الاختبار في النهاية ، يُحكم عليهم أن يبقوا أبد الدهر في قبورهم يجوعون ويظمؤون ويُطعمون من التماسيح البشعة ، ولا يخرجون منها أبداً ليروا الشمس .

وقد عمد الأفراد إلى الاستعانة بالوصفات السحريّة لتساعدهم على اجتياز العقبات أثناء المحاكمة في عالم الآخرة . وازداد الخوف من الموت وأخطاره وشجع الكهنة على هذا الخوف حتى يزداد الطلب على التعاويذ السحريّة التي تَقيهم من الشرّ والأخطار فيكتبونها لهم ، ولكن ليس دون أجر .

العمارة الجنائزية

ترتب على ذلك أن ارتبط الفن المصري بالمعبد والمقبرة اللذين كانت تجرى فيهما الطقوس الدينيّة والجنائزية . . . فالفن المصري بشكل عام يميل إلى المجالات العملاقة التي تفوق المعدل الإنساني ، وإلى الرموز الغامضة ، وإلى المطابقة بين الصفات الإنسانية وقوى الطبيعة .

وهذا النوع من الفن كانت تمليه الظروف الدينيّة . ومع ذلك كان فنّاً قوياً ناضجاً لا يضارعه إلا فن اليونان كمالا وجمالا .

فالأهرامات العملاقة التي ما تزال قائمة منذ أكثر من أربعة آلاف سنة ما هي إلا مقابر منيعة وجد فيها الفراعنة وسيلة للبقاء الأبدي ، وهي تشهد على قوة سلطتهم واستبدادهم .

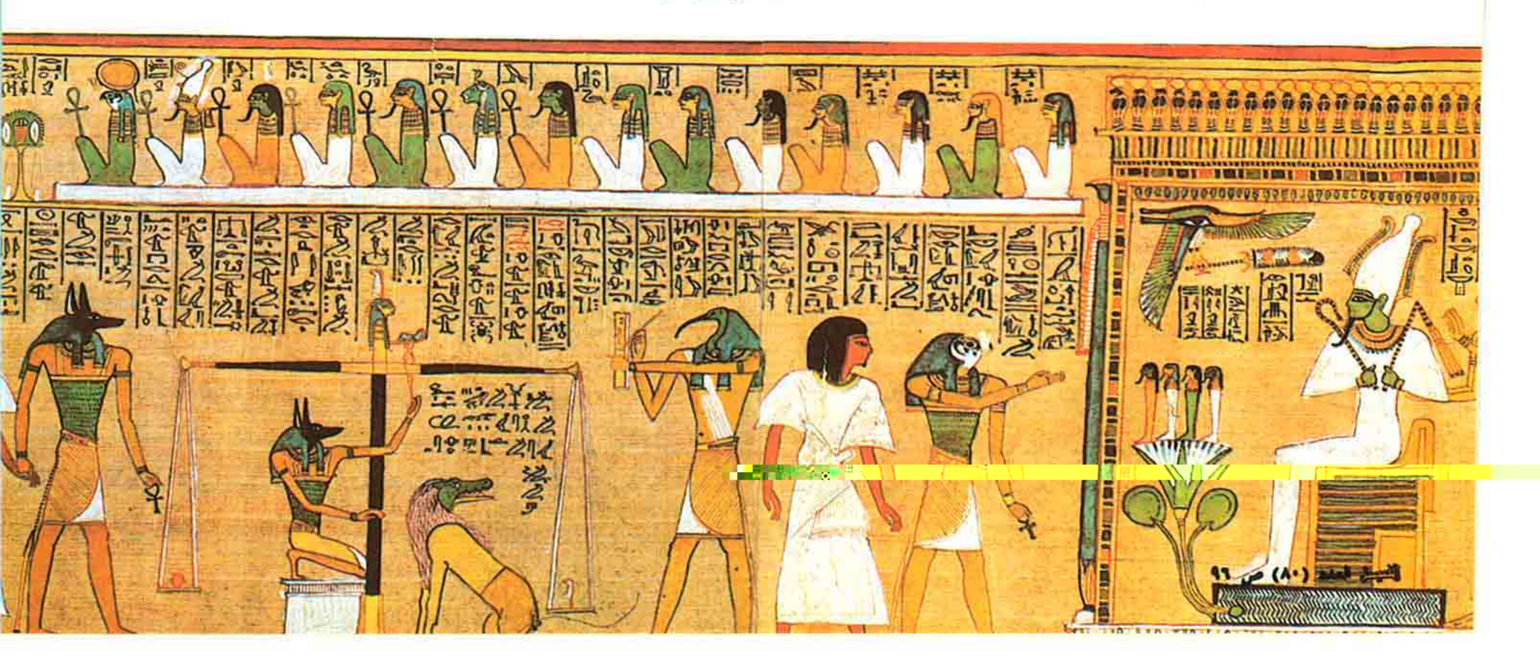
وأول الأهرامات التي بنيت في مصر هو **الهرم المدرَّج الذي بناه (زوسر)** في سقارة عام (٢٦٥٠) ق.م . وفيما بعد اكتسبت هذه القبور شكلاً هندسيًّا هرميًّا دقيقاً في عهد ملوك الأسرة الرابعة : **خوفو وخفرع ومنقرع** .

وأكبر الأهرامات هو **هرم خوفو**[٧] ، ويتكوَّن من مليونين ونصف المليون من الكتل الحجرية التي يبلغ وزن بعضها (١٥٠) طناً ، وتبلغ مساحة قاعدته (١٢) فداناً ، وارتفاعه (١٤٦) متراً ، وحجارة الهرم مندمجة بعضها في بعض ، وقد تُرك فيما بينها فراغ ضيّق ليكون طريقاً سرّياً تُنقل فيها جثة الفرعون إلى غرفة صغيرة على ارتفاع (١٠٠) خطوة من القاعدة في قلب الهرم .

وفي هذه الغرفة الساكنة المظلمة استقرت عظام خوفو وزوجته ، ولا يزال تابوت الملك المنحوت من الرخام مستقرًا في مكانه ، لكنه محطَّم وفارغ ، لأن تلك الحجارة على ضخامتها لم تنج الجثة من أيدي اللصوص[٨] ، كما لم تنجها جميع الطقوس والتعاويذ ولعنات الآلهة .

وقد حاول المهندسون منذ عهد الدولة الوسطى (٢٠٥٠ ـ ١٧٠٠ ق.م) ، أن يجمعوا بين الهرم والمعبد في بناء واحد[٩] فوصلوا بينهما بطريق تُقام على جانبيه الجدران وتماثيل الملوك أو تماثيل الحيوانات المقدّسة . ولعل أفضل مجموعة معمارية جنائزية عثر عليها كاملة ، هي المجموعة المحيطة بهرم الملك (خفرع) ، وترجع أهميتها أيضاً إلى تمثال **أبي الهول**[١٠] الموجود بجانب معبد الوادي ، وهو على هيئة أسد رابض ، رأسه رأس إنسان ، ويرجَّح أنه **يُمثِّل الملك خفرع** ، وأنه قصد بنحته في هذا المكان حماية مدخل المعبد . وبما أن مقبرة الملك كانت عادة تتوسط الجبّانة الملكيّة ، لذلك نجد في شرقه وجنوبه أهرامات صغيرة خاصة بأعضاء الأسرة المالكة ، بينما تقع مصاطب رجال الدولة في الجنوب .

★ صفحة من كتاب الموتى ★



ويلحق عادة بالهرم من الناحية الشرقية معبد جنائزي ينفتح على طريق ثان .

وفي مطلع عهد الدولة الحديثة (١٥٨٤ ــ ١٠٧١) ق.م ، انتهى عصر بناء الأهرامات ، حيث قرر (تحوتمس الأول) ترك تقليد المقبرة الهرمية ، وأمر أن يُدفن في مكان مجهول عن الناس في باطن الأرض . فأصبح **وادي الملوك غربي (طيبة)** مدفناً لملوك الأسر الثامنة عشرة حتى العشرين . وفي هذه الجبّانة تنتشر مقابر الملوك ومعابد الموتى ، وكان بها بيوت الحفارين والبنّائين والمحنّطين ، وحظائر البهائم التي كانت تُقدم كضحايا لأرواح الأموات . ولكل من هذه القبور معبد يقع إلى الشرق قرب شاطئ النيل . فلقبر سيتي معبد بجهة القرنة ، ولقبر رمسيس الثاني (معبد الرمسيوم) ، ولرمسيس الثالث معبد في **مدينة هابو** . وكان **لأمنحتب الثالث** معبد إلا أنه تهدم ولم يبق منه سوى تمثالين كانا مقامين أمام بابه واسمها : **(تمثالا ممنون)** .

أما مدافن أغنياء المواطنين ، فكان المدفن يتألف من حفرة تنتهي إلى حجرة تحت الأرض ، وفوق الحفرة بناء مستطيل يشبه المصطبة التي يجلسون عليها في القرى ، لذا سمّي هذا النوع من القبور بالمصاطب ويجتمع أقارب المتوفى حول المصطبة أيام المواسم والأعياد .

وهناك نموذج آخر لقبر أحد الأغنياء يتألف من عدة حُجرات يجتمع فيها أقارب المتوفى ، وتوجد حفرة القبر في إحدى هذه الحجرات أما قبور الفقراء فهي عبارة عن حفرة مستطيلة توضع فيها الجثة ثم تُملأ بالرمل ويوضع فوقها كومة صغيرة من الرمل أو الحجارة وهي تشبه اللحد الذي نعمله في وقتنا الحاضر .

هذه إحدى صفحات الحضارة المصرية التي أصبحت من التراث الثقافي للجنس البشري .

★ أحد التوابيت الخشبية من موجودات المتحف ★



إن ما قامت به مصر من الأعمال في فجر التاريخ لا تزال آثاره ، أو ذكرياته مخلّدة عند كل أمة وفي كل جيل .. وهي تعرض على العالم أعظم ما ظهر على الأرض من حضارات إلى يومنا هذا .

المراجع

(١) تاريخ هيرودوت .

(٢) قصة الحضارة : ويل ديورانت .

(٣) معالم حضارات العالم القديم : نعيم فرح ، دمشق .

(٤) مصر ومجدها الغابر : مرجريت مري .

(٥) مصر القديمة : سليم حسن .

(٦) فنون الشرق الأوسط والعالم القديم : نعمت إسماعيل علام ، القاهرة .

(٧) الموسوعة البريطانية .

(٨) مصر الفرعونية : أحمد فخري .

(٩) ديانة قدماء المصريين : استيندون .

(١٠) الحياة اليومية في مصر القديمة : آلن شورتر .

(١١) تطور الفكر والدين في مصر القديمة : جيمس هنري برستد .

(١٢) الفن المصري : ثروت عكاشة .

(١٣) the penguin dictionary of archeology. by: marmick bray and Danid Traimp.

(١٤) archeology. by: liam de Paor.

الهوامش

(١) يحوي المتحف المصري حوالي (٢٧) مومياء للملوك مصر ابتداءً من الأسرة (١٧) وحتى الأسرة (٢١) ، منهم جثة (سنقت رع) من الأسرة (١٧) الذي قتل كما يتضح من جمجمته وهو يناضل ضد الهكسوس ، و (امينوفيس) الأول والثاني والثالث ، و (احمس الأول) الذي هزم الهكسوس ، و (تحتمس) الأول والثاني والثالث والرابع ، ورفات الملكة (مريت آمون) زوجة امينوفيس الأول التي ما يزال ختم الكاهن الذي حنطها مطبوعاً على لفائف الكتان ، والملكة (ست كامس) زوجة أحمس الأول ، وكذلك (نفر تاري) زوجته الثانية ، وملوك الأسرة (١٩) رعمسيس الثاني و (سيتي) الأول والثاني ، و (منفتاح) ورمسيس الثالث والرابع والخامس والتاسع وغيرهم .

(٢) آلة تفتيت المخ إلى أجزاء صغيرة (خطّاف) .

(٣) سليكات الصوديوم والألومنيوم .

(٤) كان المصريون يعتقدون أن الشمس هي الإله (حورس) مصورة في صورة صقر يطير بعظمة وجلال في السماوات ، وأصبح فيما بعد رمزاً متواتراً في الرموز الدينية والملكية .

(٥) إن تحنيط جثث الموتى بشق الجسد قد ساعد المصريين على الاطلاع على أعضاء الجسم الداخلية ، فعرفوا الدورة الدموية وعلاقة النبض بالقلب فتطور الطب وعلم الصيدلة (الفرمشة) ، وكانت العقاقير تُستخدم لمعالجة الأمراض وفي التحنيط ، وتُصنع غالباً من النباتات والأعشاب التي تنبت على ضفاف النيل . ولم يقتصر التحنيط على الإنسان بل تعداه إلى بعض الحيوانات والنباتات ، فقد وجدت في بعض الأهرامات (حبوب قمح) لا تزال بحالة جيدة حتى اليوم .

(٦) كتاب الموتى : ملفّات من ورق البردي وجدت في عدة قبور ، تحتوي على صيغ لإرشاد الموتى ، ويرجع تاريخها إلى عهد الأهرام . ويعتقد المصريون أنها من تأليف (تحوت) إله الحكمة .

(٧) هرم كامل قاعدته مربعة وجوانبه على شكل مثلث تميل إلى الداخل حتى تلتقي في القمة . وهو مقابل للاتجاهات الأصليّة الأربعة ويعود زمن بنائه إلى (٢٢٠٠ ق.م) .

(٨) منذ أيام الملوك الرعامسة ، كان لصوص المقابر يتحسسون أماكنها ، رغم السرّية الشديدة التي تحيط عملية الدفن فيفكّون التوابيت ولفائف الكتان وينهبون كل ما هو ثمين بجانب الجثة . والمقبرة الوحيدة التي اكتشفت كاملة دون سرقة هي مقبرة (توت عنخ آمون) وهناك بردية منذ أيام رعمسيس التاسع تقول إنهم وجدوا بعض المقابر الملكيّة مفتوحة ومنهوبة .

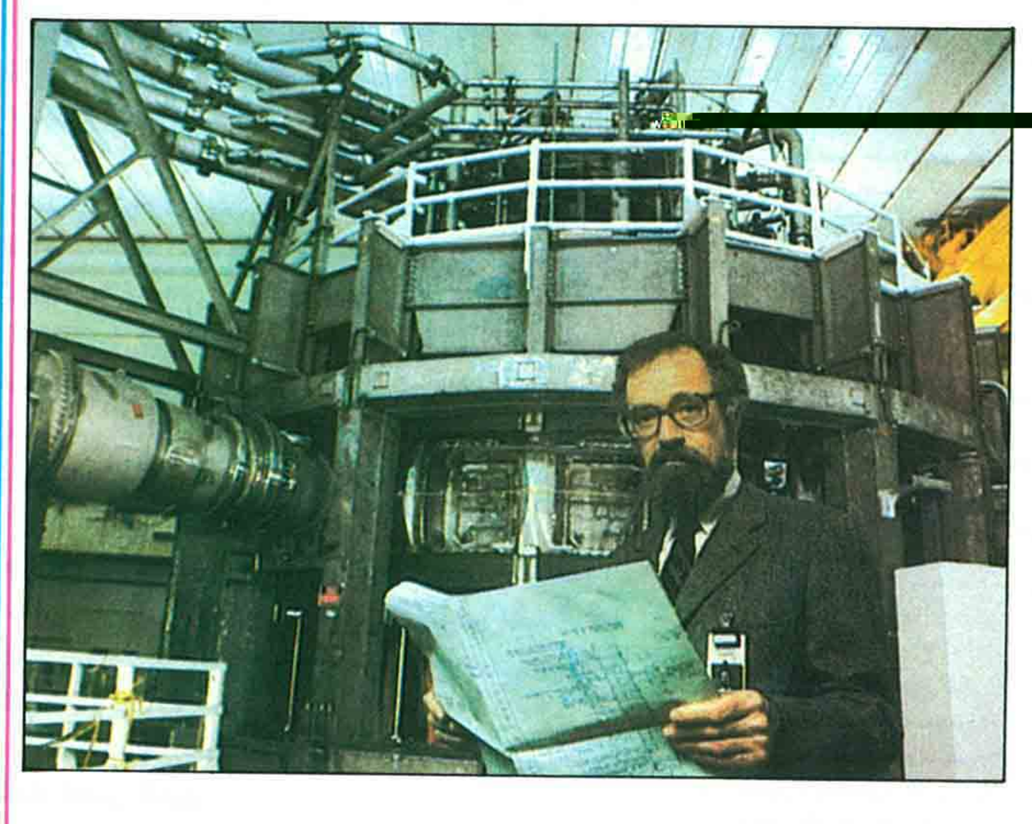
(٩) تعتبر المعابد في مصر بيوتاً للآلهة .

(١٠) محفور في صخرة طبيعية ارتفاعه عشرون متراً وطوله ستة وأربعون متراً وعرض وجهه أربعة أمتار .

ذرة atom

خطوة نحو الاندماج النووي :

(برينستون princeton) .



صباح يوم ٢٤ ديسمبر (كانون الأول) الماضي حان الوقت الذي انتظره علماء الذرة في مركز تجارب برينستون ليستخدموا المفاعل الاختباري الاندماجي (التوكاماك Tokamak) الجديد الذي هو أحدث ما أنتجه **الاتحاد السوفييتي** من مفاعلات مقفلة المجال والحجرة المغناطيسية التي هي بشكل الكمكة ، وقد كلّف هذا المفاعل حوالي (٣١٤) مليون دولار ، والغرض منه إنتاج طاقة وافرة رخيصة باستخدام نفس العمليات الاندماجية النووية التي تتم في شمسنا (والنجوم والقنبلة الهيدروجينية) وتتولّد بها الطاقة التي نلمح آثارها على الأرض ، وذلك بعد أن تندمج ذرات غاز الهيدروجين مع بعض وتتحول إلى هليوم وطاقة (بعكس القنبلة الذرية التي تنشطر فيها الذرّات وتتولد الطاقة) .. وسوف يُدفع غاز الهيدروجين إلى المفاعل (التوكاماك) الذي سيرفع درجة الحرارة إلى الحدّ الذي يجعل ألكترونات الذرات تنفصل عن ذراتها ومخلّفة غازاً مؤيّناً (مشحوناً كهربائياً) يدعى البلازما plasma .

وفي الاختبار الأول للمفاعل الذي دام (٢٠/١) من الثانية استخدم فريق علماء برينستون الهيدروجين العادي الذي رفع درجة الحرارة إلى (١٠٠,٠٠٠) درجة مئوية ، وفي الاختبارات القادمة مستقبلاً سيستخدمون الأنواع الثقيلة من الهيدروجين أو النظائر isotopes ليحوّلوها إلى بلازما وليحصل التفاعل الاندماجي المطلوب بين ذرات الهيدروجين وينتج الهليوم والطاقة الوافرة .. وفي سبيل الوصول إلى إنتاج درجات الحرارة العالية التي يتطلبها هذا التفاعل الاندماجي فإنهم سيدخلون حزم إشعاع من الذرّات الطاقيّة في **البلازما** (مثل عملية رفع درجة حرارة ماء بارد موضوع في قدر بإضافة ماء حار إليه) .

ويأمل علماء برينستون بأنه بحلول عام (١٩٨٦م) سينتج المفاعل طاقة وافرة عن طريق الاندماج الحراري النووي بشكل يغطّي جميع تكاليفه ، هذا رغم أن العلماء يواجهون مصاعب كبيرة لتحقيق بداية الاندماج النووي .. ويقول (**هارولد فورث** Harold Forth) مدير مختبر فيزياء البلازما في برينستون (الذي نراه في الصورة واقفاً أمام المفاعل الاختباري الاندماجي الجديد) : « إن استجابتنا الأولى لهذا المفاعل هي ابتهاج غامر ، وبعدها إذا ما حققنا ما نصبو إليه ففرحتنا ستكون بشكل لا يُتصور » .



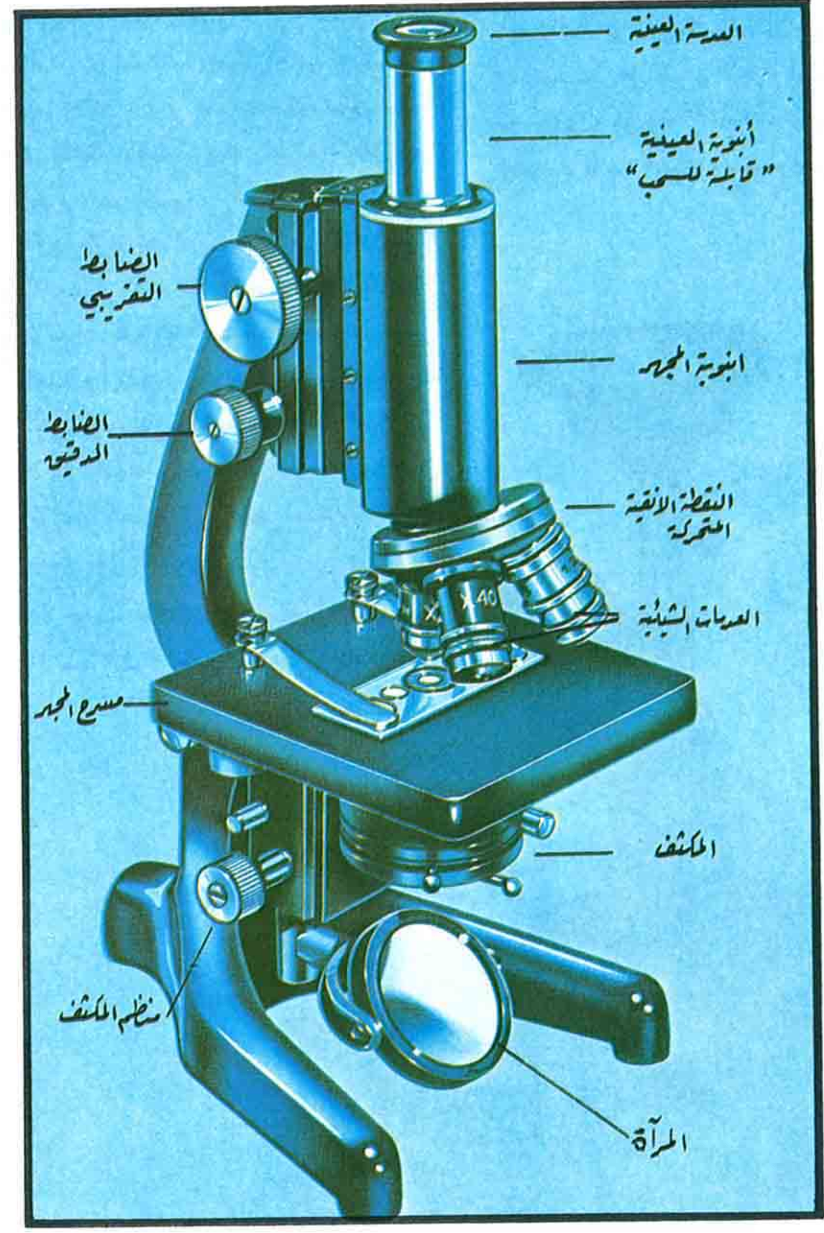


عالم المجاهر

"الميكروسكوبات"

بقلم: د. إبراهيم سليمان عيسى

ظل الكثير من تركيبات ودقائق تكوين أجسام الكائنات الحية سراً مغلقاً عن البحث والفهم إلى أن اكتشف المجهر (الميكروسكوب)، ومنذ فجر التاريخ والإنسان يحاول إيجاد طرق لتكبير الأشياء بغية اكتشافها، والتعرف على دقائقها وجزئياتها الصغيرة. ولم يحدث أي تقدم في ذلك إلا بعد معرفة ما تتمتع به العدسات الزجاجية من خصائص ومميزات، وتتميز المجاهر إلى نوعين رئيسيين هما: «المجاهر الضوئية»، و «المجهر الإلكتروني».



المجاهر الضوئية

على الرغم من أن خاصية تجميع أشعة الشمس وإشعال النار بواسطة العدسات الزجاجية معروف من حوالي ألفي سنة تقريباً. إلا أن استعمال خاصية العدسات الزجاجية في تكبير الأحجام لم تكتشف إلا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، حيث استخدمت في دراسة عالمي الأحياء: النبات والحيوان.

وتطورت بعد ذلك صناعة المجاهر تطوراً كبيراً، وعن طريقها توصل العلماء إلى معرفة الكثير من تركيبات وشكل ووظائف الكائنات الحية، وفي متاحف التاريخ الطبيعي يوجد عدد كبير من المجاهر البسيطة، ونماذج تحكي تطور وتقدم تلك البصريات، وبديهي أن تكون الرؤية بواسطة المجاهر القديمة غير واضحة ومشوّهة، وأن تكون المجاهر ذات حجم كبير يفوق أحياناً حجم الإنسان، وهنا الكثير من محاولات العلماء في الوصول بالمجهر إلى الأفضل حجماً وتكبيراً واستعمالا في مختلف الظروف، وكان من أشهر المخترعين وصانعي المجاهر الأولى العالم **أنتوني فان ليوفينهوك** Antony Van Leewenhok وهو ألماني عكف مدة عشرين عاماً على صنع مجاهر بسيطة، فحص بها أشياء كثيرة، وأعطى وصفاً مفصلاً ورسومات توضيحية لعدد أكبر من الحيوانات المائية الدقيقة المعروفة «**بالأوالي**» والعضلات المخططة



وغيرها ، ثم تطورت تلك الصناعة ، ومع نهاية القرن التاسع عشر ، أخذ بناء المجهر يقترب تدريجياً من شكل وحجم المجهر الحالي ، ولم تطرأ منذ عام ١٩٠٠ م ، تغيرات ملموسة على المبادئ الأساسية لصناعة المجاهر . وكل التغيرات والتعديلات والتحسينات كانت على تجهيزاتها ومعداتها .

ومن أهم التحسينات التي أدخلت عليها :

(أ) تطوير نظام مجموعة العدسات الشيئية المختلفة في قدرة تكبيرها ، والمثبتة بكيفية تُسهِّل استبدال بعضها ببعض على القطعة الأنفية المتحركة .

(ب) كذلك تم تطوير آخر هو حامل المجهر ومسامير الضبط اللولبية في القاعدة لضبط أفقية الجهاز .

(ج) كذلك كان من أفضل التحسينات بناء نظام إضاءة ذاتية بالمجاهر .

تستعمل المجاهر حالياً في كل مكان : الجامعات والمستشفيات والمدارس ومعاهد البحث العلمي والمصانع وغيرها . في المستشفيات والطب عموماً لا يمكن الاستغناء عن المجهر في تشخيص معظم الأمراض ، وبالتالي يمكن معالجتها ، ويستعين الجراحون في مختلف أنحاء العالم بأنواع من المجاهر (الميكروسكوبات) عند إجراء بعض العمليات الدقيقة والحساسة في الأذن أو العين أو غيرهما . وأيضاً يستعمل المجهر في مصانع الإلكترونات ، وفيها تستعمل أنواع كثيرة من المجاهر لأغراض مختلفة مثل تجميع أجهزة الترانزستور والدوائر المتكاملة . والمجهر يعتبر عماد المختبرات في مجال العلوم الحيوية (البيولوجيا) ويستعمل على نطاق واسع في كليات العلوم والطب البشري والبيطري وكليات الزراعة وغيرها ، وتعد مبادئ وطرق استعمال المجهر من الدروس الأساسية في العلوم التي يتلقاها الدارسون والمتدربون وغيرهم ، وعموماً نستطيع أن نقول بشيء من الثقة إن المجهر الحديث قد بلغ مرحلة الكمال من حيث كفاءته وصغر حجم المجهرية وقوة تكبيره الأشياء المختلفة . وخاصة بالوصول إلى صنع المجهر الإلكتروني .

تركيب المجهر

يتركب المجهر من الأجزاء الآتية :

أ ـ **مجموعة العدسات** : وهي عبارة عن العدسات الشيئية ، والعدسات العينية ، وتتوقف جودة الصور وقوة تكبيرها على العدسات الشيئية ، ومعظم المجاهر تحتوي عادة على ثلاث أو خمس عدسات شيئية تكون مثبتة في القطعة الأنفية المتحركة بالطرف السفلي من جسم المجهر الرئيسي . والعدسات الشيئية قد تكون طويلة بحيث تكون عرضة للاصطدام بالحامل أو العينة التي يراد فحصها وذلك إذا ما أديرت بقوة أثناء استخدام المجهر في فحص العينات ، ولتلافي ذلك غالباً ما تزود العدسات الشيئية بقاعدة زنبركية لحمايتها وحماية العينة من الكسر والتلف ، والعدسات العينية بالمجهر تعمل على رؤية الصورة التي تنتجها العدسات الشيئية وتعمل على تكبيرها .

ب ـ **المكثف** : ويستعمل في إضاءة الجسم المرئي (العينة) ويثبت المكثف أسفل مسرح المجهر بكيفية تسمح بتحريكه إلى أعلى وأسفل بسهولة ، وغالباً يزود مكثف بعض المجاهر الجيدة بمفاتيح ضبط خاصة لضبط مركزيتها . وتنحصر وظيفة المكثف في تجميع أشعة الضوء التي تصله من مصدر الإضاءة وتوجهها إلى (العينة) محل الفحص .

جـ ـ **الأجزاء الآلية** : وتُركب الأجزاء الآلية المتحركة في المجهر على حامله الرئيسي وهي مفاتيح للضبط الدقيق والضبط التقريبي ، وكذلك مفاتيح رفع وخفض المكثف وضبط مركزيته . كما تزود المجاهر بمسرح آلي يسمح بتحريك العينة في اتجاهين متعامدين وأحياناً يتحرك المسرح حركة دائرية . وأحياناً تثبت مرآة المجهر في أسفل المسرح وتكون حرة الحركة على كافة الاتجاهات . وفي السنوات الأخيرة أدخلت عدة تحسينات على تصميم الأجزاء الآلية لتسهيل استخدامها ، من هذه التعديلات تركيب مفاتيح الضبط في قاعدة المجهر ، واستعمال مسرح مجهري



★ تثبيت آلة تصوير ٣٥ م على مجهر ★

يتحرك إلى أعلى وأسفل بدلا من تحريك أنبوب المجهر ، وتنزلق أنبوبة المجهر على جريدة مسننة ، لذلك يجب المحافظة على هذه الجريدة وتشحيمها من وقت إلى آخر بالمادة التي توصي بها جهة صناعة المجهر .

ومعروف أن مصدر الإضاءة قد يكون ضوء النهار العادي الذي تُجمَّع أشعته بواسطة المرآة ، وأحياناً يكون مصدر الإضاءة مصباح كهربي ، ويفضل استعمال مصباح بقوة ١٠٠ وات حتى لا تجهد عين الفاحص نتيجة الضوء الضعيف ، وأحياناً يزود المجهر بحجاب قزحي (ديافرام) لتنظيم نفاذية الضوء وتحسين قوة الإضاءة . **وغني عن الذكر أن نظم الإضاءة تتفاوت في جودتها وكفاءتها وتأدية وظيفتها .**

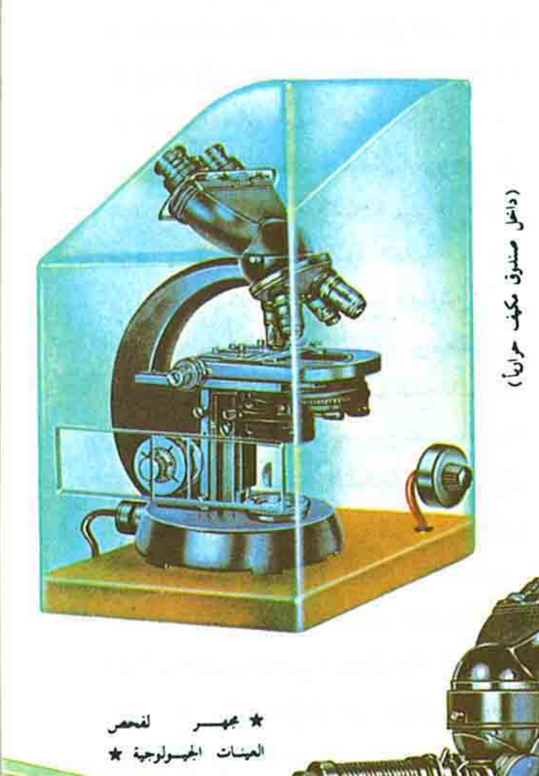
ولا يجب أن ننسى أنه مهما بلغت التحسينات التي أدخلت على المجاهر فإن الهدف منها لا يتحقق إلا بتحضير جيد للعينات المراد فحصها ، وتلافي أي خطأ في هذا التحضير نتيجة عدم مراعاة أسس التقنية المجهرية . والصورة الواضحة المكبرة تقوم على دعامتين أساسيتين هما مجهر مُطوّر ومُحسّن وعينات أعدت بواسطة ذوي الخبرة في هذا المجال مع الأخذ في الاعتبار أشياء كثيرة منها اختيار **الشرائح الزجاجية والأغطية** بالسمك والمقاس المناسب وتنظيف الشرائح ، وأفضل الطرق وأيسرها غمر هذه الشرائح قبل الاستعمال مباشرة في الكحول ، ثم مسحها بواسطة قماش نظيف خال من الدهون والزيوت وغير ذلك كثير .

قوة التكبير

تحسب قوة التكبير الكلية للمجهر بضرب قوة تكبير العدسة الشيئية في تكبير العدسة العينية بشرط أن يكون طول أنبوب المجهر بين هاتين العدستين مستقيماً (١٦٠ مم) في الغالب ، وأن لا تكون بينهما عدسة ثالثة ، وبصفة عامة تكون قوة تكبير أي مجهر محدودة بسبب انحراف الضوء وانتشاره على مساحات صغيرة . وللمجهر قدرة على التمييز بين الأشياء أكثر من قدرة عين الإنسان على التمييز ، وإن كانت في الإنسان مختلفة من شخص إلى آخر لكن في ظروف المسافات العادية لعمل الإنسان (مسافة ٢٥ سم) يمكن للعين رؤية نقطتين بعيدتين بعضهما عن بعض ٠,٢٥ مم ، والتمييز بينهما كنقطتين منفصلتين ، والمجهر العادي (الضوئي) يمكن التمييز به بين نقطتين ، المسافة بينهما (٠,٢٥ ميكرون) ويمكن للمجهر الإلكتروني التمييز بين نقطتين عندما تكون المسافة بينهما (٥ انجستروم) .

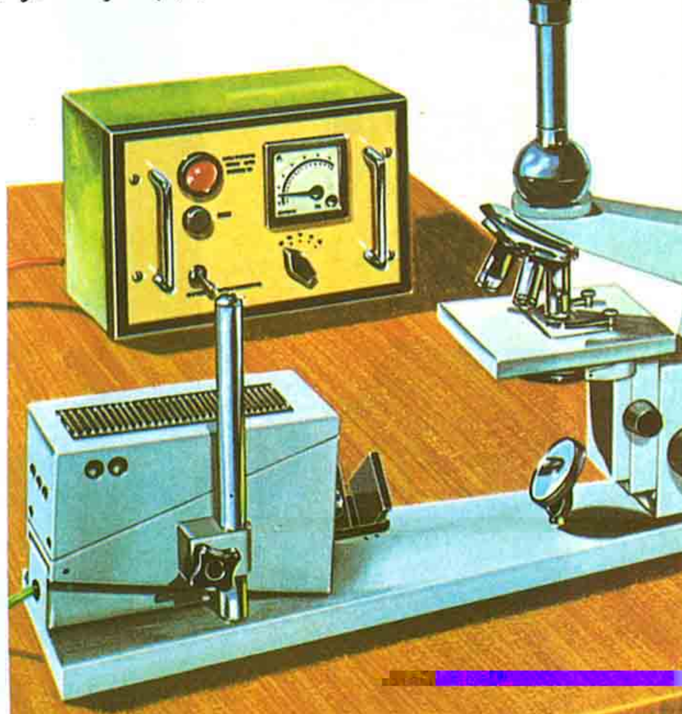
يستخدم المجهر كما سبق في الطب والجراحة والتعليم والبحث العلمي وغير ذلك وعلاوة على ذلك منها :

أ ـ استخدام المجهر في **القياس .**



(داخل صندوق محكم حراريا)

★ مجهر لفحص العينات الجيولوجية ★



★ مجهر الأشعة فوق البنفسجية ★

ب ـ استخدام المجهر في العد المباشر .

ج ـ استخدام المجهر في التصوير .

ويلزم ذلك تزويد المجهر ببعض التجهيزات الإضافية . وهناك الكثير من المجاهر ذات الاستعمالات الخاصة مثل المجاهر المستعملة في العمليات الجراحية ، والمجهر ذو المسرح المكيف حرارياً ، ومجهر الوضع المعكوس ، والمجهر ذو الأشعة فوق البنفسجية ، وأخيراً المجهر الإلكتروني .

المجهر الإلكتروني

١ ـ تاريخه وتطوره وعمله : في عام ١٨٧٩ م ، اكتشف **ج . ج . تومسون** أن الأشعة المنبعثة عن القطب السالب (الكاثود) بداخل أنبوبة مغلقة ومفرغة من الهواء تتكون من جسيمات سالبة الشحنة أطلق عليها اسم **« الإلكترونات »** نشطت الأبحاث على هذه الأشعة في معامل الفيزياء الرئيسية بأوروبا . وفي عام ١٩٢٤ م ، اكتشف **ل . دي بروجلي** أن انتقال الجسيمات سالبة الشحنة يتم على هيئة موجات تشبه موجات الضوء العادية .

وفي عام ١٩٢٦ م ، أوضح **« بوش »** أنه بالإمكان توجيه أشعة الإلكترونات بواسطة ملف مغنطيسي وأنه من الممكن أيضاً صنع عدسات إلكترونية رغم أنه لم يقم بصنعها بنفسه **وقام « جابور » في السنة التالية بصنع أول عدسة إلكترونية** ، وكانت تتركب من ملف لولبي أنبوبي الشكل ، داخل غلاف من الحديد الزهر . وبذلك أمكن للعاملين في مجالات البحث العلمي استعمال هذا النوع من العدسات في المجهر الإلكتروني . ويمكن بواسطة هذا النوع من المجهرات الحصول على أعلى قدرة رؤية وتمييز ممكنة ، بسبب قصر طول موجات الأشعة الإلكترونية ، التي لا تزيد عادة على بضعة أجزاء من **الانشجتروم** (جزء من عشرة في المليون من الملليمتر) .

ويرجع تاريخ صنع أول مجهر الكتروني إلى عام ١٩٢٨م ، بواسطة « كول » و« روسكا » في برلين ، ويتكون هذا المجهر من عدستين فقط قوة تكبيرهما ١٧

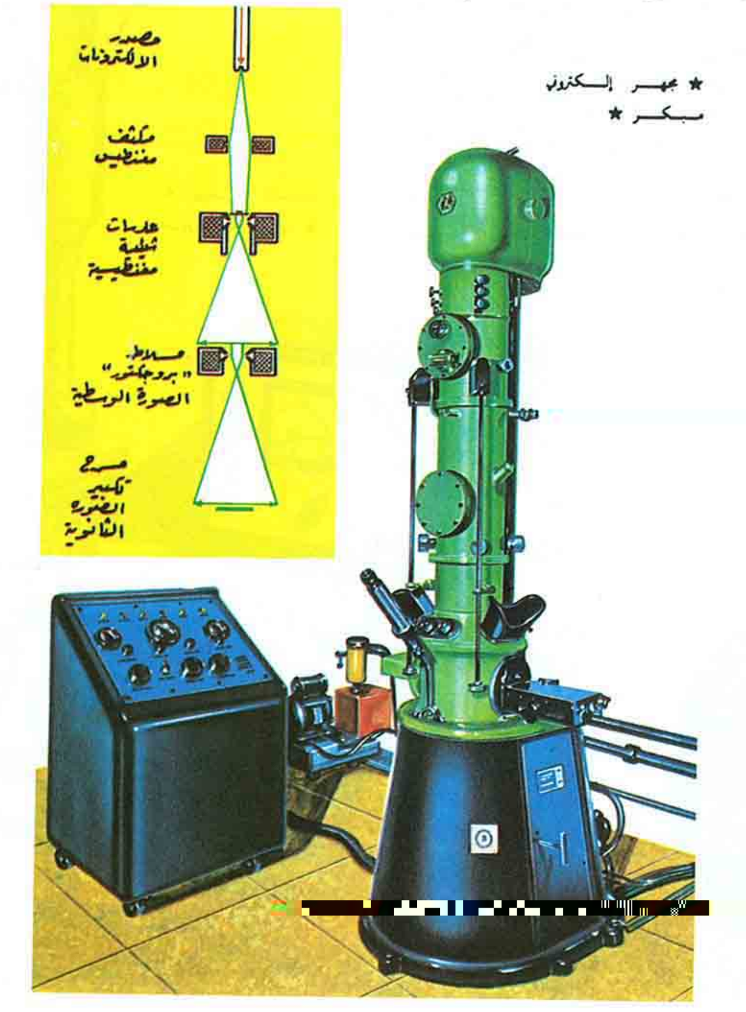


مرة . وما إن حل عام ١٩٣١ م ، حتى أمكن تطوير المجهر ليعطي قوة تكبير مقدارها ٤٠٠ مرة ، إلا أنه كان من الصعب فحص العينات تحته . ونتيجة لذلك ساد اعتقاد بأنه لن تكون للمجهر الإلكتروني أية فائدة عملية .

ونظراً لأن انتقال الإلكترونات لا يتم إلا في وسط مفرغ تماماً في الهواء ، فإن الاحتفاظ بالتفريغ العالي المطلوب داخل جسم المجهر كان يشكل عقبة كبيرة أمام العاملين على تطوير المجهر الإلكتروني يضاف إلى ذلك الاعتقاد الذي كان سائداً بأن التفريغ يؤدي إلى تحطيم أي عينة تعرض للفحص تحت المجهر .

وبرغم تلك الصعوبات تواصلت جهود العلماء والباحثين في تطوير المجهر الإلكتروني حتى **تمكن روسكا في عام ١٩٣٣م ، من صنع أول مجهر إلكتروني تدفع فيه الإلكترونات بجهد مقداره ٧٥٠٠٠ فولت ، وكانت عدساته تبرد بالماء** . والحصول على صور يتم على شاشة فلورسنتية عند قاعدة عمود المجهر . وكانت قوة تمييز هذا المجهر أزيد من أفضل مجهر ضوئي بخمس مرات . **والتقطت الصور الأولى لمواد بيولوجية في عام ١٩٣٤م** .

والجدير بالذكر أن نظم الإضاءة والعدسات في هذا المجهر تشبه بصفة عامة مثيلاتها في المجهر الضوئي العادي فلا بد من وجود مصدر لإنتاج الإلكترونات . . . ويقابل ذلك مصدر الإضاءة أو المصباح الكهربي في المجهر العادي . وتمر الشحنات الإلكترونية الناتجة عن هذا المصدر خلال المكثف الذي يوجهها



★ مجهر إلكتروني مبكر ★

على العينـــة المراد فحصـــها ، وكذلك على العدسات الشيئية للمجهر الإلكتروني ولـرؤية صورة العينـة يلـزم إسـقاطها على شـاشة فلورسنتية ، وتتم هذه العملية بواسطة عـدسات تماثل في وظيفتها العـدسات العينية في المجهـر العادي ، تسمى **عـدسات « البروجيكتور »** جهاز العرض الرأسي . وغالباً يكون اتجاه أشعة الإلكترونات من أعلى حيث مصـدر إنتاج الإلكترونات ، وإلى أسفل تـكون الشـاشة الفلورسنتية ، وتحت كل الظروف يجب أن يكون عمود المجهر مفرغاً تماماً لمنع حدوث أي انحراف لأشعة (شحنات) الإلكترونات بواسطة جزيئات الهواء . وتتوقف قوة العدسات الشيئية في المجهر الإلكتروني على قـوة تيار أشعة الإلكترونات ، وتنحصر وظيفتها في إنتاج الصـورة الأولى التي يقوم جهاز « البروجيكتور » بتكبيرها إلى الصـورة النهائية التي تظهر على الشاشة سالفة الـذكر . وللعدسات في المجهـر الإلكتروني عيـوب تماثل نظيراتها في المجهر الضوئي كالزيغ اللوني ، وأحياناً الرؤية غير الـواضحة ، ويجـري تـطوير هـذه العدسات بصفة مستمرة لتلافي أية عيوب بها .

ويزود المجهر الإلكتروني بمجموعة من التجهيزات المختلفة ، **ولقـد وصـلت قـوة التـكبير بأحدث المجاهر الإلكترونية إلى ٢٥٠,٠٠٠ (مـائتين وخمسين ألف مـرة)** . وبـالمجهر الإلكتروني درست مكونات الخلية دراسة مستفيضة خصـوصاً الأحمـاض النـووية (الكروموسومات الوراثية) وغيرها . ومـا تـزال هناك الكثير من الصعوبات بسبب التفـريغ العالي لعمود المجهر حيث إنها تسبب مـوت الخلايا الحية في الحال ، وتبذل الجهـود العلمية المكثفة للتغلب على هذه الصعوبة وغيرها كثير .

تطلعات مستقبلية

لا يزال المجهر الإلكتروني يمر بمراحل تـطوره الأولى . فعلى سبيل المثـال ، تجـري تعـديلات وتحسينات مستمرة على قـدرة تمييز المجهـر ، وسوف يأتي يوم قريب تصل فيه قدرة تمييز هذا المجهر إلى ٠,١ انجستروم وأقـل . **ومـن أهـم الصعوبات الـتي تقف حجـر عـثرة في تطوير المجهر الإلكتروني أن تـطور طـرق تحضير العينـات لا يـزال متخلفـاً عـن التطور السريع الـذي يـطرأ على المجهـر باستمرار** . وهذا في الـواقع تكرار لما حـدث مع المجهر الضوئي العادي قبل بضـع سـنوات ، ولم يعد يمثل عقبة في الـوقت الحـالي بسبب التقدم الذي طرأ على طرق تحضير عينـات هـذا المجهر ، بحيث يمكن الآن الحصـول على أفضـل قـدرة تمييز ممكنة بهـذا المجهر . وعمـوماً لن يطول الانتظار حتى يمكن استعمال قـوة تـكبير تسمح برؤية أدق جـزيئات الخلية وتـراكيبهـا الداخلية بواسطة المجهر الإلكتروني .

وتوجد حالياً مجهرات إلكترونية يمكن بواسطتها رفع جهد تيار الإلكترونات إلى مليون فولت . ويمكن بـواسطة هـذه المجاهر فحص العينات السميكة نسبياً والتي لا يمكن فحصـها بـالمجاهر الإلكترونية المألـوفة ، وذلك بدون إحداث ضرر أو تلف بها . ومـن المحتمـل أن يتم بواسطة هذه المجاهر تـتبع نشاط جـزيئات الخلية الحية أثنـاء أدائهـا لـوظائفها الحيـوية ، وعندئذ نكون قد دخلنا عصراً جديداً في تـاريخ المجاهر واستعمالاتها التطبيقية المختلفة .

وفي مقال آخر سوف أتنـاول أنـواع المجـاهر المشار إليها كالمجهر المسـتعمل في العمليـات الجراحية ، وذو المسرح المكيف حـرارياً ، ومجهـر الوضع المعكوس ، والمجهر ذو الأشـعة فـوق البنفسجية . كما سأتناول أسس التقنية المجهـرية ومستلزمات الفحص للعينات المختلفة .

* مجهر إلكتروني *
مدفعة الالكترونات
قطب سالب "كاثود"
قطب موجب "أنود"
مكثف مغنطيسي
شعاع "حزمة" الالكترونات
غرفة "فتحة" العينات
مسرح المجهر للعينات
عدسات شيئية مغنطيسية
مسلاط الصور الوسطية
مجهر ثنائي العينية
الشاشة الفلورسنتية
آلة تصوير



لوحة : «جلسة»

● يصور الفنان علي الغامدي في لوحته المعروضة، جلسة لمجموعة من الأشخاص، ورغم أن المفهوم المباشر للجلسة يعني الراحة والاسترخاء، أي أن الجلسة بصفة عامة، يغلب عليها طابع الهدوء وتعطي الإحساس بالسكون.. إلا أن الفنان قد صوّر جلسة عاصفة لا تعطي الإحساس بالراحة أو السكون، فأشخاصه في حالة قلق غير مستقرة من الناحية العضوية والسيكولوجية، وهذا يتضح من أوضاع مشخصاته المختلفة، ومن التعبيرات المرتسمة على وجوه بعضها، وهي تعبيرات تنم عن الحزن والألم.

● يدعونا الفنان إلى تأمل تلك الجلسة الحزينة للبحث والتفكير في معناها، وللاستفسار عن أسباب حزن وألم مشخصاته، فهل ألمت بهم كارثة أو مصيبة تسببت في تلك الحالة من الحزن واليأس.. هل فقدوا أحد أقاربهم، أو جيرانهم، أو أصدقائهم، أو شخصاً ما عزيزاً عليهم.. أو.. أو... فعن طريق تلك التساؤلات والاستفسارات المستمرة يخلق الفنان حواراً لا ينتهي بين المشاهد واللوحة.

● صور الفنان مشهداً خارجياً، أي خارج المنازل، إلا أنه لم يحاك الطبيعة أو ينقل الواقع نقلاً حرفياً، بل استخدم مشخصاته والخلفية المكونة من البيوت الشعبية، كعلاقات تشكيلية في إطار البعدين.

● بالغ الفنان في النسب التشريحية لأعضاء مشخصاته من حيث الطول والقصر، أي أنه استخدم التشويه الفني، وذلك ليحدث العنصر الدرامي في اللوحة.. وقد أكد ذلك باستخدامه الهارموني اللوني للألوان الباردة التي تغطي معظم أجزاء اللوحة.. وحتى الألوان الساخنة استخدمها الفنان ليحقق بها نوعاً من الاتزان اللوني فقط.

● اعتمد الفنان في بنائية اللوحة على التكوين الدائري، وقد استخدم في ذلك عنصري الخط واللون، فخطوطه منحنية ومنكسرة، وتحدد اتجاه حركة عين المشاهد في اللوحة، وعن طريق الحركة التي تحدثها تلك العناصر يؤكد الفنان على عدم استقرارية مشخصاته، وينقل عبرها هذا الإحساس بالمشاهد.

للفنان : علي الغامدي

● ولد بالمملكة العربية السعودية.

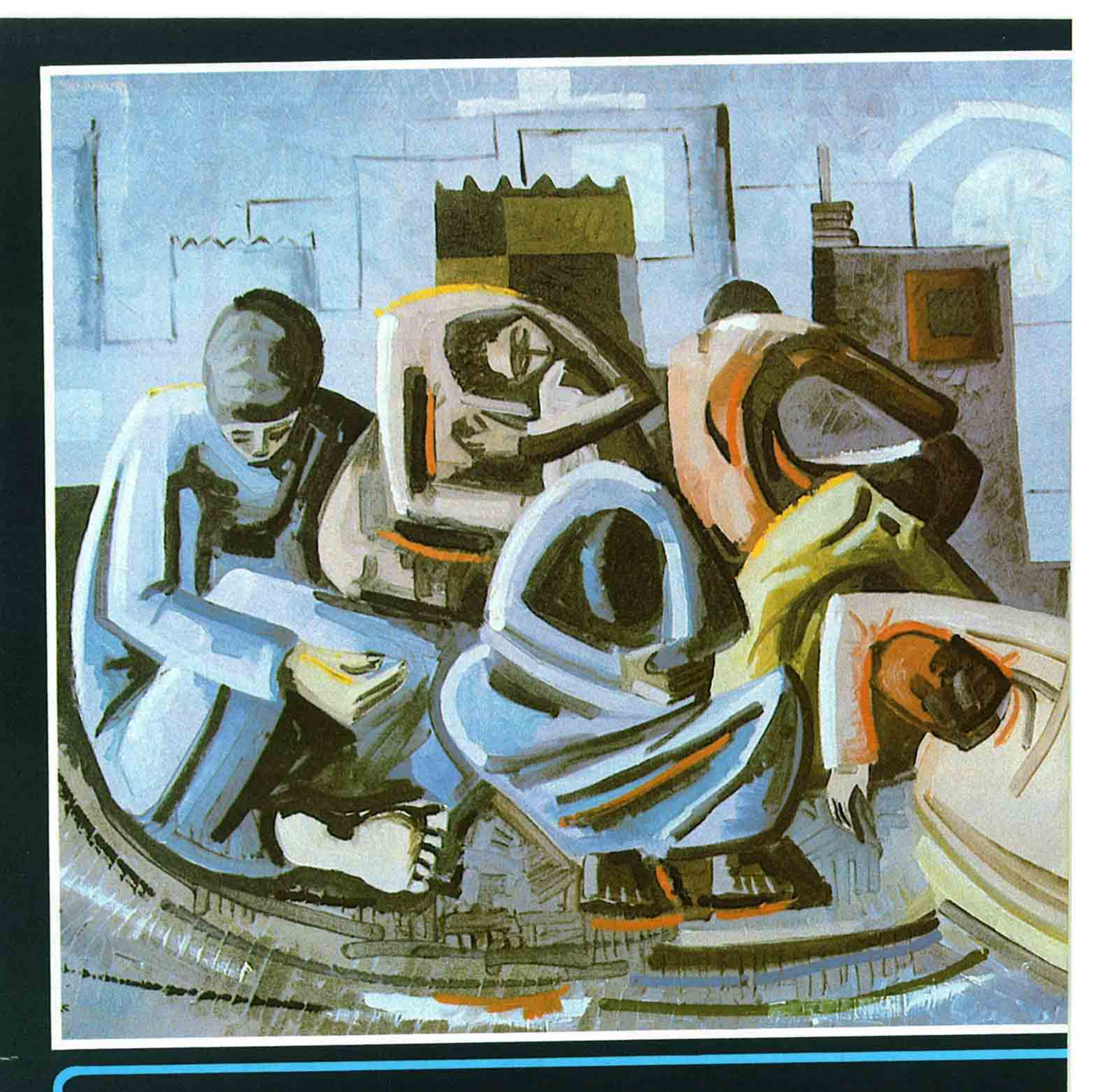
● توفي عام ١٤٠٣هـ.

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية.

● عضو الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة.

● شارك في جميع المسابقات والمعارض التشكيلية لفرع جمعية الثقافة والفنون بجدة.

● شارك في جميع المسابقات والمعارض التشكيلية التي أقامها



مكتب رعاية الشباب بجدة .

● شارك في مسابقات المعرض العام الرابع والخامس والسادس والسابع للمقتنيات بالرياض .

● شارك في مسابقات معرض الفن السعودي المعاصر الثاني والثالث والرابع والخامس بالرياض .

● اختيرت لوحاته ضمن مجموعة لوحات لأبرز الفنانين السعوديين لتمثيل المملكة في معرض الفن السعودي بالمملكة الأردنية ، وألمانيا الاتحادية ، ومهرجان الشباب العربي بالعراق .

● اشترك في مسابقات المعرض العام الثالث والرابع والخامس والسادس لمناطق المملكة .

● اشترك في مسابقة المعرض العام الأول لمراسم أندية المملكة بالرياض .

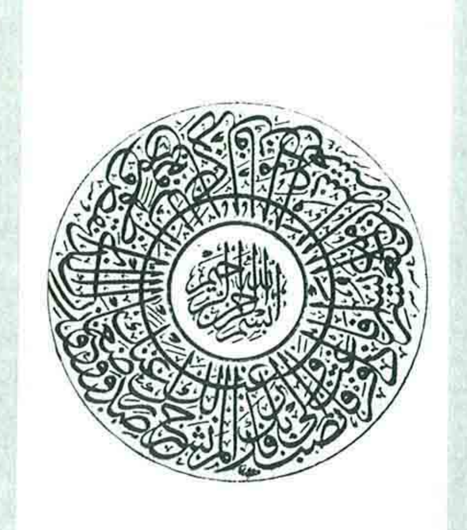
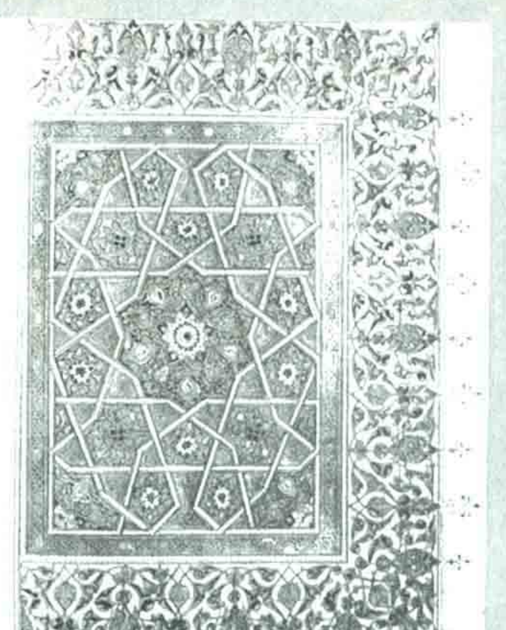
● فاز بالعديد من الجوائز المالية والشهادات التقديرية والميداليات ،

وقد اقتنت الرئاسة العامة لرعاية الشباب العديد من لوحاته من المعارض التي شارك فيها .




فن زخرفة المصاحف وكتابتها

بقلم: محمد الحسيني عبد العزيز


★ زخرفة مملوكية ٨٠١هـ، و١٤١٢م، مصر والمصحف، رقف من السلطان فرج بن برقوق (المكتبة البريطانية، لندن) ★



لقيت المصاحف عناية كبرى من الخطاطين والمزخرفين تقديساً للكتاب الحكيم دستور المسلمين ومصدر شريعتهم السمحة، ولهذا بذلوا أكبر جهد في تنميق كتابته وزخارفه، واختاروا أفضل الأقلام لكتابة آياته وأجود المداد الذهبي والأزرق ليدونوا به محكم سوره، فضلاً عن تشجيع الحكام وحرصهم على اقتناء نسخ القرآن تبركاً به وطلباً لمغفرة الله سبحانه ورضوانه.

وهكذا كانت المصاحف المخطوطة ميداناً لتجويد الخط العربي وتطوره وازدهاره، ووصوله إلى أسمى الدرجات، وبلغ أوج عظمته في القرن الخامس الهجري، حتى عرف **بالكوفي المزهر**، ومما ساعد الخطاطين على الإبداع في الكتابة طبيعة الحروف العربية وما فيها من تقويس وانبساط وانتصابات وقابليتها للاستمداد والانثناء والمط والاستدارة التي تكسب الكتابة حياة وحيوية وتمنحها جمالا وبهجة، وهذا أتاح للخطاطين والمزخرفين أن يستخرجوا من الكتابة أنماطاً مزخرفة غاية في الإبداع، وفيها تجلت عبقريتهم للابتكار والتفنن والإبداع.

وكان هذا التقدم الذي أصابه الخطاطون والفنانون ذا أثر بالغ في



★ ورقة من مصحف مزخرفة بزخارف ذات طراز مملوكي (مجموعة شستربيتي دبلن، إيرلندا) ★

★ مقدمة المصحف المملوكي للسلطان شعبان في مدرسة أم السلطان بالقاهرة كتبت بالخط الكوفي الشرقي (المكتبة الوطنية، القاهرة ★

عملية الإبداع والسمو الزخرفي التي تشاهد في كتابة المصاحف والتي تحوز إعجاب وتقدير كل من يراها .

وكان الخط المستعمل في كتابة المصاحف هو الخط الكوفي الذي يناسب جلال القرآن وآياته الكريمة ، وينسب هذا الخط إلى **مدينة الكوفة بالعراق** التي كان لها الفضل في تجويده واتقانه ، وتتميز حروفه بأنها ليّنة مقوّسة ، وظل مفضلاً طوال الخمسة قرون الأولى من الهجرة النبوية حتى حل محله في كتابتها خط جميل رائق ابتدعه **الأتابكة في الموصل** وشمال **الشام** وهو خط **النسخ** ، وجاء **المماليك** فآثروا عليه خطاً أكبر كتبوا به مصاحفهم هو الخط المعروف **بالطومار** ومشتقاته ، وكتب أهل شمال إفريقيا **بالخط المغربي** ، واستخدم خط **النستعليق والتعليق في إيران** .

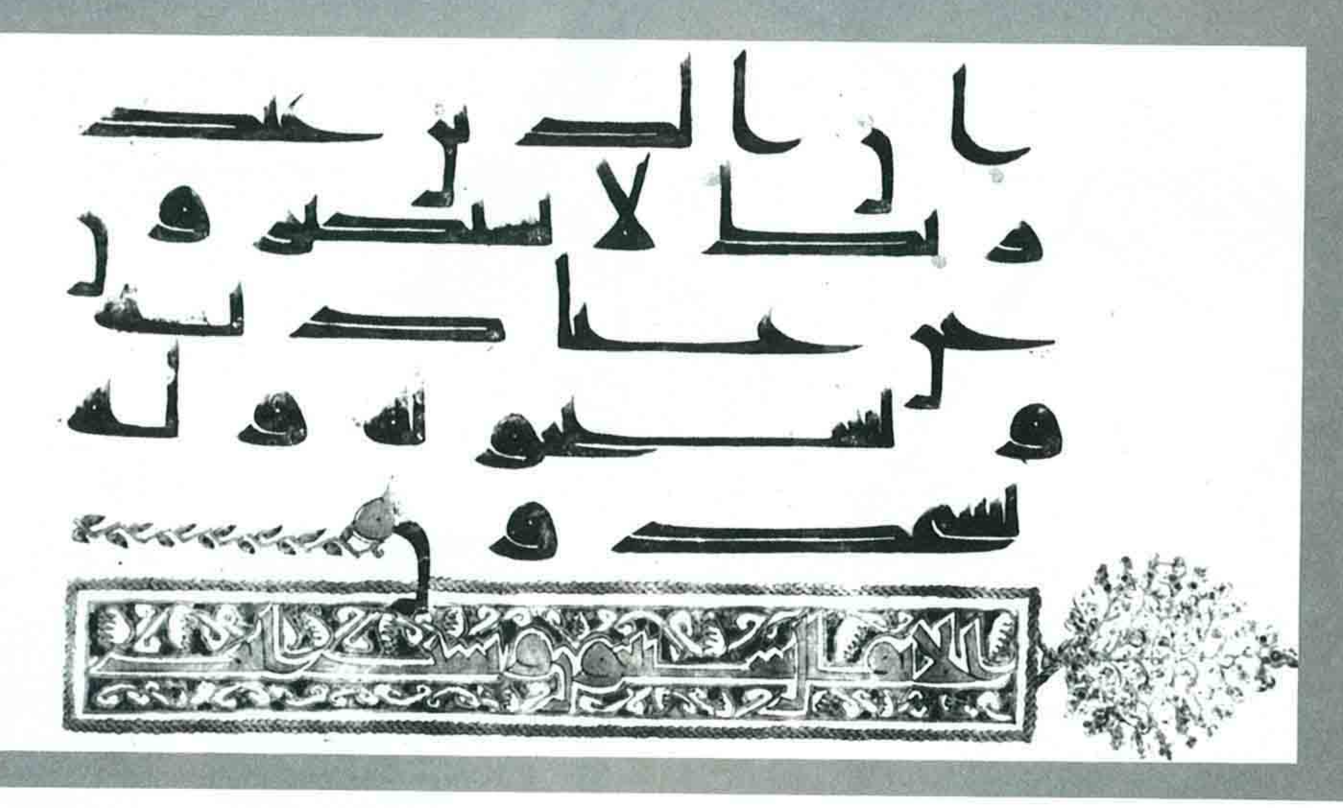
أسلوب زخرفة المصاحف

ورغم معارضة الفقهاء لزخرفة المصاحف إلا أن المعارضة لم تستمر طويلاً ، وسرعان ما وجدت الزخارف طريقها إلى كتاب الله ، حيث أصبحت تستخدم كفواصل للآيات بعضها عن بعض ، وفواصل للسور ، كما استخدمت في الهوامش الجانبية لبعض الصفحات لكتابة الجزء وفي غرة المصحف ونهايته .

وكانت فواصل الآيات في المصاحف الأولى تكون بترك فراغ بين كل آية وأخرى تزيد عن مساحة الفراغ الذي يترك بين الكلمة والكلمة ، وقد استخدم الفراغ المتروك بين الآيات أول الأمر برسم نقطة فيه على هيئة مثلث ، ثم استبدلت النقط بشُرَطٍ رسمت فوق بعضها البعض ، وأحيطت هذه النقط والشرط بدوائر .

وكان المذهبون يجعلون بين كل خمس آيات دائرة يكتبون في داخلها رأس حرف الخاء ، وأطلق على هذه الزخرفة اسم **التخميسة** ، كما جعلوا أيضاً بعد كل عشر آيات دائرة كتبوا في داخلها رأس حرف العين وأسميت هذه الزخرفة **بالتعشيرات** .

وبعدها أصبحت العلامات بين فواصل الآيات عبارة عن دوائر بها زخرفة ذات شكل نجمي في وسطها في بعض الأحيان رقم الآية ، وتسير فواصل السور على نفس الأسلوب والطريقة المستخدمة بين فواصل



★ مقدمة سورة الأنفال بالخط الكوفي، القرن ٣هـ، العراق ★

الآيات ، فبدأ الفنان المزخرف يترك فراغاً بين كل سورة وأخرى أوسع من الفراغ الذي كان يترك عادة بين سطر وسطر .

ثم جاء التطور الثاني في ملء الفراغ الموجود بين سورة وأخرى بشريط زخرفي ، واقتضت سُنَّة التطور بعد ذلك إلى تضمين السورة في هذا الشريط وتحديد عدد آياتها مكية أو مدنية .

ولم تقتصر الزخارف على الفواصل بين الآيات والسور بل كانت تحدد الأجزاء التي ينقسم إليها المصحف وأنصاف الأجزاء وأرباعها وأعشارها وكذلك في مواقع السجود ، كما ظهرت الزخرفة في الصفحات الاستهلالية (المقدمة) وفي الخاتمة ، وكانت زخرفة المقدمة والخاتمة تملأ صفحة كاملة أو صفحتين متكاملتين ، وتمثل هذه الزخرفة أروع الرسوم الهندسية والنباتية كما كانت أعظم عمل لتجميل المصحف وتزيينه .

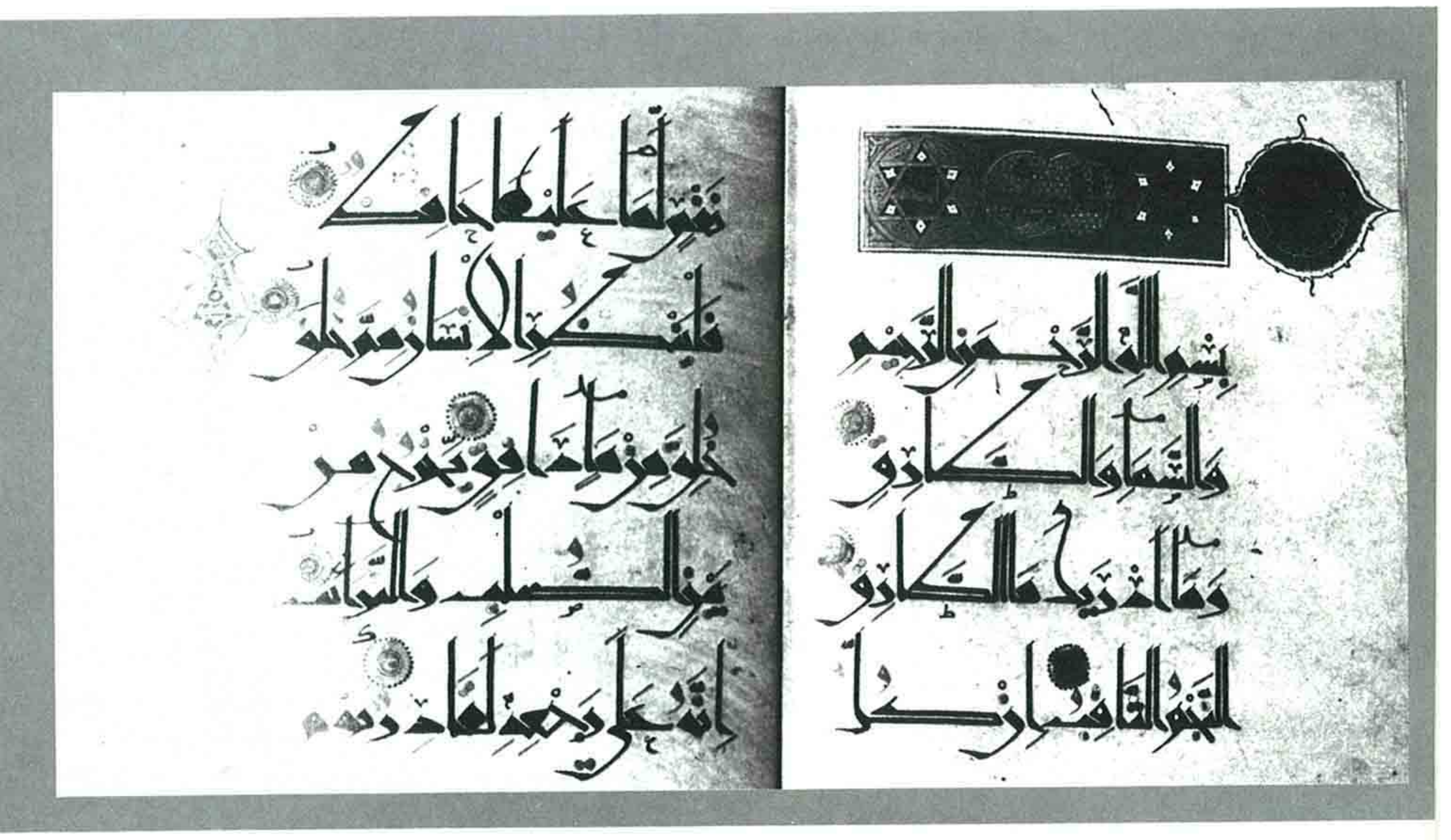
أشهر المصاحف وألوان كتابتها

كانت أحب الألوان إلى المزخرفين في كتابة المصاحف هما **اللونين الذهبي والأزرق** ، ويلعب هذان اللونان في الفن الإسلامي دوراً كبيراً سواء استخدم اللون بمفرده أو اجتمع اللونان معاً ، وكان **للون الذهبي** في نفوس الفنانين منزلة مرموقة ، حتى أن **الخطاط الشهير خالد بن أبي الهياج** كتب جزءً من **سورة الشمس** على الجدار الجنوبي للمسجد النبوي بالمدينة بهذا اللون ، كما استخدم ماء الذهب في نسخ المصاحف واقتصر على المداد الذهبي في رسم فواصل الآيات وفواصل السور ، وزخارف الهوامش الجانبية لبعض الصفحات ، وفي تجميل الصفحات الأولى والأخيرة .

ومن أعظم المصاحف زخرفة غرة صفحة موجودة في **مكتبة شستر بيتي بمدينة دبلن بإيرلندا** ، عبارة عن مستطيل مذهب داخله دائرة مذهبة ومربعات معقودة ولتقاطع الجوانب من أعلى ومن أسفل. ، وقد ترك العنصر المتشابك ظله بواسطة المظهر الهندسي ، وقد ملأ الفنان فراغ المستطيل الذي يحف بالدائرة بمعينات داخلها زخارف نباتية محورة ، كما توجد صفحة ختامية قرآنية في نفس المكتبة تنسب إلى **الخطاط الشهير ابن البواب** الذي كان خطاطاً ومزوقاً ومزخرفاً ومجلد كتب ، وتمثل الزخرفة صفحة مستطيلة مقياسها (١٧٧ × ١٣٥ ملم) أما مساحة المستطيل المزخرفة فهي (١٣٤ × ٩١ ملم) ، وقد أحيطت الصفحة بزخرفة مذهبة مجدولة ، وبداخلها إطار مستطيل رأسي يضم بداخله دوائر متشابكة غاية في الروعة والجمال ، ملونة بألوان مذهبة وملئت الزخارف بألوان زرقاء وحمراء وبني داكن تضم أشكالا هندسية ونباتية مورقة مزهرة . ويمثل هذا العمل إبداعاً ليس من الناحية الفنية فحسب بل من الناحية التقنية .

مصاحف دار الكتب بالقاهرة

تملك دار الكتب المصرية سبعة مصاحف مذهبة شهيرة ، بعضها مصري وغير مصري ، ومن هذه المصاحف البديعة في زخارفها **نسخة أوليجاينو ثامن سلاطين الدولة الايلخانية** بإيران ، ويتكون من



★ كوفي ٥هـ العراق أو إيران ، مجموعة الأمير صدر الدين آغا خان ، جنيف ★

ثلاثين جزءاً ، كل جزء مستقل ومنفصل عن الآخر ، حيث كان كل قارئ يتناول جزءاً لقراءته على أن يكمل الجميع قراءة المصحف بأكمله ، وقد كتبت الأجزاء الثلاثون بالمداد المذهب والمحدد من الخارج باللون الأزرق ، وأحيطت سطور الأجزاء بالزخارف المذهبة ، ويتصدر كل جزء لوحتان نقشتا بالذهب زخارفها هندسية تتداخل فيها الدوائر والأشكال الخماسية والنجوم بصورة تدعو إلى الإعجاب ، وخط هذه الأجزاء وكتابته ذات أسلوب إيراني .

وهناك مصحف كتب عام ١٣٦٨ هـ ، **أرغون شاه** لكنه يمثل أسلوب الزخرفة المصري أصدق تمثيل ، وتتوسط زخرفة صفحة المقدمة نجمة ذات ست عشرة زاوية كأنها الشمس في استدارتها ولمعانها ، وتتوالد من امتداداتها أشكال هندسية متنوعة تملأ المربع المركزي الذي يحف به إطار ضيق تتابع فيه الأشكال النباتية ، ثم ينبسط أعلى وأسفل المربع المركزي مستطيلان يحويان آيات قرآنية كتبت بمداد أبيض بالخط الكوفي وتشكل جزءاً لا يتجزأ من زخرفة المستطيلين اللذان يحيط بهما نفس الإطار الذي يجمعهما ويفصلهما في نفس الوقت عن المربع المركزي ، ثم يحتضن إطار مزخرف هذه الأجزاء الثلاثة ، وأخيراً باقي الإطار الخارجي الذي يجمع الصفحتين المتقابلتين والمتماثلتين كل التماثل في زخارفهما فيما عدا اختلاف الآيات في المستطيلات العلوية والسفلية ، هذا بالإضافة إلى رسم حلية دائرية في هامش كل صفحة بالوحدات النباتية الدقيقة المتعانقة ، كما تكررت الحلية في الهامش عند أوائل الأجزاء وأنصافها .

وتتناسق هذه الزخرفة مع الرسم الأصلي لزخرفة المقدمة وتماثلها مع رسم النجمة التي تتوسط الرسم في إطارها الدائري ولاحتوائها على نفس الزهور المحورة التي تشكل الوحدات الزخرفية في الإطار الأزرق الخارجي الذي يطغى عليه طابع رسم الزهور الصينية وزهور اللوتس وغيرها .

كما أن هناك مصحفاً تنسب كتابته إلى **موسى بن إسماعيل** عام ١٤١٣ م ، أيام السلطان المؤيد المملوكي الذي تكثر في زخرفة غرة صفحاته حليات على هيئة مشكاة رسمت بداخلها زهور نباتية وآهلة متناسقة الألوان في المربع المركزي الذي يحيط به إطاران متداخلان ، وأعلاه وأسفله مستطيلان يضمان آيات قرآنية كتبت بالخط الكوفي ، ويحف بالجميع إطار ضيق ، ثم إطار آخر خارجي يضم الصفحتين المتقابلتين .

ومن المصاحف الفريدة في كتابتها وزخارفها نسخة تنسب إلى **مدينة بلنسية** عام ١١٨٢ م ، وتزهو بها **مكتبة جامعة إسطنبول** ، وتمتاز رسمة مقدمته بالشكل المربع الذي تتميز به نسخ القرآن التي نسخت في صدر الإسلام ، والوحدة الرئيسية في تصميم الزخرفة تتمثل في المربعين اللذان يتداخلان مع بعضهما ، وتظهر في الوسط جامة (صرة) مركزية على هيئة شبكة ذات خطوط بيضاء رفيعة صفت على خلفية منسوجة ، وتؤلف الأشكال الدائرية تبايناً زاهياً مع الأشكال النباتية في الزوايا ، ومع الأشكال المضفرة في الحاشية التي ترتبط مع التصميم الرئيسي بوسيلة جمالية ، وتملأ الزخارف الصفحة ولا تترك فراغاً مطلقاً بألوان حمراء وأخرى ذات لون بني ، على حين توجد في أركان المربع الذي يحف

متعددة منقوشة نقشاً مغربياً بالذهب على أرضيات متعددة الألوان بكل صفحة ، وتمثل غرة صفحاته زخرفة نادرة في شكلها وألوانها وتتوسط مربعه دائرة كبرى تقطعها شرائط مزدوجة متشابكة تتولد منها أشكال هندسية ، وإلى جانب المستطيلين والإطارات المتداخلة تشاهد دائرة تلتصق بجانب اللوحة ونصف دائرة أخرى تعلوها ، ويحيط بنصف الدائرة العليا عمودان على الجانبين وتزدحم في نصفي الدائرة زخارف نباتية بديعة في شكلها وألوانها .

في متحف متروبوليتان بأمريكا

وفي متحف المتروبوليتان ورقتان من مصحف سلجوقي كتبتا بالخط الكوفي الإيراني ، وهما مثل رائع للعناصر الزخرفية التي يمتاز بها الأسلوب السلجوقي ، وفي إحدى الورقتين عنوان سورة مكتوب بالذهب وبألوان متعددة ، أما الورقة الأخرى فقد كتبت باللون الذهبي فقط ، وبعض الآيات القرآنية مكتوبة بالخط الكوفي المزهر الذي يعتبر روعة في زخارفه ، حيث تنتهي مدات حروفه بزخارف نباتية مورقة بديعة ، وازدحمت زخرفة الأرضية التي امتدت عليها الحروف برسم وريدات وتفريعات مذهبة .

وفي نفس المتحف ثلاث ورقات من مصحف تبدو في رسومها وكتابتها البراعة الفائقة في الجمع بين الكتابة المتقنة الجميلة وبين الزخرفة الرائعة التي تتألف من تفريعات المراوح النخيلية المرسومة بالمداد البني .

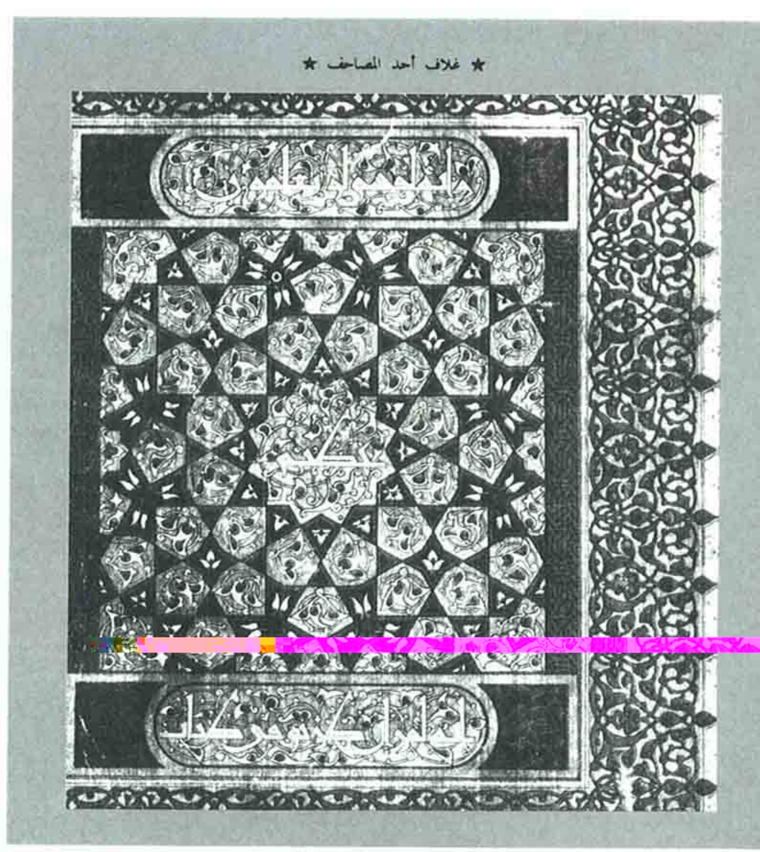
كما يحتفظ متحف المتروبوليتان بجزء من مصحف صغير ينسب **للعصر العباسي** ، وبالنسخة أربع صفحات مزينة بالزخارف المتشابكة من أشكال الأوراق النباتية والمراوح النخيلية ، وقد رسمت هذه الزخارف باللون الذهبي كما نثرت فوقها بقع من ألوان حمراء ورمادية وزرقاء وصفراء داكنة ، وقد حدد الرسم بإطار من اللون البني الداكن ، وغالباً ما امتدت الزخرفة إلى النصوص الكتابية ، وذلك لأن المذهب كان يبدأ عمله بعد انتهاء الخطاط من الكتابة .

وعلى هذا النحو كانت المصاحف كتابة وزخرفة ميداناً للتنافس بين الخطاط والمذهب فعمل كل منهما على تطوير عمله ، وابتكر الخطاط أنماطاً من الخط الكوفي المزهر ، وابتدع **الأتابكة** خط النسخ ، وابتكر **الطومار** أيام المماليك عن النسخ . كما بالغ المذهبون وبرعوا إلى أبعد حد في تزيين صفحات المصاحف الاستهلالية والختامية بالإضافة إلى الشريط الذي يتقدم سور القرآن الكريم بأسلوب ينتزع إعجاب من يراه ، وقد اعتبر مؤرخو الفنون هذه الزخارف بتماثيل رسومها وزخارفها وبهاء ألوانها وصفائه ، مصدر إلهام يستوحون منه رسومهم ، وأصبحت هذه المصاحف في مكتبات العالم ومتاحفه سفارات إسلامية تشيد بنبوغ الخط وعبقرية المزخرف المسلم ، وتبرز ما وصل إليه الفن الإسلامي من ازدهار وتقدم .

الهوامش

(١) النستعليق : خط يجمع بين مميزات خطي النسخ والتعليق ، يمتاز بالحياة والحركة لاستدارته وتقوساته ، وخط النستعليق أطوع في يد الكاتب وأسلس .

★ غلاف أحد المصاحف ★



بالدائرة وريدات وأوراق نباتية محورة (**أرابسك**) لوّنت بلون أزرق بديع ، وقد لوّن المربع بلون أبيض كلون الدائرة ورسومها ، أما الإطار الخارجي الذي يحف بالصفحة من الخارج فلونه أزرق فاتح جميل ويضفي على الرسم رونقاً وبهاء .

ويمتاز الخط المغربي باستدارة حروفه استدارة كبيرة ، وهذا الخط أكثر مطاوعة في يد الكاتب من خط التدوين الذي استخدم في مصر منذ الفتح العربي لها ، ومن الخط الكوفي نفسه ، ولو أنه قد تطور عنه وأصبحت له خصائصه التي تختلف عن سائر الخطوط العربية على نحو يتضح لمن يشاهده .

ومن المصاحف المغربية التي كتبت بخط مغربي على رق غزال عام ١٣٩٩ م ، على مثال المصاحف الأولى المربعة مصحف نهاية صفحاته تحوي زخرفة على غرار المقلمة ، ويلاحظ فيها التشابك بين الدوائر المتجاورة في وسط المربع المركزي المتقطع في بعض أجزائها ، ليعطي المجال للكاتب ليسجل عبارة مذهبة نصها : «كمل المصحف بحمد الله وغفرانه» وتظهر الدوائر المتشابكة في النهاية أشبه بوردة بيضاء مثمنة الشكل تحف بها رسوم نباتية تملأ المربع بأجمعه ، الذي يحيط به عن اليمين واليسار عمودان مستديران باللون اللازوردي ، ويحيط بهما وبالمربع إطار هو عبارة عن شريطين متجاورين يلتحمان عند الأركان والوسط على هيئة الضفائر المجدولة ، ثم يكون الإطار الخارجي بلون لازوردي خفيف تخرج منه للهامش حلية دائرية ، تضم رسوماً نباتية مذهبة .

وهناك مصحف مغربي آخر في دار الكتب المصرية ، بقلم مغربي عام ١٧٢٩ م ، ازدان أوله وربعه ونصفه وربعه الأخير بزخارف هندسية

الفلسفة اللسانية في التفكير الإسلامي

بقلم: د. منذر عياشي

إن من يطّلع على مؤلفات المفكرين الإسلاميين في قضية اللغة يقف لا محالة على ثلاثية تربطها علاقة جدلية. وهو يجدها تارة عند المفكر الواحد، وتارة أخرى موزعة على عدد منهم. وتنحصر محاور هذه الثلاثية في شكل تناسبي تتوالى فيه وكأنها تتنزل من بعضها أو تتوالد عن بعضها:

١ ـ الطرح الأول (Thèse).

٢ ـ الطرح المناقض (antithèse).

٣ ـ التأليف (systhèse).

ولا يقع في ظن أن الفكر الإسلامي قام على **جدلية هيجل**، لأن هذا الفكر ولد قبل هيجل بقرون، ثم إنه في كثير مقدماته وخلاصاته يختلف عن فكر هيجل لأسباب تتعلق بالتوحيد عند المسلمين وبالشرك عند هيجل.

إن هذه المحاور في شكلها ونسقها التناسبي الفريد تشكل قوام البحث المنهجي عند المسلمين في أغلب ميادين العلم. ومن أراد أن يتبين آثارها في الدراسات اللغوية فعليه الرجوع إلى المصادر التي تعتبر أصولا في التفكير المعرفي (كتب التفسير والتشريع واجتهادات الأئمة)، والتي أمدت اللسانية بفيض من المفاهيم ساعدتها على الخروج من حيزات الاعتبارات غير المترابطة كما في التراث الفلسفي اليوناني، إلى حيزات التنظير تناغماً وتآلفاً. ونعتذر عن عدم التفصيل إذ إن مقتضيات هذا المقال لا تسمح لنا إلا بالتنويه[١].

١ ـ الطرح الأول

إن الطرح الأول في الفكر اللساني الإسلامي عبارة عن **تقدير معرفي** (Epis-témologique) للموقع اللغوي، أي للمصدر الذي نشأت اللغة عنه، وإن هذا الطرح، في الواقع، يتنزل على دائرة أوسع من دائرة اللغة نقدر أن نسميها دائرة الوجود ومن أين جاء. وهذا يعني في أصولية الاعتقاد عظمة الخالق في خلق الإنسان: (اقرأ)، أي تكلم. فالطرح هنا لا يتعلق إذن بمسألة لسانية مجردة، وإنما يتعلق بمسألة وجودية تحتل فيها اللغة مركز الوسيط إلى معرفة حقائق الأشياء، لا **بالتقدير الديكارتي** الضيق المرتكز على الأنا (**أنا أفكر فأنا موجود**)، ولكن **بالتقدير التوسطي** المولّد للغة بين المعرفة كتكوين مفهومي ضميري والأشياء كتكوين مادي جامد. وقد أشار إلى هذا المنظور **ابن حزم الأندلسي** بقوله:

«لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا بتوسط اللغة»[٢].

وعلى هذا يتقرر لدينا أن البحث عن أصل اللغة في الطرح الأول هو بحث توسطي تقوم اللغة فيه بمهمة الإيصال بين المعرفة (الإنسان) والشيء (الوجود). والقضية بهذا المعنى هي

الفلسفة اللسانية في التفكير الإسلامي

قضية ارتباط بين عناصر جدلية يتم التوزيع فيها على النحو التالي :

١ ــ الوجود كطرح أول .

٢ ــ الإنسان كطرح نقيض .

٣ ــ اللغة كتأليف .

ولقد قدم **الجاحظ** ملاحظته بهذا الشأن فقال :

« ووجدنا كون العالم بما فيه ، حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شيء جُعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشيء جُعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة ، فاستوى بذلك الشيء العاقل وغير العاقل من جهة الدلالة أنه حكمة » .

إذا اعتبرنا هذا القول كطرح أول يتضمن في نسيجه الجدلية التي أشرنا إليها ، فإننا نستطيع أن نعتبر قوله الثاني ، وهو تابع للقول السابق ، كطرح نقيض ومتضمن بدوره لنفس المبدأ الجدلي :

« واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يَستدِلُّ ، والآخر دليل يَستدل . فكل مُستدل دليل ، وليس كل دليل مستدلا ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان جميع الجماد في الدلالة وفي عدم الاستدلال » .

ثم يأتي التأليف في قوله من نفس النص :

« واجتمع للإنسان أن كان دليلًا مستدلا ، ثم جعل للمستدل سبب يدل على وجوه استدلاله ووجوه ما نتج له الاستدلال وسموا ذلك بياناً »[٣] .

ولما ارتبط الطرح الأول ، أي أصل اللغة بأصل الوجود واتخذت هذه الرؤية « صورة ذهنية » على حد تعبير الشوكاني ، فقد ذهب اللسانيون إلى تعميم أشمل مما يقتضيه البحث اللغوي البحث في تعريف حد الكلام (اسم وفعل وحرف) ، وانتهى بهم المطاف إلى اعتبار اللغة توقيفاً إلهياً ، فدخل البحث اللغوي بهذا في إطار عقائدي ، وتأصل هذا المفهوم بالوقوف على الآية الكريمة ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ . وحاولوا توليد التوقيف باستنباط تأويلي رُبط بنتيجته أصل اللغة مع بدء الخلق . ولقد كان اعتماد هذا التأويل مبدأ الإسناد الذي يكون بموجبه مقولة عودة كل شيء إلى الله . . وهكذا أخذت اللغة بعداً روحياً تلاقت فيه زمنيتها التاريخية بآنيتها الاجتماعية الاستعمالية . فالإنسان :

(١) على صعيد البدء خُلق وهو ملزم مضطر إلى الكلام ولا خيار له فيه .

(٢) وعلى صعيد الآنية ، هو مخلوق وله خواطر يستخدم في إيصالها الآلة اللغوية فيحصل الاجتماع .

ولذلك صار في الوجود ما قاله عنه **الشهرستاني** :

« النفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة »[٤] .

وقرر في هذا المبدأ منظرون إسلاميون عظماء ، منهم : ابن حزم الأندلسي في كتابه (إحكام الأحكام) ، **وإخوان الصفاء** في رسائلهم ، **والسكاكي** في (مفتاح العلوم) ، **والرازي** في التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) ، **وابن فارس** في كتابه (الصاحبي) وغيرهم كثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم . ولكن علينا أن نعلم أن كل واحد منهم قد تكلم بطريقته . وسنعرض هنا بإيجاز شديد آراءهم الدالة على تنوع تفكيرهم :

●● **أما ابن حزم** ، فقد نظر باستشفاف من الآية ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ، واتخذ فيها سبل الظاهر ، والاعتبار عنده يتحوصل في أن التوقيف ضروري بالبرهان ، ولذلك فهو يقول :

« وأما الضروري بالبرهان فهو أن الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطلح إلا قوم قد كملت أذهانهم ، وتدربت عقولهم ؛ وتمت علومهم ، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم وعرفوا حدودها واتفاقها واختلافها وطبائعها ، وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود الإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جداً يقتضي في ذلك تربية وحياطة وكفالة من غيره ، إذ المرء لا يقوم بنفسه إلا بعد سنين من ولادته »[٥] .

●● إن مفهوم التوقيف عند **إخوان الصفاء** يتطابق مع المفهوم الذي أوردناه عن ابن حزم من جهة ، ويختلف عنه من جهة أخرى . فالأصل في نشأة اللغة عندهم إلهام من الله ، ولكن هذا الإلهام لا ينصب على لغة بالذات . إنه إلهام بالتكلم فقط . فالإنسان ، حسب هذه النظرة ، أُلهم أن يتكلم ولم يلهم الكلام بلغة معينة[٦] .

●● **أما السكاكي** فقد قاده النظر في الآية ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ إلى إقرار نظرية الوضع ، إذ يقول :

« الواضع إما الله وإما غيره ، والوضع عبارة عن تعيين اللفظة بإزاء معنى بنفسها »[٧] .

●● **أما الرازي** فقد اعتبر أن اللغة تسبق الوضع في الوجود[٨] .

●● **وأما ابن فارس** ، فيقول بالتوقيف ولكنه يحدده بحدود ، إنه يقول :

« ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد ، وليس الأمر كذا بل وقف الله جل وعز آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه »[٩] .

٢ ـ الطرح المناقض

لا نقصد بالمناقضة هنا المعنى الحرفي لهذا اللفظ ، وذلك كأن يقال لك (أبيض) فتقول (أسود) . إن هذا لا يدخل في مفهوم المناقضة الذي نعني . فالمناقضة الجدلية في الفكر الإسلامي ـ حسب رأينا ـ عبارة عن تسلسل مع سابق وتناسب مع لاحق . وباعتبار أنها طرح ثاني في التسلسل فإنها تدين بوجودها للطرح الأول ، إلا أنها صورة مغايرة له ، وهي إذ تعود إليه من حيث الأصل ، فإنها تختلف عنه من حيث التناسب على اعتبار أنها في مولدها تمثل الانشطار الانفجاري الذي حصل فيه . **وعلى هذا الأساس ، نستطيع أن نقول عن الطرح المناقض : إنه الفكرة بعد انفجارها ، وإنه وليد عن الأول ، ومولِّد لما بعده .**

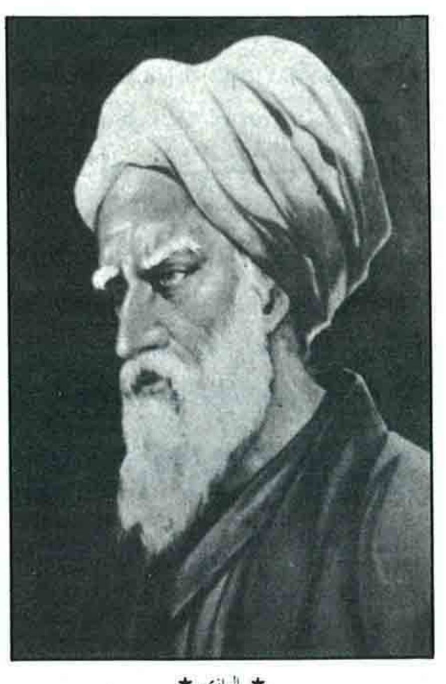
ولقد اتخذت اللغة في الطرح الأول شكلاً عمودياً في أسفله الإنسان وفي أعلاه الله . والعلاقة بينهما هي علاقة الخالق بالمخلوق بتوسط اللغة . وبعد أن اتخذ هذا الطرح صورة ذهنية عند أصحاب النظر الأصولي ، اتجه وجهة أخرى ، أو اتجهوا به وجهة أخرى . هذه الوجهة هي الوجهة الأفقية .

★★ **يقول ابن جني** :

« اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها »[١٠] .



★ الجاحظ ★



★ الرازي ★

★★ **ويقول الفارابي** :

« فلما كانت الخطوط دلالتها على الألفاظ باصطلاح ، كذلك دلالة الألفاظ على المعقولات التي في النفس باصطلاح ووضع وشريعة » .

ويضيف قائلاً في نفس الصفحة ونفس السياق :

« يشرعها لهم مدبر واحد يحملهم عليها » .

والفارابي إذ يقر مبدأ الفرد في التشريع اللغوي ، يقرر أيضاً مبدأ المجموعة النائبة عن الأمة في التشريع فيسميهم : « الجماعة المدبرين »[١١] .

★★ ويرى **إخوان الصفاء** أن هذا الواحد قد يكون رئيسهم ، فيكون التشريع في الألفاظ : « بحسب اجتهاد رئيسهم وما أعمل فيه فكرته »[١٢] .

وأما على صعيد المواضعة بشكل عام ، فإن **سيف الدين الآمدي** يضع لها التعريف التالي : « إن هذه العبارات والتقديرات غير حقيقية ، أي ليست أموراً عقلية بل اصطلاحية مختلفة باختلاف الأعصار والأمم ، ولهذا لو وقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاهم بنقرات وزمرات لقد كان جائزاً »[١٣] .

وهو بهذا ينقلنا من المنهجية اللسانية البحتة التي تضع اللغة ضمن نظام مؤلف من قوانين صوتية ونحوية ودلالية إلى أخرى « **سيمياوية** » أو علامية (sémiologique) ترجع أمر اللغة إلى نظم إشارية دالة .

أما الفارابي فيضعنا أمام مفهوم حديث في اللسانية مفاده أن اللفظ بصورته السمعية لم يأت بمقتضى معنى يحمله في ذاته ، ولكن بمقتضى اصطلاح تم التواضع عليه . إنه يقول :

« إن محاكاة الأمور المتشابهة بعضها بعضاً هي محاكاة بالطبع ، ومحاكاة التركيب في اللفظ للتركيب المشار إليه في المعنى هو بالاصطلاح »[١٤] .

وهذا يعني أيضاً ، أن الفارابي قد أدرك **مفهوم الدال والمدلول والتمييز** بينهما قبل **سوسير** الذي ميز بين (signifiant) و (signifié) .

أخيراً إن مفهوم المواضعة أو السطح الأفقي

للغة (الطرح المناقض) يتسع حتى إنه يشمل كل أنحاء الشبكة اللسانية.

٣ ـ التأليف

كي نعرِّف التأليف لا بد أولا أن ننفي ماليس بتأليف. ولقد تبيَّن لنا من الفقرة السابقة أن الفكر الإسلامي لا يقوم على الشيء ونقيضه في نفس الوقت. وقلنا في بداية هذا المقال إن الجدلية الإسلامية تختلف عمَّا هي عند هيجل، ونقول هنا إنها تختلف عمَّا هي عليه عند ماركس أيضاً. وعلمنا أن الطرح المناقض يأتي تسلسلاً مع ما سبق وتناسباً مع ما سيلحق. ولذا يستحيل علينا تعريف التأليف بأنه الجمع بين المتناقضات. وكذلك لا يمكن تعريف التأليف بأنه عملية ترقيع اعتباطية تتم بين شيئين. فهذا أيضاً ليس بتعريف.

يظهر التأليف في الحقل اللساني عند المفكرين المسلمين على عدة مستويات:

١ ـ بتوسط اللغة بين المعرفة وحقائق الأشياء كما رأينا عند ابن حزم.

٢ ـ وبأنه نقطة ارتكاز يلتقي فيها، عبر الإنسان، مفهوم اللغة الصاعد عمودياً بمفهوم اللغة المنبسط أفقياً كما بيناه في الرسم الذي قدمناه.

٣ ـ والتأليف هو الاصطلاح. فإذا اجتمع عنصران: (آ) و(ب) كالدال والمدلول فبموجب التأليف ننظر في (ب) بحثاً عن أثر (آ) فيها، فإن عثرنا على هذا الأثر فالاصطلاح يكون للتأليف بينهما:

٤ ـ وقد يكون الاصطلاح من أدوات التأليف، فيظهر التأليف في هذه الحالة عند الجمع بين شيئين دون تبديد لإمكانية التمييز بينهما. وقد أشار الفارابي في النقطة السابقة إلى هذا حين تكلم عن محاكاة التركيب في اللفظ



★ الفارابي ★

للتركيب في المعنى، وقال إنه باصطلاح، أي استخدمنا الاصطلاح كأداة للتأليف.

٥ ـ ويظهر التأليف كبديل للعقل في قضية اكتساب اللغة. فإذا كان العقل يعني إمكانية إعمال الفكر للاختيار بين شيئين، فإن اللغة تنفي الفكر لأنها تنفي الاختيار وتنصب على العقل انصباباً. وهنا إلغاء للعقل بإلغاء عمله: فلا خيرة للمولود في لغته، ولا مجال للمتكلم الراشد أن يختار بعقله اللفظ كدال دون اختيار اللفظ كمدلول، ولا أن يفرق بين الجملة والنظام، القواعد الذي تقوم عليه **(صوائت، نحو، دلالة)**، ولا أن يختار النحو في الكلام دون الصوائت والدلالة، ولا الدلالة دون الصوائت والنحو، إلى آخره. وهذا ما تسميه اللسانية اليوم **بقسرية اللغة أو الكلام** (L'arbitraire du language).

وقد تكلم الغزالي عن هذه الظاهرة، فقال:

«لا مجال للعقل في اللغات»[15].

وقال الرازي، معللاً ومفسراً هذه الظاهرة:

«وذلك لأن العقل لا طريق له إلى معرفة اللغات البتة، بل ذلك لا يحصل إلا بالتعليم، فإن حصل التعليم حصل العلم به، وإلا فلا، أما العلم بحقائق الأشياء فالعقل متمكن من تحصيله»[16].

ويقول **أبو البركات الأنباري**:

«ألا ترى أن اللغة لما وضعت وضعاً نقلياً لا عقلياً لم يجز إجراء القياس فيها، واقتصر فيها على ما ورد به النقل»[17].

٦ ـ والتأليف، أخيراً، هو الملكة لأنها توسط بين اللغة ومعرفة قوانينها، وهو بهذا الاعتبار يصبح اللغة نفسها، وعلى هذا الأساس تظهر اللغة في تفكير **ابن خلدون** كملكة موجودة عند الإنسان، وأن المعرفة بقوانينها شيء يتم بالصناعة. إنه يقول: «إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة، ومقاييسها خاصة»[18].

الهوامش

(١) انظر كتاب محمد بن علي محمد الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر.

(٢) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأسئلة الفقهية، ص (١٥٥)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، سنة ١٩٥٩م.

(٣) الحيوان: ج ١، ص ٣٣، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

(٤) نهاية الإقدام في علوم الكلام، ص ٣٢٥، صوبه ألفرد جيوم، بغداد.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٢٩، مصر، مطبعة الإمام.

(٦) رسائل إخوان الصفاء، ج ٣، ص ١٤٩، بيروت، سنة ١٩٥٧م.

(٧) مفتاح العلوم، ص ١٦٩، القاهرة، سنة ١٩٣٧م.

(٨) التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٢، القاهرة، المطبعة البهية، سنة ١٩٣٨م.

(٩) الصاحبي، ص ٦، القاهرة، سنة ١٩١٠م.

(١٠) الخصائص، ج ١، ص ٦٤، بيروت.

(١١) شرح كتاب أرسطاطاليس في العبارة، ص ٢٧، بيروت، سنة ١٩٦٠م.

(١٢) رسائل إخوان الصفاء، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٣) غاية المرام في علم الكلام، ص ١٠٠، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

(١٤) شرح كتاب أرسطاطاليس في العبارة، ص ٥١.

(١٥) المستصفى من علم الأصول، القاهرة، سنة ١٩٣٧م.

(١٦) التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ١٧٦.

(١٧) لمع الأدلة في أصول النحو، ص ٤٨، بيروت.

(١٨) المقدمة، ص ٥٦٠، بيروت.



بقلم: د. نبيه غبرة

نعني باضطراب التكلم وجود عيب في نطق الطفل ، في إخراج الأحرف أو سهولة التكلم أو وضوحه .

ولسهولة البحث نقسم عيوب النطق إلى **عيوب تطورية ، وإلى عيوب تشريحية ، فالعيوب التطورية** هي التي تنجم عن سبب بيئي ، أدى إلى عدم تعلم الطفل التكلم بالشكل الطبيعي ، وهي تضم التأتأة واللثغة .

وأما العيوب التشريحية فيقصد بها العيوب الناجمة عن علة عضوية تشريحية في أجهزة النطق وهي كثيرة .

إن القسم الأول هو الذي يهمنا في بحثنا هذا نظراً لأن سببه بيئي يمكن السيطرة عليه

أو تلافيه بسهولة فيما إذا أدرك الأهل أسباب حدوثه . وأما القسم الثاني فعلاجه يبدأ على الأغلب بيد الجراح لإزالة العلة الجراحية أو تلطيفها على قدر الإمكان . ولنبدأ حديثنا عن القسم الأول :

التأتأة

التأتأة تعني ترديد حرف التاء عند إرادة التكلم من الناحية اللغوية ، ويسمى المصاب بها تأتاء . ولكنها في الاصطلاح الطبي تعني أكثر من ذلك . فهي تعني ترديد أي حرف ، أو اضطراباً في سيولة التكلم بشكل يلفت النظر ، مما يعيق محادثة الآخرين والتفاهم معهم .

ولا يضيق صدر التأتاء بعلته فقط ، بل يضيق صدر مستمعه أيضاً . فالذي يتأتئ يريد أن يعبِّر عن رأيه أو رغبته ، لكن لسانه ينحبس ويتوقف عن النطق ، أو يكرر حرفاً أو مقطعاً أو كلمة أو يأخذ بمد حرف من الحروف مداً طويلاً . وكل ذلك بشكل لا إرادي مما يسبب له الحرج والخجل والارتباك ، مما يجعل محادثته مع الآخرين أمراً غير سهل .

وكثيراً ما تترافق التأتأة باضطراب في التنفس أو بحركات غريبة في اللسان والفك ، أو بتعبيرات شاذة للوجه . وحتى بحركات في الجذع والأطراف .

وهذا كله يجعل التأتاء أقل رغبة في التكلم مع أترابه ، أو أن يلجأ إلى العبارات السهلة فقط ، وأن يتجنب الصعبة منها .

والتأتاء لا يُتأتئ عندما يحدث نفسه منفرداً أو عندما يغني أو عندما يكلِّم الحيوانات . وقد يتأتئ الطفل مع أحد والديه أكثر من الآخر . كما أن انزعاج الطفل واضطرابه لأي سبب كان يجعله أكثر تأتأة .

انتشار التأتأة ونسبة حدوثها

تكثر هذه العلة عند الذكور . وتصادف عند واحد بالمائة من بين تلاميذ المدارس في إنجلترا . وغالباً ما تبدأ العلة قبل السنة الخامسة

اضطرابات الكلام عند الطفل

وقد يتأخر ظهورها حتى الثالثة عشرة من العمر . ولم يجد الخبراء علاقة ما بين التأتأة وكون الطفل أعسراً أو مستعملاً لكلتا يديه ، يدل تفضيله اليمنى .

وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من الأطفال يصل إلى عشرة بالمائة منهم يمرون بدور موقت من التأتأة أو التكلم المضطرب . ولكنهم سرعان ما يتجاوزون هذا الدور ويصبح تكلمهم طبيعياً . أما في دور الحضانة ـ ما دون الثالثة من العمر ـ فقد لوحظ أن نصف الأطفال يتعرضون لشيء من التأتأة لمدة بضعة أيام فقط . وهذا كله يشير إلى أن شيئاً من التأتأة أو نقصاً في سهولة أو سيولة النطق أمر طبيعي لا غرابة فيه . وقد ثبت بشكل قاطع أن هؤلاء الأطفال لا يتعرضون للتأتأة فيما بعد بنسبة أكبر من أترابهم .

أسباب التأتأة

تصيب التأتأة الأطفال من مختلف مستويات الذكاء . فهي ليست دليلاً أبداً على نقص الذكاء . . ولكن وجد أن **الجو العائلي** عند الأطفال المصابين بالتأتأة يتصف بالشدة والصرامة ، وأن الأمهات كثيراً ما يعانين من صعوبات كبيرة في العيش أو الخدمات المنزلية . والعلاقات ما بين الأزواج ومع الأولاد كثيراً ما تكون غير مرضية . وهذا كله يعني أن هناك شيئاً من الشدة النفسية في المنزل ، وأن الطفل أكثر تعرضاً للقلق والتوتر .

التأتأة والوراثة

وقد وجد أن هناك زيادة ملحوظة في الإصابة بهذه العلة بين الأقارب من الدرجة الأولى . والسبب في ذلك على الأرجح هو التقليد وليس الوراثة ، وإن كان البعض يعتقد أن هذه الظاهرة التطورية وراثية . ويبرأ الطفل منها عادة مع كبره إن كان في جو نفسي طبيعي ، ولكنها تستعصي إن كان هناك عوامل بيئية مساعدة ، مثلها في ذلك مثل **سلس البول الليلي** فمن المعتقد أيضاً أن هناك قسماً من الأطفال يتأخرون في القدرة على مسك البول طوال الليل بشكل وراثي ، فإذا كان الوسط العائلي والتربوي جيداً اجتازوا هذه المرحلة بأمان . وأما إن كانت معاملة الأهل غير صحية أو المحيط النفسي مدعاة للقلق والتوتر فإن علة سلس البول ستستعصي أيضاً .

ويقول الخبراء إن **علة التأتأة تحدث بعد تشخيص الأهل لها لا قبله** . أي إنها نتيجة ملاحظة الأهل وقولهم بوجودها واتخاذهم التدابير السيئة حيالها . فهؤلاء الأهل الذين يريدون لطفلهم أن يتكلم بوضوح وسهولة رغم أنه لا يزال صغيراً بعد ، أو أنه غير قادر على ذلك بعد . فهو في حالة طبيعية ، ولكنه يتأتئ قليلاً وبشكل طبيعي كبقية الأطفال في سنه . فهؤلاء الأهل يلجأون إلى طرق غير حكيمة لجعل ابنهم سليم النطق ـ بزعمهم ـ فتصبح العلة العارضة ـ إن صح أن نسميها علة ـ علة ثابتة حقيقية .

وهذه التدابير السيئة التي يلجأ إليها الأهل تشمل الاهتمام الزائد بتكلّم الطفل وبذل الجهد لتصحيحه ، ونصحه بأن يعيد كلامه بشكل واضح ، أو أن يتكلّم ببطء ، أو أن يأخذ تنفساً عميقاً قبل التكلم . كما قد تشمل ما هو أفظع من ذلك ومن استعمال الشدة والقسوة ، أو التوبيخ والاستهزاء من الطرق المجرمة بحق الطفل .

فعلى الأهل أن يعلموا أن تكرار بعض الأحرف أو الكلمات عند الطفل أمر طبيعي ، وخاصة في النصف الثاني من السنة الثالثة حيث يكون الطفل شديد التفتح والنشاط ، ويريد التعبير بسرعة تفوق استطاعته فيتلعثم ، أو يردد بعض الألفاظ ، وعلى الأهل أن لا يسمعوا

لنصيحة قريب أو صديق بوجوب الانتباه إلى ابنهم الذي أخذ يتأتئ وعلينا أن نذكر معهم ما قاله بعضهم :

« إن المعلومات الكثيرة المتجمعة لدينا تشير إلى أن الطفل الذي يتأتئ لا يختلف في الأصل عن الطفل العادي . ولكن موقف الأهل الخاطئ السلبي هو الذي ينتقل أو ينعكس على الطفل فيصبح تأتاءً بالفعل . فبعد أن كان يتكلم بعفوية وطبيعية أصبح يفكر ويمعن النظر في تكلّمه ونطقه مما يجعله مصطنعاً وقسرياً وغير طبيعي بالفعل .

علاج التأتأة

الحالات الخفيفة تزول من نفسها كما قدمنا . ولكن الحالات الشديدة لا بد فيها من استشارة الطبيب الذي قد يكتفي بإرشاد الأهل إن كان الطفل ما دون الرابعة . وإرشاده يشمل محاولة تطمين الأهل وإقناعهم بعدم القلق بشأن علة ابنهم ، بل بعدم إبداء أي اهتمام بتكلمه ، فضلاً عن اللجوء إلى الطرق السيئة التي ذكرناها سابقاً . أما إن استمرت العلة لما بعد الرابعة من العمر فيحسن إحالة الطفل إلى أخصائي بمعالجة التكلم ، وذلك حتى يبرأ من علته قبل دخول المدرسة .

والمعالجة تكون بطريقة « **التكلم المقطعي الموقت** » وذلك بتعليم الطفل أن يتكلم مقطعاً مقطعاً مع التشديد على كل مقطع وبانتظام موقوت زمنياً .

اللثغ

اللثغ هو استبدال حرف بحرف ، وأكثر أنواعه مصادفة هو استبدال السين بالثاء وذلك بوضع اللسان بين حافتي الأسنان الأمامية عند لفظ السين ، عوضاً عن وضعه خلف الأسنان العلوية الأمامية ملاصقاً لمقدمة قبة الحنك مع إطباق الفم . وهي تزول من نفسها غالباً ولكنها قد تستمر وتحتاج إلى مساعدة أخصائي بالتكلم . ويحسن معالجتها قبل دخول الطفل المدرسة .

والحرف الثاني الذي تكثر اللثغة فيه هو الراء فتستبدل باللام أو الغين أو الياء . وهذه اللثغة إن أزمنت استعصى علاجها .

واللثغة علة بيئية تطورية أيضاً . فالطفل العادي إن وجد في جو طبيعي وكان نطق أهله وذويه سليماً لثغ لبرهة أو مدة عابرة فقط . أما إن كان أحد أفراد العائلة أو بعضهم أو كلهم يلثغ فمن البديهي أن يلثغ الطفل وأن يستمر في علته ، وكذلك إن لم يعالج معالجة حكيمة .

ويستحسن البعض إجراء اختبار السمع للألثغ لاحتمال إصابته بضعف سمع الأصوات ذات التواتر العالي كالسين .

الآفات التشريحية والمرضية

هناك آفات كثيرة تؤدي إلى اضطراب النطق أهمها :

● **التشوهات الولادية** التي تصيب قبة الحنك والشفة العليا وهي على درجات متفاوتة وأشكال مختلفة وكلها تؤدي إلى اضطراب النطق . بل إن الأشكال الشديدة قد تعيق التكلم كلياً ، أخفها ما يسمى بشفة الأرنب وأشدها انشقاق الشفة والحنك المضاعف . وحتى بعد إجراء العملية لتشوهات قبة الحنك يظل النطق معيباً على الأغلب .

والتنبتات شبه الغدية أو ما يطلق عليه **العوام الزوائد الأنفية** التي تسد الفوهة الخلفية للمجاري الأنفية تؤدي إلى ما يسمى **بالنطق الأنفي** كما يحدث للمزكوم (المصاب بالرشح أو البرد) أحياناً ، واستبدال حرف الباء بالميم .

ويتحسن النطق بعد أسابيع من إجراء المعالجة الجراحية أي استئصال الناميات .

ولجام اللسان الذي يشد ذروة اللسان إلى الأسفل والخلف عند إرادة تحريكه إلى الأمام . وهذه علة ولادية نادرة الحدوث ولكنها إن وجدت تمنع مقدمة اللسان من الحركة الضرورية للفظ الأحرف اللسانية كالسين والثاء والذال وغيرها ، فلا يستطاع لفظها بشكل جيد وقطع هذا اللجام من الأعمال الجراحية السهلة ، والضرورية لتحسين النطق .

وهناك آفات أخرى كثيرة تشريحية في أجهزة النطق لا مجال لذكرها وهي على العموم نادرة الوقوع .

المؤسسات العلاجية

في ختام مقالنا عن التكلم واضطرابه لا بد لنا أن ننوه إلى ضرورة الاعتناء بإنشاء المؤسسات المتعلقة بالتكلم لا أسوة بالبلاد التي سبقتنا في هذا المضمار بل لأنه واجب شرعي وإنساني ونحن أكثر الناس افتخاراً واعتزازاً باللغة والفصاحة والبيان .

ومن المؤسسات الموجودة في العالم الغربي – على سبيل المثال لا الحصر – والتي يجب إيجاد مثيلاتها : المراكز الاجتماعية للتكلم والسمع – عيادات التكلم والسمع التابعة للجامعات والكليات – المراكز الطبية ومراكز تطور الطفل ومراكز إعادة التأهيل .

كما يوجد الأخصائيون بتعليم التكلم في عيادات الصحة العقلية وعيادات التوجيه النفسي . هذا ومن الواجب إيجاد المعاهد الخاصة بتخريج أخصائي تعليم الكلام نظراً لكثرة الحاجة إليها .

ومن الواضح ارتباط التكلم بالسمع في هذه المؤسسات والمنشآت وذلك لأن السبب الأهم في تأخر التكلم أو عدم القدرة عليه أو اضطرابه هو نقص السمع أو الصمم وإن كان هناك أسباب أخرى كما ذكرنا .

ولقد أصبح بالإمكان في الوقت الحاضر تعليم التكلم للطفل الأصم ، وتعليمه فهم التكلم من مخاطبه أيضاً بقراءة حركة شفاهه وهو ما يسمى بقراءة الشفاه . وهذا موضوع شيق ويحتاج إلى مقالة خاصة من أخصائي السمع والتكلم .

وأخصائي تعليم التكلم هو الذي يتعلم كيفية نطق الأحرف والكلمات ، ويتعلم طرق تعليم الأطفال الصم وغيرهم كيفية النطق ، مستعيناً بوسائل تربوية كثيرة ولا يسمح في بعض البلاد بتعاطي هذه المهنة إلا من قبل حاملي الشهادات المؤهلة ، ففي أميركا مثلاً تمنح الشهادة من الاتحاد الأميركي للتكلم والسمع .

●●

أندوني ساماراكي الكاتب

بقلم: د. نعيم عطية

تجاوزت شهرة الكاتب اليوناني المعاصر أندوني ساماراكي حدود بلاده. وقد ولد بأثينا عام ١٩١٩م، ودرس القانون بجامعتها، واشتغل من عام ١٩٣٥م، موظفاً بوزارة العمل، إلى أن استقال عام ١٩٦٣م، ليعمل في الأمم المتحدة خبيراً في شؤون التهجير والتوطن، وقام بأسفار عديدة خارج بلاده لهذا الغرض. وفي أثناء الاحتلال النازي لبلاده إبان الحرب العالمية الثانية انضم إلى صفوف المقاومة، فألقى القبض عليه في يونيو (حزيران) عام ١٩٤٤م، وحكم عليه بالإعدام لكنه تمكن من الهرب.

وقد صدرت له أربع مجموعات قصصية هي «**مطلوب أمل**» عام ١٩٥٤م، و«**إني أرفض**» عام ١٩٦١م، و«**الغابة**» عام ١٩٦٦م، و«**جواز السفر**» عام ١٩٧٣م. كما صدرت له روايتان هما «**نذير الخطر**» عام ١٩٥٩م، و«**الخطأ**» عام ١٩٦٥م، **وقد حصل الكاتب اليوناني الكبير في بلاده على جائزة الدولة في الرواية، كما حصل على جائزة النقاد في القصة.. وترجمت أعماله الروائية والقصصية إلى لغات أجنبية عديدة. ومنحته ملكة بلجيكا مؤخراً جائزة الأدب الأوروبي.**

الإنسان.. هو الجوهر

والشغل الشاغل **لساماراكي** في أدبه هو «**الإنسان، الإنسان المعاصر، إنسان القرن العشرين، وعلى وجه التحديد الإنسان الذي يحيا في أعقاب حربين عالميتين**، وفي ظل خوف مستمر من حرب ثالثة لا تُبقي على شيء». وليس الإنسان اليوناني عند **ساماراكي** سوى عيّنة من الإنسان المعاصر بوجه عام. وإذا كانت أحداث قصصه تجري في شوارع بعض المدن اليونانية، أو بعض البيوت والمقاهي والأحياء والمكاتب اليونانية، فهذه ليست سوى أجزاء من العالم فحسب، شأنها شأن أي مدن أو شوارع أو مكاتب في أية بقعة من بقاع الدنيا. ولهذا فإن أغلب الأبطال في قصص **ساماراكي** لا أسماء لهم أيضاً، أو بعبارة أدق لا يشار إلى أسمائهم لذاتها. ومن ثم يمكن الإحساس بأنهم أي بشر بغير تحديد، أو بعبارة أوضح كل البشر، **فالمهم عند ساماراكي هو الجوهر الإنساني. وهذا لا يتغير كثيراً بتغير المكان.**

ولا يربط **ساماراكي** قارئه بفرد يسعى جاهداً إلى تجسيم خصائصه البدنية والوجدانية والفكرية، يتقصى من ماضيه وظروف حياته وأثرها بل هو يقدم على الأخص «**الإنسان صاحب الرسالة**»، فيلق الحديث عنه صدى في أعماق البشر جميعاً. ويفرض الإنسان الذي يعبر عن قيمة غير خاصة به، فتجعل هذا الإنسان ـ **ومن ثم الفن الذي يتحدث عن هذا الإنسان** ـ جديراً بالإكبار والإجلال. إنه لا يعرض الإنسان في مباذله، منغمساً في لذاته الحسية، لا يعرضه معانياً من عاهة أو رازحاً تحت نير مرض عصابي يتسلط عليه أب أو أم أو زوجة، **بل هو يتكلم فحسب عن أزمة العصر، عن المستقبل، وما يجب أن يكون عليه، عما يجب أن يتضافر البشر جميعاً من أجل تفاديه، أو على الأقل تفادي تفاقه.**

العـزلـة

والذي يستوقف **ساماراكي** في وضع الإنسان المعاصر، فيعبر عنه في قصصه، هو على الأخص **الشعور بالعزلة والرغبة الحميمة في التواصل**. ويبيّن ذلك في قصتيْ «**النافذة**»، و«**ذات ليلة**»، وتبدأ القصة الأولى ببطلها يحدثنا عن الحقيقة التي استقرت في يقينه وهي أننا «**نحن البشر نحيا في عزلة**»، كل منا وحيد، ملايين الناس في عزلة تامة، كل منا كما لو كان هو الإنسان الوحيد على الأرض «**إنها إنسانية العزلة**» (**اقرأ هذه القصة منشورة بالعدد (٣٠) ذو الحجة عام ١٣٩٩هـ ـ نوفبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م، من هذه المجلة**). وفي القصة الثانية مضى بطلها يفكر «ما من وقت تقاربت أسقف بيوتنا مثلما تقاربت اليوم، ومع ذلك لما من وقت تباعدت فيه قلوبنا مثلما هو حالها اليوم». لم تكن العزلة التي يحس بها حالة ذاتية، بل هي مصير البشر المعاصرين جميعاً. ما من يوم كانت عزلة الإنسان بهذا العمق الذي هي عليه اليوم!

اليوناني المعاصر

الحائز على جائزة الأدب الأوروبي

« لقد صاحت فيه زميلته عاملة الآلة الكاتبة بالمكتب ، وقالت له في ذلك الصباح : أي صنف من الناس أنت ؟ أعرف ما خطبك ، أنت تحب العزلة ! »

ولكنه راح يهتف لنفسه في طريقه إلى بيته ذلك المساء الشتائي المعتم **« كانت مخطئة .. إنه لا يحب العزلة ، بل على العكس من ذلك ، يكرهها ، يكره تلك العزلة ! يود أن يكون بجوار الناس ، لصيقاً بهم ، يحنو عليهم في معاناتهم ، ويؤدي واجبه نحو البشر المعذبين في عصره ، لكن ثمة ما كان يعوقه عن ذلك »** .

رغم كل مظاهر الحياة الاجتماعية التي تحيط بالإنسان المعاصر وتحاصره ، يظل في أعماقه شعور بالعزلة ، وهو شعور ممض ومؤرق ، تقاومه رغبة دفينة بداخله للخروج من هذه [illegible] إلى أن يكسر الحائط الذي يحيط به ، ويحكم الحصار من حوله ، ومن ثم أن يتلاقى بالآخرين ، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم كلها .

وإن التأكيد على هذه الحاجة الإنسانية الملحة هو الذي يرفع **ساماراكي** من مصاف **« الكاتب المحلي »** إلى مصاف **« الكاتب العالمي »** ويجعل أدبه **« صرخة إنسانية »** حقاً . إن قصصه توجه نداء إلى البشر أجمعين بألا يستسلموا للعزلة ، وأن يعملوا على توثيق الروابط الإنسانية بينهم في العالم كله ، حتى لا يستحيل الواحد بالنسبة للآخر مجرد **« إنسان ثلجي »** في ليلة ظلماء مقفرة ، مثلما في قصته **« ذات ليلة »** .

المسؤولية

ماذا يعتقد ساماراكي أن على الإنسان أن يفعل حتى لا يستحيل بالنسبة للآخرين إلى إنسان ثلجي لا يسمع ولا يرى ولا يحس ولا يتحرك ؟

كي نجيب على هذا السؤال يجدر أن نستعرض بعض قصص للكاتب اليوناني الكبير . ولنبدأ بقصة **« الجسد »** ونومئ إلى أنه ليس بالكلمة فحسب بل وبالفعل الإيجابي على الأخص ،



★ جراهام جرين ★

★ أندوني ساماراكي ★

أندوني ساماراكي الكاتب اليوناني المعاصر

مهما كان صغيراً ، يتحقق التواصل بين الإنسان والإنسان . ويمكننا أن نتابع في قصص أخرى **لساماراكي** الكثير من الأعمال الإيجابية التي يأتيها أناس بدافع من الإحساس بالمسؤولية قبل البشرية للقضاء على عزلة الإنسان ، وإحالة حياته إلى شيء أفضل وأقل قتامة وكآبة . في قصة **ساماراكي « الساعة السابعة والربع مساء »** نجد محاضراً يرفض الكذب ، ولا يستطيع المضي فيه وقد استيقظ في أعماقه مبلغ فداحة التزامه قبل الأجيال القادمة بشرف الكلمة . إن **ساماراكي** من خلال هذه القصة يرفض أن يستخدم الفن والأدب لتضليل الناس ، وبالأخص الأجيال الناشئة . إن على الكاتب أو الفنان أن يصرخ إذا وجد نفسه إزاء **« لا أستطيع ! لا أستطيع ! »** ، أما إذا خنق هذا الصوت الداخلي ، ومضى يقول كلاماً منمقاً مزوقاً ، فهذا الذي يكتبه أو يقوله لن يكون **« أدباً »** يجب على الكاتب إذن أن يعصم نفسه من إحالة **« الكلمة »** إلى عملية بارعة من التزييف والخنوع والجبن ، ولو حرم بذلك من تصفيق المعجبين . وفي قصة **« شارع البوستة »** يعالج **ساماراكي** من خلال موقف شجني ومثير قضية الوعود الكبيرة الخلابة التي وعد بها بعض الساسة والحكام شعوبهم فحاربوا في ضوء بريقها معارك الحرب العالمية الثانية ، ثم تبين بعد ذلك أن هذه الوعود قد ذهبت بدداً ، وعاد العالم إلى ما كان عليه من قبل ، عالماً ينهشه القلق وينقصه الأمن والعدالة ولقمة العيش . وفي قصة **« الاختراع »** يتراجع مدرس الكيمياء الفقير الذي أمضى حياته كلها في زهد وتقشف من أجل التوصل إلى اختراع سيعوضه عن كل الحرمان الذي عاناه ، وذلك بما سيجلبه عليه من مجد وذيوع صيت وثراء ، لكنه يفضل في اللحظة الأخيرة أن يمزق أوراق اختراعه حتى لا يطلع عليها أحد ، عندما يتبين أن اختراعه هذا وإن كان قد استهدف منه خير الإنسانية وراحتها قد يساء استخدامه ، ويموت بسببه آلاف الأطفال الأبرياء . **من يضمن له أن اختراعه لن يستخدم كواحد من أسلحة الحرب الجديدة لجلب الموت؟** وفد إليه أصوات الأطفال في الحديقة . **« الأطفال لا ذنب لهم . ليسوا مسؤولين عن عالمنا ، عن هذا العالم الحافل بالمتناقضات »** . هل من الممكن أن يضحي اختراعه أداة للهلاك ؟ **يصيح « إن اختراعي بريء . من أجل مزيد من الرفاهية للبشر شقيت وعانيت ، فهل أصبح على العكس من ذلك بفضل اختراعي هذا سبباً لمزيد من الفناء للبشر ؟ »** أصوات الأولاد تزيد من العاصفة في قلبه . نهض من مقعده بالحديقة ، خطا بضع خطوات ، وضع يده في جيبه الأيسر أخرج الورقة وقرأ . **« تركيبة كيماوية لسلق البيض في سبع عشرة ثانية »** قال : **« أهذا ما توصلت إليه ؟ إني خائف »** خطا خطوتين أخريين ، انزلقت الورقة من بين يديه . طوحها الهواء مع بعض من أوراق الشجر اليابسة . ودفع بها إلى ممشى على اليمين . اختفت من أمام عينيه . جرى في الممشى . رأى الورقة على بعد أربعة أمتار . كان ثمة بركة يلعب الأولاد من حولها . نظر إلى ساعته ، إنها السابعة وثلاثة وعشرون دقيقة . نظر إلى الورقة على بعد أربعة أمتار . بإمكانه أن يلحق بها ويكون بقاعة المحاضرات بلا أدنى تأخير . قال : **« إني خائف »** يلعب الأولاد حول البركة الصغيرة . ألق البعض إلى الماء مراكب من الورق ، ومضوا يتابعونها بزهو وهي تمخر العباب . نظر إلى ساعته . إنها السابعة وسبعة وعشرون دقيقة . نظر إلى الورقة . إنها على بعد أربعة أمتار . لا زال بإمكانه أن يستردها . ويطويها في جيبه ، ثم يكون بقاعة المحاضرات حيث ينتظره التكريم ، وما أشد ما يتوق إليه قلب محروم مثله . الأولاد يغنون . هبَّة جديدة من الهواء دفعت الورقة نحو الأولاد . إنها ليست الآن مجرد ورقة بها تخطيط لفكرة علمية ، هي غول يهجم على الأولاد . إنها الموت ينقض على الأولاد الذين يلعبون تلك الساعة في كل ركن من أركان الأرض . جرى والتقط الورقة . أخذها وطواها عدة طيات . صنع منها قارباً صغيراً ، ودفع به إلى مياه البركة الصغيرة .

هذه القصة البديعة ، إدانة للاتجاه المتزايد نحو اختراع أسلحة الدمار الرهيبة . معادلات رياضية مركزة ، أو تركيبات كيميائية يتفتق عنها أذهان علماء ، تودي بالإنسانية جمعاء ، وفي ثوان قصار . وهؤلاء العلماء هم في المقام الأول بشر ، فهل فكروا في الأولاد الآمنين الذين يلعبون ويغنون ويضحكون في أرجاء الحدائق ؟ إن **ساماراكي** في قصته هذه يحاول أن يوقظ ضمائر العلماء ، ويرجوهم أن يقدروا كم هي ثقيلة وباهظة المسؤولية الملقاة على عاتقهم إزاء مستقبل البشرية . وهو يمضي في قصته **« إني أرفض »** فيعلن اقتناعه العميق



★ جورج سيمنون ★

بالتضامن الإنساني ، وهذا التضامن الإنساني هو الذي يجعل لهذه الحياة الكئيبة معنى ، ويجعلها مستأهلة أن تعاش . عليك أن تقاوم هذا العالم الحافل بالتناقضات والغرابة . ولكن في الوقت ذاته عليك أن ترفض الموت ، أن ترفض الذل والمسكنة ، أن ترفض التنصل من مسؤوليتك عن الدمامة وتواجهها بالهرب وبعبارة موجزة يدعوك **ساماراكي** إلى أن ترفض التنكر للحياة . عليك أن تصمد وتكافح من أجل أن تصبح هذه الحياة في النهاية أقل قتامة وكابوسية وعبثية وخنقاً للأنفاس ، ولن يتأتى ذلك إلا استناداً إلى شعور عميق بالأخوة بين البشر . وسيظل **« الأمل »** كما في قصة **« محطة على الحدود »** هو الورقة الأخيرة الرابحة في يد الإنسان ، فإذا فقدها فقد كل شيء . **(اقرأ قصة « محطة على الحدود » بالعدد (٤٣) محرم ١٤٠١ هـ ، نوفمبر ـ ديسمبر (تشرين الثاني ـ كانون الأول) عام ١٩٨٠ م ، من هذه المجلة)** .

الأخـــوة

ولا يتجلى إيمان **ساماراكي** بالأخوة بين البشر قدر ما يتجلى في قصته **« الأم »** لقد أبلغت الأم بأن وحيدها **« ياني »** كان من العمال الذين انهار عليهم المنجم ظهر اليوم . هرعت إلى هناك . ما كان بإمكانها أن تقضي الليل بغير وحيدها **« ياني »** . كل أملها الآن ، الأمل الوحيد الذي بقي لها ، أن تجده هناك في المشرحة ، قالوا لها : **« ابنك قطعاً ليس من بين الأحياء . إنه من بين الآخرين ، اذهبي وابحثي ، ربما كان واحداً من الأربعة الذين بالمشرحة . نقلوا إليها على عجل . ولم نجد الوقت لتدوينهم في الكشف »** . كانت في الحجرة مناضد كثيرة ، مناضد عالية ضيقة مستطيلة . شغلت أربع منها بجثث ضحايا المنجم . كانت الغرفة كئيبة ، والضوء أصفر ، أصفر كاب . **تقدمت من الجثث . بمن تبدأ ؟** توقفت كما لو كانت ستجري قرعة . وفي النهاية ، مضت إلى ذلك اللصيق بالحائط . كلا ، لم يكن ابنها . . ولم يكن الثاني ابنها أيضاً . . كاد الثالث أن يكون هو **ياني** ابنها . وجهه مشوه . لم يكن بالإمكان أن تقول نعم ولم يكن بالإمكان أيضاً أن تقول لا . أما عن الرابع ، فلم تكن بحاجة أن تتفحصه طويلاً . كان الجميع يرتدون ذات الصنف من الأحذية ذات الرقبة . . . كم من الوقت ظلت وحيدة في الحجرة مع الأربعة ، لم تكن تستطيع أن تعرف . نصف ساعة ؟ ساعة ؟ صعدت إلى منضدة الثالث . . نضبت دموعها . لم تعد في مآقيها دموع . وبقيت وجوههم مكشوفة . . وكلما مضى الوقت ومن حولها الأربعة ، زاد إحساسها بقربها منهم . لم يكن أحد يقربهم . لم تكن أمهم بالقرب منهم . **ألم تكن هي بقربهم ؟** عندما فتحت عينيها ـ فقد كانت قد راحت في إغفاءة على المنضدة ـ رأتهم . نزلت من على المنضدة . قال أحدهم **« نحن صحفيون »** وسأل آخر **« وأنت من تكونين ؟ »** ، **« أنا ، أمهم »** ، **« الأربعة ؟ »** ، **« كلهم أبنائي »** .

ماذا يؤكد ساماراكي ؟ إنه يؤكد أخوة البشر جميعاً . ويحاول أن يكرس فنه للتعبير عن الحاجة الإنسانية الملحة إلى الالتقاء والتواصل ، ويدعو إلى وحدة حقيقية بين البشر . ومن ناحية ، يدين **ساماراكي** أعمال الفرقة بين الناس ، ويعتبرها ـ كما في قصة **« النهر »** ـ أعمالا عبثية لا مبرر لها . . **في هذه القصة نجد** توقاً مشروعاً إلى حاجة طبيعية تودي بصاحبها رصاصة جائرة . وتستحيل الحياة إلى كابوس ثقيل بالنسبة إلى عجز الكثرة الغالبة عن معرفة ماذا يحدث من حولها ، فتبدو الأمور غير مفهومة إلى حد الغيظ والإحباط كما في قصته **« الحائط »** . إن هذا العالم ، كما في قصة **« شارع الأستاذ »** عالم مجنون مجنون . يصاب أهل المدينة بالدهشة لمجرد أن انطلق حصان يجري في شارع الأستاذ ، كيف يحدث هذا في المدينة التي تحكمها قوانين المنطق الصارمة ؟ لا بد أن شيئاً جللاً يحدث ، فليُطلب على الفور بوليس النجدة ! كلا ! كلا ! لا محل لأن يوجد حصان في مثل هذا الشارع المزدحم ، الذي تغمره أضواء اللافتات وواجهات المحال ، ومنطق التجار وسماسرة البورصة . وصفحات الجرائد التي تخبر عن ملايين ماتوا من الجوع العام المنصرم ، وتأجج نار الحروب في الشرق الأقصى . كما يدين **ساماراكي** من ناحية أخرى أفعال القهر والإذلال ، ويعتبرها ـ كما في قصة **« الحرية الأخيرة »** ـ عمليات إجداب للحياة الإنسانية . عندما يشدد المجتمع قبضته على الفرد ، ويضيق الخناق عليه ، فإن الفرد يجد ملاذه الأوحد في داخله . وعن هذا الداخل تتكلم هذه القصة التي تشبه في مذاقها بعض قصص الإنجليزي **جورج أورويل** ، فإن الضغط المتناهي على خصوصية الفرد يضطره إلى

أندوني ساماراكي الكاتب اليوناني المعاصر

أن يلبس قناعاً يواجه به الآخرين الذين يرتدون ذات القناع أيضاً ، ويضطره إلى أن يتنكر لعالمه الداخلي ، وينطقه كلمات جوفاء تشيد بالحياة الخارجية التي تكتسي لهذا السبب بمسحة من الآلية ، ولكن لا يلبث الداخل أن ينفجر ، فإن الرياء لا يقوى دوماً على إسكات الضمير إذا استيقظ .

الأمل

ويكتب **ساماراكي** بأسلوب يتوخى وضوح الفكرة ، وبساطة التعبير ، ويتحاشى كل ما هو غير جوهري وغير صادق . ويعد بذلك واحداً من ألمع الكتّاب المعاصرين ، له مذاقه الخاص وصوته المتميز ، **ولعله من أجدر الكتّاب الأوروبيين المعاصرين بأن يحظى بصداقة القارئ العربي** . وهو قصاص لا ترضيه أوضاع الحياة الإنسانية في عصره ، ويكرس فنه من أجل الارتقاء بالإنسان إلى مستوى أفضل ، يتحقق له فيه ما حارب الملايين وبذلوا حياتهم من أجله : **العدالة ، الحرية ، الأمن** . إن البطل في قصة **ساماراكي** بعنوان : **« الغابة »** إنسان خائف ، يجري هارباً لمجرد أنه عاطل جائع ، يؤرقه ذلك الإحساس بأنه متهم ، متهم بجريمة لا يعرفها ، ولكنه مدان وخارج عن القانون . **البطالة ، والجوع ، والضياع** ، كل هذا جعله يحس بذلك الخوف الوحشي العميق . لم يعد الآن إنساناً ، بل كان حيواناً ، حيواناً مذعوراً .

يقول **ساماراكي في قصصه** : إن ما من شيء تغير في حياة البشر نحو الأفضل منذ الحرب العالمية . كل الأشياء على ما كانت عليه من قبل . هذا ما فكر فيه أيضاً بطل قصته **« مطلوب أمل »** وهو جالس يقرأ جريدته المسائية في أحد المقاهي . . ماذا نجد في هذه القصة ؟ **البناء سهل التركيب** ، وفي المضمون ؟ **التمسك بالأمل** . في خضم هذا العالم الذي يمضي فيه الشر والتفاهة والإحباط جنباً إلى جنب ، لا أقل من أن تتطور النظرة إلى **« الأمل »** ويصبح خاضعاً بدوره لقانون السوق ، لقانون **« العرض والطلب »** ، ومن ليس لديه أمل ، ربما وجده ــ بكل بساطة ــ إذا نشر إعلاناً في باب الإعلانات المبوبة ، إلى جوار الإعلانات اليومية بطلب السيارات والشقق والثلاجات والآلات الكاتبة . فهل يجد **« طلب الأمل »** أو بعبارة أدق **« نداء الأمل »** وفاء له من خلال « الإعلانات المبوبة » ؟

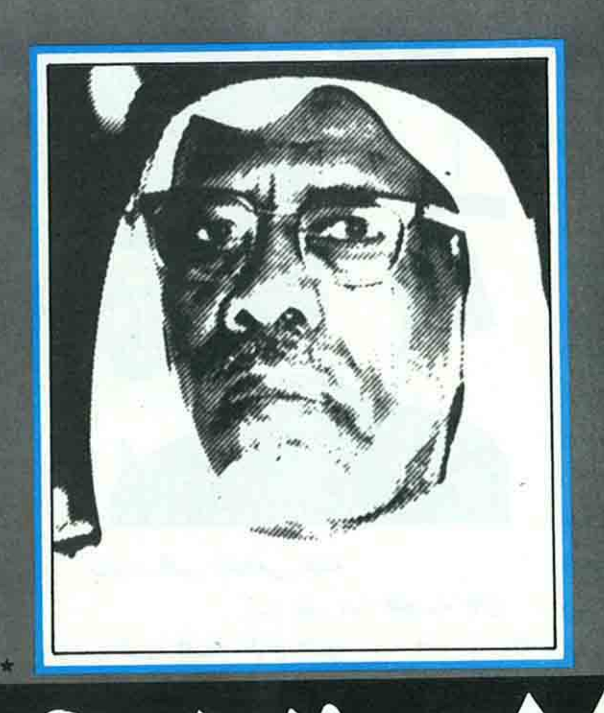
وإذا كان المجتمع الاستهلاكي يحقق اليوم لكل رغبة إشباعاً ، أفلا يجدر أن يضع موضع الاعتبار أيضاً أن يشبع تلك الحاجة الإنسانية الحادة ، **ألا وهي الحاجة إلى الأمل ؟ الأمل في سلام دائم قائم على عدالة اجتماعية وطيدة الأركان ؟**

والواقع أن **أندوني ساماراكي** من أولئك الكتّاب الذين ينظرون إلى عصرهم من منظار صحيح ، ولهذا فهو متيّم بالإنسان ، ويعرض قضاياه المصيرية في وضعه الحاضر ، داعياً في المقام الأول إلى إعادة الثقة المفتقدة بين البشر . وقد كرس الأديب اليوناني الكبير فنه لإدانة كل ما ينتقص من إنسانية الإنسان ، ويستخدم في هذا السبيل أسلوباً روائياً يتصف بالوضوح وسرعة التوصيل .

الخطأ

وفي ثوب رواية بوليسية متقنة قدم لنا ساماراكي روايته **« الخطأ »** . ولكن **« الخطأ »** لا تقف عند حد أن تكون رواية بوليسية ، بل يكتشف القارئ أنه أمام عمل إنساني يتعدى مجرد البراعة البوليسية إلى قيم إنسانية عليا تشعل الرواية بخشونتها وضراوتها ناراً متأججة ، لا تلبث أن يمتد لهيبها إلى قلب القارئ فيؤرقه ويدفعه إلى أن يتخلى عن كل ما يمكن أن يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان . وتحكي الرواية أحداث يومين في حياة فرد عادي اشتبه البوليس في أمره فألقى القبض عليه رجال السلطة ، وراحوا يحاولون انتزاع اعترافه أو حتى إدانته من واقع أفعاله وسلوكه . وبعد أن تمضي أحداث الرواية في هذا الاتجاه يحدث ما يغير مجراها . ثمة **« خطأ »** اكتشف . هذا الخطأ ينحصر أساساً في عدم فهم حقيقة النفس الإنسانية . .

ففي أعماق الإنسان قوة دفينة لمقاومة كل ما يهدف إلى تحويل الإنسان إلى آلة ، وأن الوحدة بين البشر في لحظة المحنة يمكن أن تفوق كل توقع . وقد كتب الروائي الكبير **جراهام جرين** عن رواية **ساماراكي** يقول : **« إنها تحفة أدبية حقاً . كتبت بقلم متوقد وصنعة فريدة »** . وقال عنها **جورج سيمينون** : **« عمل رائع ، آخذ بالألباب ، مؤثر بعمق ، نابع عن موهبة أدبية فذة »** . وكتب الناقد الألماني **ماكس تاو** يقول : **« إنني أعترف بساماراكي ، وأعرف أنه بأدبه يستطيع أن يعطي العالم الأمل الكبير في أن يحيا الناس وقد سادهم الود والتفاهم »** .



★ محمد سرور الصبان ★

من الأدباء السعوديين

الصبان .. ريادة فكرية

يحتل معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله منزلة عالية في الأدب السعودي المعاصر وفي الفكر العربي الحديث، كان رجل دولة من الطراز الأول، وشخصية اقتصادية عالية ذات خبرة ومراس فريدين، رفيع المنزلة بين الاقتصاديين، ورجل خير وكرم ونبل يصنع المعروف ويعمل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان رجل اجتماع بكل معنى الكلمة، داره كانت مجمعاً للأدباء والشعراء والكتّاب ورجال الفكر والصحافة يدور فيها النقاش حول مشكلات الأدب والشعر والنقد، وتجرى فيها أعذب الأحاديث وألطف الروايات وأبدع المأثورات.

●●●

سيرة حياة

ولد الشيخ محمد سرور الصبان عام ١٣١٦ هـ، الموافق عام ١٨٩٨ م، في **مدينة القنفذة**، وقد حدثني بذلك شخصياً في داره التي سماها **(دار السرور) بأم الدرج بمكة المكرّمة**. وبعد أربع سنوات من ميلاده انتقلت أسرته إلى **مدينة جدة**، وكان والده تاجراً، وفيها تلقى علومه الأدبية والدينية، ولما نشبت **الحرب العثمانية الإيطالية** تحولت أسرته إلى **مكة المكرّمة**، والتحق فيها **بمدرسة الخياط**، ثم انصرف إلى الأعمال الحرة. وفي عام ١٣٣٦ هـ، التحق بوظيفة في **إدارة بلدية مكة**، ثم رقي إلى **وظيفة محاسب فرئيس**

بقلم: عبد الله بن سعد الرويشد

قلم، ولما شكلت البلدية في مكة عام ١٣٤٣ هـ، عين الشيخ محمد سرور الصبان في نفس الوظيفة، ثم **انتخب عضواً فسكرتيراً للمجلس الأهلي، ثم عين معاوناً لأمين العاصمة المقدسة**، وبعد مدة استقال من هذا العمل فعاد إلى الأعمال الاقتصادية الحرة منذ عام ١٣٤٩ هـ، حتى عام ١٣٥٢ هـ، **ثم اختير رئيساً لقلم التحريرات بوزارة المالية، ثم مديراً لإدارتها، ثم مستشاراً عاماً لها، وظل في هذا المنصب حتى عيّنه جلالة الملك سعود** رحمه الله وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني بترشيح



★ من اليمين فضيلة الشيخ كمال الدين التارزي رئيس الشؤون الدينية برئاسة الجمهورية التونسية وكاتب المقال يسلم على فخامة رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة وإلى اليسار معالي الشيخ محمد سرور الصبان، رحمه الله ★

من الشيخ عبد الله السليمان الحمدان وزير المالية في عهد الملك عبد العزيز رحمهما الله .

وقد تولى معاليه منصب **الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي** ، وظل في هذا المكان الرفيع إلى أن توفاه الله إلى رحمته في أواخر عام ١٣٩١ هـ ، الموافق عام ١٩٧٢ م .

مساهماته الفكرية والاجتماعية

وللأديب الشيخ الصبان شعر قوي ونثر بليغ وكتابات كثيرة وهو بحق من رواد النهضة الأدبية الحديثة وأعلامها في المملكة العربية السعودية . **فهو أديب متمكن ، وشاعر فحل ، وكاتب ممتاز ، وأول من بذر بذور الكتابة الفنية في الأدب السعودي ، وأحد مؤسسي الحركة الفكرية فيها ، وقد رأس العديد من الجمعيات الخيرية والثقافية في المملكة ومن بينها جمعية الإسعاف ، وشركة الطبع والنشر ، وجمعية قرش فلسطين ، وشركة مصحف مكة .. وغيرها . وقد أسهم في نشر الكثير من الإنتاج الأدبي الحديث ، وفي نشر الكثير من روائع كتب التراث ،** وغاية الصبان أن يكون لبلاده أدب يساير الحركات الأدبية في البلاد العربية . وللصبان شعر بليغ يفيض جمالا وسحراً وحكمة وبلاغة ورقة وطلاقة وله نثر جميل مؤثر أخاذ .

عاطفة نفس

واليك أيها القارئ الكريم بعضاً من شعره من قصيدته (**عاطفة نفس**) حيث يقول منها :

جل الأسى وتتابعت زفراتي
ودنا المشيب فقلت حان مماتي
فكرت ألتمس الخلاص بحيلة
أين المفر من القضاء الآتي
يا أيها القدر المواتي إنني
بادي الضنا هلا ترى نظراتي
أمنن عليَّ بساعة أقضي بها
حق البلاد وخذ ربيع حياتي
إن كان في الأجل المقدر فسحة
أولا فإنك نافذ السطعنات
ما لي إليك وسيلة أرجو بها
نيل المرام فجدت بالعبرات
ويحي أيعترض القنوط عزيمتي
والحزم من طبعي ومن عاداتي
والدهر طوعي والزمان مصادقي
والصبر درعي والثبات قناتي
فلقد أكر على الخطوب فتنثني
جزعاً أمام مهندي وشباتي
وتمر بي شتى الحوادث خشَّعاً
ويصيبها خور حيال ثباتي
وإذا همت كفي لطالب فيضها
غمرته بالإنعام والحسنات
إن البلاد بأهلها فبجهلهم
تشقى وتلقى أعظم النكبات
وإذا توحدت الجهود لخيرها
سعدت ونالت أرفع الدرجات

رأي النقاد

وإنك لتجد في هذين البيتين الحكمة والتجربة وبعد النظر . فقد كان معالي الشيخ محمد سرور الصبان مالئ الدنيا وشاغل الناس ، كتب عنه الأدباء والدارسون كثيراً ، ووصفوه وتحدثوا عن منزلته في مجتمعه وفي الأدب طويلاً . كتب عنه صاحب كتاب المرصاد **الشاعر السعودي الأستاذ إبراهيم هاشم الفلالي** رحمه الله يقول : « شخصية فذة متعددة النواحي قوية المواهب ، فهو مع الأدباء من الرعيل الأول الذين مهدوا طريق الأدب ، وعبدوه للسالكين في هذه البلاد . بل هو أقوى شخصية في هذا الميدان . وأي ميدان لم تر فيه معالي الشيخ محمد سرور الصبان قوياً ويكفي أن نقول إنه عماد الأدب وكهف الأدباء لا في بلاده وحدها ولكن في البلاد العربية جمعاء » .

وكتب عنه صاحب مجلة (المنهل) **الأستاذ عبد القدوس الأنصاري** رحمه الله **في عدد (المنهل) الممتاز الصادر عام ١٣٦٥ هـ ،** يقول : « أديب قبل كل شيء ، يأنس إلى الديوان الشعري والكتاب التاريخي والمؤلف القديم والحديث . ولا بد له بعد ذلك من قرض شيء من الشعر ، الذي تلهج به الطبيعة الشاعرة الحساسة ، ولا بد مع ذلك من معالجة الكتابة الأدبية في شتى الموضوعات » .

وقد ترجم له صاحب كتاب (**عند مشرق العروبة**) الأستاذ الصحفي المصري **محمد السوادي** ، فقال : « أبوه تاجر عاد ونشأ فتى عادياً من أبوين صالحين ، وكان رائداً للرعيل الذي أيقظ الجيل وهز مشاعره ، وكان الفتى أديب سعودي أول من دعا في كتاباته إلى وحدة العرب ، كان يواصل الدراسة والقراءة والاتصال بالناس والاجتماع بالرعيل الأول » . ويعد الكاتب من هذا الرعيل وهم : الشاعر **العواد** ، والشاعر **أحمد إبراهيم الغزاوي** ، والأديب **محمد سعيد العامودي** ، والشاعر **عمر عرب** ، والشاعر **عبد الوهاب آشي** وسواهم .

وقال عنه الدكتور طه حسين في المقدمة التي كتبها لكتاب (**رجل وعمل**) من تأليف الأديب الصحفي المعروف الأستاذ **عبد الله عريف** رحمهم الله جميعاً : « رجل قديم بعيد الصوت ينزل من مواطنيه ومن كثير من العرب منزلة المحب المكرّم » .

وقال عبد الله عريف في الكتاب : « إن تاريخ حياته الفكرية جاء مع تاريخ الصحوة الذهنية التي جاءت في حياة الحجاز » .

وقال عنه **الدكتور أحمد زكي أبوشادي :** « إنه زعيم الحركة الأدبية في الجزيرة العربية منذ نشأتها ، ومن أصحاب الرعيل الأول الذين أسهموا



★ من اليمين معالي رئيس وزراء تونس في ذلك الوقت عام ١٣٨٨ هـ، الباهي الادغم، ومعالي الشيخ محمد سرور الصبان، وسماحة الشيخ الفاضل بن عاشور مفتي تونس، رحمهما الله، كما يبدو كاتب المقال الأخ الرويشد ★

في بناء صرح الأدب السعودي، وهو شاعر وجداني، وكاتب اجتماعي من الكتاب المبرزين».

أعماله الأدبية

وله مؤلفان قيمان (**أدب الحجاز**) وكتاب (**المعرض**) يبحث في شؤون اللغة العربية، **والمميزات التي بوأت الصبان المكانة في مجتمعه وأمته هي**:

● **أولها**: أنه رجل وطني قولا وعملاً، كما أنه رجل حاد الذكاء، دائم الاطلاع، واسع التجربة.

● **وثانيها**: أنه رجل مفكر، وعبقري، ومن ثم كان له رأيه المسموع.

● **وثالثها**: أنه مثال إنساني يترفع عن الأنانية. وإنسانيته المتجلية في شعره تلمحها مثلاً في قصيدته (**يا ليل**) التي يقول فيها:

يا ليل إن بسم الخلي
وساد لهواً ولعبا
فبجنبه يبكي الشجي
وربما لم يأت ذنبا
هذا ينعم باله
وأخوه يصلى النار غصبا

وروحه الإيشارية الأدبية تلمحها في شغفه بتشجيع الأدباء والشعراء في بلاده ومجتمعه.

● **ورابعها**: أنه رجل عصري بكل معنى الكلمة مع محافظته على التراث والماضي العريق والدين القويم والخلق الكريم والنبل العظم والكرم الحاتمي.

إلى أبناء الغد

وخير ما أختم به هذه الترجمة لشاعرنا الصبان هذه القصيدة الرائعة الجميلة المعبِّرة وهي بعنوان (**إلى أبناء الغد**):

أيها الأبناء سمعاً إنني
سوف أتلو لكم ذكرى السنين
كان لي مال وجاه وندى
وسماح فوق وصف الواصفين
أجمع المال لكي أنفقه
في مواساة العباد البائسين
فكأني حاتم في قومه
أصرف الأموال في وجه قمين
يلهج الناس بشكري دائماً
ويعيشون بفعلي آمنين
غير أن الدهر عاداني ولم
أدر ماذا يبتغي مني الخؤون
ورماني بصروف قوّضت
وأمادت ذلك الركن الركين
أخذت مالي وهدّت قوتي
وحنت ظهري تباريح السنين
ثم لمّا علم القوم بما
كان من أمري تولوا معرضين
وانبرى البعض فأضحى قائلاً
إنما هذا جزاء المسرفين

لا يبالون إذا ما أنفقوا
أجزافاً أم لمدح المادحين
أم تراث ورثوه فجأة
أم كنوز ويح من لا يستبين
ليس همي في الذي قالوا فما
أبعد الشك على أهل اليقين
إنما قد ساءني أنهم
أسقطوني من عداد العاملين
ورموني بظنون تركت
بفؤادي غصة الحزن الكمين
كل ذا اليوم لأني معسر
بعد أن كنت زعيم الموسرين
نفذ الهمُّ إلى قلبي وقد
كان لي درع من المال حصين
وبياض الشيب رشَّ لمتي
بأكاليل من الماس الثمين
بعد ما عاركت دهري زمناً
نلت في أثنائه الفوز المبين
خلسة الدهر تولت ومضت
ولذكراها همى الدمع السخين
يا بني أصبر ولا تيأس إذا
مسّك الهم وجافاك الخدين
إن في الصبر سلاحاً واقياً
من شرور الناس والداء الدفين
في زمان أصبح المال به
سلم الخزي لبعض الفاسقين
وغدا الدنيا طوعاً للأولى
بددوه في تعاطي ما يشين
حكمة المولى فلا منع لما
قد قضاه الله رب العالمين
فانهج الحق ودع طيش الصبا
واتبع خطو الجدود الأولين
واسكب الدمع على عهد مضى
إن في الدمع عزاء للحزين

وقد عرفت معاليه رحمه الله عن قرب منذ ثلاثين عاماً معرفة تامة أعتز بها، فقد كنت عضواً في وفد رابطة العالم الإسلامي المتوجه إلى تونس والمغرب، والذي كان يرأسه معاليه إبان كان أميناً عاماً للرابطة، وكانت رحلتنا هذه في صيف عام ١٣٨٨ هـ، وقد قابل الوفد جلالة **الملك الحسن الثاني في الرباط**، وفخامة **الرئيس الحبيب بورقيبة في (عين دراهم)** شمال تونس قرب الحدود الجزائرية، وهي مصيف جميل تبعد عن العاصمة ثلاثمائة وخمسين كيلاً، وقد أصدرت كتاباً منذ عدة أعوام عن رحلتنا إلى تونس هذه وهو بعنوان (**أيام في تونس**). وقد سعدت بمطارحات ومناقشات أدبية وفكرية وثقافية وعلمية ودينية وتاريخية مع معاليه أثناء إقامتنا في فندق هيلتون في الرباط، وهيلتون بتونس العاصمة. والله من وراء القصد.



★ زهير بن أبي سلمى ★

الأدبُ الجَاهلي .. وسِماته

بقلم: عثمان الصالح

الأدب الجاهليُ أدب عريق ما زال ولن يزال له قيمته ونصُوصه ومكانته في آدابنا .. ولم يندثر مهما حاول من حاول فصله عن أدبنا الحاضر .. ومكارم الأخلاق فيه أقرها الإسلام وحبذها . فالإسلام .. وقد شرف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لم ينزل إلا على رجل عظيم من أمة عظيمة ، هي العرب .. ففيها مكارم الأخلاق .. وفيها الخلال الكريمة .. والخصال السليمة .. وفيها العفة والعزة والحفاظ على الشرف .. أقر الإسلام ما فيها من صفات فاضلة .. ونفى ما فيها من أعمال ذميمة .. منها الأصنام ووأد البَنات وأمور أخرى محاها ونزل فيها القرآن بلغتها وتعابيرها .. ولهجاتها ، وبقي القرآن هدى للناس ومناراً .. وبقيت لغة العرب الفصحى للآداب ثوباً وشعاراً .

وانتشرت الدعوة في المشرقين والمغربين ، وانتشرت اللغة حية لم يعتورها نقص ، حفظت التاريخ ، وصورت العبر ولم تندثر .. والأدب الجاهلي حيٌ ينبض بالمعنى السامي والحكمة البالغة والخلق الناصع والشرف الباقي بنطقة **النابغة وامرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى ولبيد وحاتم الطائي وعنترة** .. وهل كخلق زاك وعفاف واف وتعبير صاف مثل قول عنترة :

واغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها
إنّي امرؤ سمح الخليقة ماجد
لا أتبع النفس اللّجوج هواها

فغضُ الطرف عن الجارة ، وصيانة الشرف والعفاف أمر بها الإسلام ولهذا أقرها في أمتنا الإسلامية .

وغير ما قاله عنترة .. قاله « حاتم » وغيرهما مما عبر عنه التاريخ ونقله الأدب العربي ..

فالأدب العربي الحاضر امتداد لذلك التاريخ العاطر ، ومن أراد فصله عنه أو العدول عنه أو تناسيه فكأنما بتر جسماً من رأسه أو كفاً من ذراعها .. ولو أن امرأ القيس والنابغة وعنترة بُعثوا في عصرنا لما احتاجوا إلى مترجم يتولى المخاطبة .. لكن **شكسبير** وأدباء عصره لو بُعثوا اليوم لما وجدوا من يتولى التفاهم معهم إلا قلة ربما يتمنى شكسبير أن يعود إلى قبره لأن لغته مندثرة .. ولودّ امرؤ القيس وصاحباه أن يبقوا إذا رأوا لغتهم سليمة وتعابيرها مطبقة وأدبهم محفوظاً ومفهوماً .

وإنني لاعتقد أن غفلتنا عن أدبنا الجاهلي غفلة نُحاسب عليها .. وإعراضنا أو تغافلنا عن فقه اللغة خطأ ارتكبناه .. إنني الآن سأنقل إليك أيها القارئ قطعة أدبية جاهلية قائلها عاصر **حاتم الطائيّ ، والنابغة الذبياني ، والنعمان بن المنذر** ، وقد طعن في السن فيما يبدو وكان شريفاً في قومه عظيماً فيهم .. وكان شاعراً حكيماً غنيّ التجربة وطرق في شعره الفخر والمدح والحماسة الجياشة والبطولة والبأس وقصيدته التي أنقلها إليك أيها القارئ دروس في الفروسية والحكمة والتجارب والزعامة ، اخترتها من (**موسوعة الشعر العربي**) الذي اختاره مجموعة من الأدباء اللبنانيين .. كما راجعتها على عدة مصادر ونقلتُ شرحها مذيلاً في صفحاتها ليتضح غامض ألفاظها وتبرز معانيها مع أنها واضحة الألفاظ والمعاني .

أمّا الشاعر فهو: عبدُ قَيْس بن خُفَافِ البرجميُ من بني عمرو بن حنظَلَةَ من البَرَاجِم. وهم قوم من تميم .. ويكنى أبو جُبيل ابنه .. وإليك القصيدة :

أَجُبَيْلُ ، إن أبَاكَ كَارِبُ يَوْمُهُ
فإذا دُعيت إلى العَظائِم ، فاعْجَل[1]
أُوصيك إيصاءَ امرئٍ لك ناصح
طَبنٍ ، بِرَيْبِ الدَّهر غير مُغفَّلِ[2]
الله فاتَّقِهِ ، وأَوْفِ بنَذرِهِ
وإذا حَلَفْتَ مُمَارِياً ، فتَحلَّلِ[3]
والضيفَ أكْرِمْهُ فإنَّ مَبيتَهُ
حَقٌ ، ولا تَكُ لُعنَةً للنُّزَّلِ[4]
وأعلم بأن الضيفَ مُخبرُ أهلِهِ
بمَبيتِ ليلتِهِ ، وإن لم يُسْأَلِ[5]
ودَعِ القَوَارِصَ للصَّديق وغيرِهِ ،
كَيْ لا يَرَوْكَ من اللِّئام العُزَّلِ[6]
وصِلِ المُواصِلَ ما صَفَا لك وُدُّهُ ،
واحذَر حبالَ الخائن المُتبدِّلِ[7]

الأخلاقية


★ عبد الله بن خميس ★


★ امرؤ القيس ★

واتــرك محــلَّ السّــوءِ ، لا تحلُل بــهِ
وإذا نَبا بــك مــنزلٌ ، فتحــوّل[٨]
دارُ الهــوان لِمن رآهــا دارهُ
أفــراحلٌ عنهــا كمــن لم يــرْحل[٩]
وإذا همــمت بـــأمر شــرٍّ ، فاتّئِدْ
وإذا همـمت بـأمر خــير ، فافْعل[١٠]
وإذا أتتْك مــن العــدُوّ قــوارصٌ ،
فاقْرصْ كذاك ، ولا تقُلْ لم أفْعل[١١]
وإذا افتقــرْت ، فــلا تكُن مُتخشّعاً
ترجُو الفواضِل ، عن غير المُفضِل[١٢]
وإذا لقيــت القــومَ ، فــاضربْ فيهمُ
حتّى يَرَوك طلاءَ أجْرَبَ مُهمــل[١٣]
واسْتغن مــا أغنــاك رَبُّــك بالغِنَى
وإذا تُصِبْك خصــاصة ، فتجمّل[١٤]
واســتأنِ حلْمَك في أمُــورك كُلُّها
وإذا عَــزمْت على الهــوَى فتوكّل[١٥]
وإذا تَشَاجَرَ في فُؤادِك مَرّةً
أمْرَانِ ، فــاعمِدْ لـلأعفّ الأجمَل[١٦]
وإذا لَقيت البــاهِشين إلى النّدَى
غُــبْراً أكُفُّهُمُ بقــاعٍ مُمْحِل[١٧]
فأعِنهُمُ وأيْسِرْ بمَا يَسروا بــهِ
وإذا هــمُ نَزلُوا بضــنكٍ فانْزل[١٨]

وهذه القصيدة واحدة مما اخترته لأنشرها على صفحات هذه المجلة لعاملين :

● الأول : أن الأدب القديم لا ينبو فكرةً ومعنًى عن الأدب الحي الذي يطرقه أدباؤنا العباقرة فكرةً ومعنى .

● الثاني : نداء إلى المربين والمعلمين الذين يعلمون النصوص أبناءنا أن يرووهم من هذا المعين الصافي ، وأن يكون في النصوص قطع منه ومنتخبات ومختارات تجعل من لغتهم وبيانهم لغة جزلة وبياناً مبيناً . . وأخيراً استميح أستاذي الأديب والشاعر الكبير ــ **عبد الله بن محمد بن خميس** ــ أن أتطفل عليه فأطرق ما هو به خير وبه أدرى وعليه أقدر ملتمساً أن يوجهني إذا كنت لم أوف الموضوع حقه أو لم أستطع أن أصف أدبنا الجاهلي بما هو أهله ؟

الهوامش

(١) أجبيل : ابنه . كاربٌ يومه : أي قريب .

يخاطب الشاعر ابنه فيقول : أُجَيبلُ ، إن منيتي اقتربت . ووصيتي أن تجدَّ السير طلباً للمعالي .

(٢) الطبن : الحاذق الفطن .

ولتعلم أن من يوصيك هو إنسان قريب إليك وناصح لك ، خبر الحياة ، وحنكته تجاربها ، ولم يكن مغفلاً .

(٣) تُماري : تُجادل .

فاتّقِ الله يا بني . وأوف بعهودك ونذورك تجاهه ، وإذا حلفت تكذباً مجادلا فتحلل من يمينك .

(٤) لُعْنَة : أي يلعنك الناس كثيراً .

وأكرم وفادة ضيفك ، . وليكن فراشك له ناعماً ، ولا تترك للنازلين بك مجالا للعنك .

(٥) فضيفك يا بنيَّ عندما يغادرك ، سيخبر أهله عن ليلة مبيته ، وإن لم يسألوه .

(٦) القوارص : الكلام القبيح ، العُزل : ج عازل قد اعتزل الناس .

ولا تُسمع الكلام القبيح أحداً ، حتى لا يقال عنك ، إنك تسير مع اللئام ، الذين لا يماشيهم الناس .

(٧) لمن يبادلك الإخلاص والودّ ، قابله بالمثل ، واحذر غدر من يظهر ما لا يبطن .

(٨) نبا به منزله : لم يوافقه .

وابتعد عن أمكنة السُوء ، وإيّاك والحلول بها ، وإذا ما حللت بموضع لم يوافقك ، فتحول عنه .

(٩) لا يقيم في دار الذل ، إلا من ذلت نفسه في عينه ، ولا يستوي رجلان ، راحل عن دار الذل ، رافضٌ لها ، ومقيم فيها ، قابلٌ لها .

(١٠) فإذا ما هممت بأمر لا تُحمد عِقباه ، فتريث ولا تقربه ، وتعجل بعمل الخير إذا هممت به .

(١١) وإن بادأك عدوك بالشر ، فلا تسكت له ، ولا تجبن أمامه .

(١٢) يريد وإن أصابتك الأيّام بمالك فافتقرت ، فلا تكن ذليل النفس ، تطلب المعونة من غير أهلها . فليس الفقر دائماً سبيلاً إلى نسيان الكرامة ، وإياك أن ترجو الفضل ممن لا يعرفه .

(١٣) وإذا قابلت أعداءك في ميدان القتال فاضربهم بشجاعة وقوة حتى يروك علاجاً لمرض نفوسهم ، كما يكون الطلاء بالقار علاجاً للجمل الأجرب المهمل .

(١٤) الخصَاصة: الفقر والحاجة . التجمل : التكلف بالصبر والتجلد .

ولا تطمع بأموال الغير ما دام ربك قد أغناك ، وإذا ما أصابتك الشدة والفقر ، فتجمل بالصبر .

(١٥) استأن : من الأناءة .

يريد فشاور عقلك واتبع الأناة في كل أمورك . وإذا ما طلبت أمراً ، فاعزم وتوكل على الله .

(١٦) وإذا تنازع في صدرك أمران فاعمد إلى الأمر الأعف والأجمل .

(١٧) (١٨) الباهشون : الفرحون ، يريد الذين يقصدونه لنيل عطائه .

يريد الشاعر أن ينطلق ولده مع الكرماء سعيداً بالبذل والعطاء ، وأن يتضامن معهم إن أيسروا فيجيب طلبهم وإن أصيبوا بضنك يعينهم ويتحمل معهم الشدة .



ملحمة الجنوب الزراعية

شعر: علي أحمد النعمي

قـريَتِي لَـمْ تَـزَلْ بسِـفْرِ الـزمَانِ
صَـفحَة حُلـوَة الـرُؤى وَالمغـاني

قـريَتِي مَسْرَحٌ يُمثَّلُ فيـهِ الحُـبُّ
وَالصَّفوُ فِي الـوُجُوهِ الحِسَـانِ

إن تغنَّى الفَلَّاحُ فيهَـا أصَـاختْ
لِـتَرَاتيلهِ بِـأحْلى الأغـاني

ألفُ أذنٍ، وَلِلمَسَاءِ مَـعَ المِزْ
مَـارِ بَـوحٌ يَحتَلُّ كُلَّ مَـكانِ

وَانتِشاءٌ، وَبَهْجَـة تَجْعَلُ الأنْـ
جُمَ نَشْوَى بِـرَائِعِ الألحَـانِ

إن تَلَاقَى السُّمَّارُ خِلـتَ انْعِتَاقاً
مِـنْ هُمُـومِ الحَيَـاةِ وَالأحـزَانِ

مِـنْ رُعَـاةٍ قضَوْا نَهَاراً سَـعيداً
فِي المَرَاعِي بِصُحبَةِ القِـطعَانِ

يَتَنَاجَونَ بِـالأحَادِيثِ فِي وُدٍّ
بَـرِيءٍ بَـرَاءَةَ الـولـدَانِ

ذَاكَ يَحـكي مَـا نَالَهُ مِـن عَنـاءٍ
وَشـقاءٍ فِي رَعيِـهِ لِلضَّانِ

وَبِـأجرٍ يَقِـلُّ عَـنْ ذَلِك الـرَّا
عِـي، وَثَـانٍ يَقُولُ: عَمِّي جَفـاني

حـينَ «فَيَّشتُ»[1] لا مُـريداً وَلـكنْ
كُنـتُ فِي جَلسَـةٍ مَـعَ الـرُّعيَانِ

وَأتَى صَاحِبُ البِـلَادِ حَـزيناً
وَعَلَى وَجهِـهِ رُسُـومُ احتقـانِ

وَرَأى «الهَوْشَ»[2] مُطبِقَاتٍ عَلى الـزرْ
عِ كَإِطْبَـاقِ لاهِـبِ النِّيرَانِ

فَجَرَى نَحْوَهَا وَأوْثَقَ بِـالحبْـ
ـلِ ثـلاثـاً، وَبِـ «الصَّميْلِ»[3] رَمَـاني

راحَ يسْتاقُها «عقـائبَ»[4] حـتى
يَعْـرِفَ البخسَ قبـل فـكِّ الـرِّهانِ

وحَـكايا كثـيرةٌ ونَجاوى
عـذبة الوقْعِ، طـاهراتُ البيـانِ

المراعـي!! ومـا أحيْلَى المراعـي
كم لهـا رعْشـة بـكلِّ كيـانِ؟!

* * *

وإذا مـا أتى الخـريفُ بـالطُرَّة الخـ
ـضرا تعيشُ الحقـولُ فِي مهـرجانِ

تـتباهى بثـوبها الأخضر الـزا
هِـي بـكلِّ الـكثبانِ والـوديانِ

وتجـيءُ السـيولُ في إثْرِ الأمـ
ـطار دفَّاقة بحلـو الأمـاني

يَحمـلُ «المسْحَةَ»[5] الحبيبـةَ فـلَّا
حٌ، ويجـري نحـو «الـرِّدَاح»[6] وثـان

أقبلَ السَّيْلُ يـا صِـحابُ فهيَّـا
لـ «نُساقِي»[7] البلاد قبْـلَ «الـرِّوانِ»[8]

عَيِّنـوا لـ «لشُبَّاقِ»[9] كَي يحـرسوهُ
مِـنْ أذى مُعتـدٍ، وفَتـكةِ جـانِ

بعضُ فِتيـانِكمْ فـإنْ بَلـغَ الماءُ
مـداهُ فكُّوهُ للجـيرانِ

وسَرَتْ قـريتِي وقـد عَسْـعَسَ اللَّيْـ
ـل تُحيِّي مـواكبَ الفتيـانِ

الأمـاني مـزروعَةٌ في حنـانا
هُـمْ، وبالشكر بـاحَ كلُّ جَنـانِ

رفعـوا للسَّما الأكفَّ ابتهـاجاً
وثنـاءً للمنعـمِ الـرحمن

أقبلـوا فـالثيابُ مـاءٌ وطـينٌ
وخـطوطُ الإعيـا على الأبـدانِ

يتلقَّاهُمو نِسـاءٌ وأطفـا
لٌ لإهدائِهِمْ أحـرَّ التهـاني

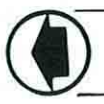
«غرقـتْ رُوسكُمْ»[10] وجـاء الصَّبايا
قـائلاتٍ: «العـزمَ يـا شُبَّاني»[11]

والنقيقُ الموصولُ مِنْ ضفدع الما
ءِ يهزُ الدُّجى بكلِّ افتتانِ
ثم يأتي «النَّجابُ»[١٢] كي يبتدي البذ
رُ، وغصُّ «المعبالُ»[١٣] بـ«الشِّيرانِ»[١٤]
يا لَصَبرِ الحرَّاثِ في صُحبة الأر
ض.. فمنها انبثاقُ فجرِ الأماني
مرَّة يشتري «الذُّرا»[١٥] مِنَ السُّو
قِ، وأنا مِن عند «ذانِ بْن ذانِ»
لا يُبالي إن قَلَّ سِعْراً وإن زا
دَ قليلاً فشأنُه سِيَّانِ
وترى بعضهم «يُجسِّد»[١٦] في «الحيْجَةِ»[١٧]
بعد «التَّشيح»[١٨] للجُلْجُلانِ
وسواه «يَهْوِيَ» «التَّليمَ»[١٩] بحَب
وعليه الإعدادُ لـ«لْحُميانِ»[٢٠]
مِنْ بناءِ لـ«سَهْوة»[٢١] و«مَقيلٍ»[٢٢]
في عُلا «أثْلَةٍ»[٢٣] بأحلى مكانِ
فـ«الرِّداحُ»[٢٤] «المُتلَّماتُ»[٢٥] سَينمو
زرعُها ذو الصُّنوفِ والألوانِ
بعد «أبشارِهِ»[٢٦] «يُغاشي»[٢٧] ليغدو
بعد وقتٍ «مُقاصبَ»[٢٨] السِّيقانِ
فـ«شتاةً»[٢٩] «مُرصِفاً»[٣٠] فـ«جُضُوماً»[٣١]
يُطلِقُ العِذقَ واضحاً للعيانِ
ثم يغدو «صفواً»[٣٢] ويغدو «خريطاً»[٣٣]
و«شَويطاً»[٣٤] يَلَذُّ للأعيانِ
ثم يغدو في آخر الأمر «حبّاً»
بعد عُمرٍ قضاه في الدَّوَرانِ
ثم يأتي «الجِبَاةُ»[٣٥] مِن أجل حَصرٍ
لزكاة الغلال بـ«السكُوشانِ»[٣٦]
ليكونَ الحَصَادُ حالاً، ولكنْ
أينَ حُصَّادُهُ بغيرِ توانٍ؟!!
كلُّ «سَترٍ»[٣٧] بـ«هزَّة»[٣٨] و«خضيرٍ»[٣٩]
مُستطابٍ، و«زربةٍ»[٤٠] للأثانِ
ثم يأتي «الصِّريبُ»[٤١] والأمر يحتا
جُ نساءً مِنْ خيرة النِّسْوانِ
هذه «تندبُ الذُّرا»[٤٢] لتُؤدِّيه
برفقٍ لصاحبِ «القَفَدانِ»[٤٣]
والبواقي يَصُرْنَ ملءَ الزِّنابيـ
ـل ويحملنه إلى «المجْرانِ»[٤٤]
لكأنَّ الرِّداحَ خليَّةُ نحلٍ
يتلاقى فيها مُحِبٌّ وشانِ

بيْنَ تلك «السُّتُورِ» ينتشر النا
سُ.. وتبدو طبيعةُ الإنسانِ
الفقيرُ الفقيرُ منكسرَ النفس
ويمشي الحرَّاثُ في عُنفوانِ
عَيْنُهُ مَوْقِدٌ تَلَهَّبَ فيه الحِرْصُ
حَيْناً.. وامتدَّ شِبْهَ الدُّخانِ
فهو مِثلُ الطاووس يمشي اختيالا
يا لَبَغْض النفوس مما تُعاني!!
ثم يأتي «التَّوجيبُ»[٤٥] بعْدَ صَريبٍ
وبـ«غَزلٍ»[٤٦] تَدريه كلُّ الغواني
ووراء الصِّريبِ يبتدئ القوم
بحزم «العَطين»[٤٧] والقُضْبانِ
ثم «تَزويمُهُ»[٤٨] فُرادى ليأتي
دَوْرُ تجميعه بغير المكانِ

ثم يأتي «الخَبيطُ»[٤٩] لِلعذقِ الكُثْر
اللَّواتي مَركُومَةً في «الشُّوانِ»[٥٠]
بـ«الحَنايا»[٥١] المصفَّحاتِ تحملها أيدٍ
شِدادٌ.. في كلِّ «شرخ»[٥٢] وشانِ
ثم يأتي كيلُ الغلال وإيداع
مَجاميعها بُطونَ الأواني
وانتهتْ صورةٌ لتَظهرَ أخرى
بعد وقتٍ.. وذاك حالُ الزمانِ
إنَّ وجهَ الفلاَّح إنْ لفحتهُ الشمـ
ـس يوماً لطافحٌ بالحنانِ
يَعشقُ الأرض لا يُحبُّ سِواها
وهوى الأرضِ زاخرٌ بالمعاني
جَهدُهُ، كدُّهُ الطويلُ سيبقى
أبدَ الدهر مفخرَ الأزمانِ
وسيبقى نهراً تفيضُ عطاياهُ
رخاءً على بني الإنسانِ!!
حَسبيَ الله ما لهذي الأراضي
لبستْ بالأسى ثيابَ الهوانِ
حين عادتْ عبئاً ثقيلاً تلقتْ
بها نفوسٌ بالصدِّ والنكرانِ
وَجدتْ مِنْ بدائلِ العيش أنوا
عاً سواها قليلةَ الخُسرانِ

* * *



صُـورةُ الأمس لـلـزراعةِ ذابـتْ
ومحـــاها تعاقبُ الـحَدَثانِ
فـــازْتوازٌ يختـــالُ قـــربَ ارتـــواز
والمساني .. ضـحيةُ البُسْـتانِ
والتصاقُ الفـلّاح بـالأرض مَـا عَـا
دَ قويّاً .. ولـمْ يَعُـد مَـنْ يُعـاني
إنـّهُ دائمـاً يَصيحُ بصَـوتٍ
لـوْنَتُهُ علائـمُ الحِـرمانِ
«عَلِّفُـوها» أوْلى مِـنَ الكَـدِّ فيهـا
واسـتريحوا مِـنْ أُجـرةِ الحُميانِ
لَيْسَ بَعْـدَ الإسمنتِ بَعْـدَ الكُرِيكا
تِ .. وَتـوسيعِ رُقعـةِ العُمْـرانِ
غيـر أن تـذرفي الـدُّموعَ «عُقُـوماً»
وَ«رِدَاحـاً» مِـنْ عُمْـقِ كلِّ جَنانِ

لن تـكونَ الغِـلالُ يـوماً كَمـا كَا
نَـتْ .. ولن يُـذكر الخـريفُ الفُـلاني
فـالأجير الـذي يَـكِدُّ وَيَشْـقى
فيـكِ ولّى لِعـالم البُنْيانِ
وَجَدَ الأجـرَ وافـراً كيفمـا شـاءَ
وكلٌّ يَلْقـاهُ بـالاحتضانِ
والفُلـوسُ الفُلـوسُ بيـن يـديه
يتبـاهى بهـا لـدى الإخـوانِ

* * *

فعلى كلِّ رَدْحَـةٍ وشِـباقٍ
وعلى كلِّ مِحمَـلٍ أشْـيانِ
وعلى عَهْـدِها الـوَضيءِ سـلامٌ
وعـزاءٌ في وارفـاتِ الجِنـانِ !!

الهوامش

(١) فيْشت : تركت المواشي التي أرعاها تعبث بـالزرع المحمي .

(٢) الهَوْش : لفظ يستعمل عاماً للمواشي من بقر وغنم وإبل وضأن بلهجة المنطقة .

(٣) الصُّميل : العصا الغليظة بطول متر ونصف ، وهو غير الهراوة .

(٤) عقائب : واحدتها عقوبة : ما يأخذه الفلاح من الراعي سواء من المواشي أو خلافها في سبيل تقدير الأضرار التي ألحقتها الماشية بمزرعته تعاد لصاحبها بعد تحديد نسبة الضرر .

(٥) المَسحة : هي المسحاة ، الآلة الحديدية المعروفة .

(٦) الرُّداح : واحدتها ردحة ، قطعة الأرض الزراعية المربعة أو المستطيلة المسورة بأربعة زبر .

(٧) نساقي : نذهب لجلب الماء من منافذه المعتادة لري الأرض .

(٨) الرُّوان : واحدتها رونة وهي أقل زراعة من الأرض الطينية .

(٩) الشباق : سد ترابي يضعه المزارع في مجرى الماء لري بلاده فإذا ما ارتوت فتحه الآخرون لري بلادهم وهكذا .

(١٠) غرقت رُوسكم : لفظ يطلقه الأهالي عادة على من ارتوت أرضه بالماء .

(١١) العزم يا شبَّاني : لفظ يستعمل لحفز الهمم تماماً كقولنا «القوة يا رجال» .

(١٢) النجاب : بتشديد النون وفتح الجيم ، جفاف الأرض المرتوية وصلاحيتها للحرث والبذر .

(١٣) المعمال : الأرض الزراعية .

(١٤) الثيران : جمع ، مفرده ثور ، ذكور البقر المعدة لحراثة الأرض .

(١٥) الذرا : أرقى أنواع الحب من الذرة على اختلاف أنواعها .

(١٦) يُجسِّد : جسَّدَ الأرض بفتح الجيم وتشديد السين ، حرثها قبل زراعتها لتنظيفها من الحشائش لتكون صالحة للزراعة .

(١٧) الحيجة : واحدها حوج بفتح الحاء وسكون الواو ، الأرض المنخفضة من القطعة الزراعية القريبة من الزبير .

(١٨) النشيح : هو رمي حب السمسم «الجلجلان» باليد ثم حرث الأرض بعد ذلك .

(١٩) التَلْيمُ : عمل الأرض بالمحراث البلدي أو الآلي مع وجود الحب داخل التلوم .

(٢٠) الحُميانُ : جمع ، مفرده حام ، الذي يحمي الزرع .

(٢١) السُهْوَةُ : أربع خشبات مثبتة في الأرض بشكل مربع مسقوفة من الأعلى تطل على الزرع ، يقوم الحامي فوقها .

(٢٢) المقيل : ما يصنعه الحامي في السهوة من بناء مظلل للقيلولة فيه .

(٢٣) أثلةٌ : واحدة الأثل ، الشجر المعروف وقد تُبنى السهوة عليها .

(٢٤) الرُّداح : سبق التعريف بها .

(٣٥) متلمات : مبذورة .

(٢٦) أبشاره : أبشار الزرع ، ما مضى على زراعته فوق الثلاثة أيام .

(٢٧) يُغاشي : أي يغطي التلوم ويغشيها .

(٢٨) المقاصب : ما بدأ ساقه يشتد .

(٢٩) شتاة : الشتاة ، ما كان بطول متر فأعلى بقليل . وشتاته بإعادة التليم في المكان الخالي بدون حب ، وذلك لكي يشتد الزرع ويكون قادراً على المقاومة .

(٣٠) مرصفاً : المرصف ، ما كان بطول قامة الإنسان .

(٣١) جضوماً : الجضم ، ما أطلق العذق .

(٣٢) صفواً : الصفو ، ظهور العذق بشكل واضح .

(٣٣) خريطاً : الخريط ، بدء ظهور الحب في رأس العذق .

(٣٤) شويطاً : الشويط ، اكتمال ظهور الحب في العذق ولكن بشكل طري .

(٣٥) الجباة : جمع ، مفرده جاب ، الخراص .

(٣٦) الكَنْوشان : الوثيقة التي تصرف للمزراع بمقدار غلة أرضه وما يخصه من الزكاة .

(٣٧) سَتْر : الستر القصب المحصود بحبوبه وبين الستر والثاني مسافة متر .

(٣٨) بهزة : الهزة ، الأجر الذي يتقاضاه الحاصد .

(٣٩) خَضَيِّرْ : الخضير ، العذوق التي يجمعها الحاصد خارج هزته كغذاء لأولاده .

(٤٠) زُرْبَةٍ : الزربة ، حزمة القصب الأخضر ، وقد تكون بحبوبها .

(٤١) الصُّريب : قطف العذوق من القصب على يد النساء الصوارب .

(٤٢) تندب الذُّرا : ندب الذرا ، هو اختيار العذوق جيدة الحب للاحتفاظ بها كبذور للأرض مرة أخرى .

(٤٣) القفدان : جمع ، مفرده قفد بفتح القاف والفاء ، الأوعية الكبيرة المصنوعة من الخوص لحفظ الذرا بعذوقه .

(٤٤) المجران : مكان تجميع المحصول الزراعي من الذرة .

(٤٥) التوجيبُ : أجرة النساء اللاتي تولين قطف العذوق .

(٤٦) بعزلٍ : العزل ، ترك زنبيل أو أكثر في كل مرة يؤدي فيها النسوة العذوق إلى المجران على حسب شرطهن مع صاحب الأرض لتكون مقسومة بينهن في النهاية .

(٤٧) المعطن : القصب اليابس الخالي من العذوق وتحزيمه ، جعله حزماً .

(٤٨) تزويمةُ : التزويم ، جمع القصب ورصّه فوق بعض في مزاويم كل مزوام قريب للثاني .

(٤٩) الخبيط : تنقية الحب وفصله عن عذوقه .

(٥٠) الشُّوان : جمع مفرده شونة ، العذوق المركومة في المجران .

(٥١) بالحنايا : الحنايا ، جمعٌ مفرده حنية ، عود خشبي محني معقوف مع رأسه ، عريض يمسكه الخباط أو الخابط ليضرب به العذوق الجافة لإخراج الحب منها .

(٥٢) شرخ : الشرخ ، أكوام العذوق المصطفة قرب بعضها .

الأم

بقلم :
أندوني ساماراكي
ترجمة :
د . ن . ع



كانت تكوي سرواله ، أفضل سراويله ، ذلك الذي يرتديه أيام الآحاد . انكبت تتقن كواء ثنية السروال ، عندما أقبلت عليها لاهثة ـ إذ يقال إنها تعاني من الربو ـ زوجة بائع الخردوات صاحب الدكان عند الناصية .

صرخت فيها من الشارع قائلة : **«كارثة كبيرة في كالوغريزا ! ألم تعلمي بالنبأ بعد ؟»** كان الشباك مفتوحاً ، فرأتها وهي منكبة تكوي .

ـ **«كلا ، لا أعرف عما تتحدثين . وماذا عن يانّي ؟»** .

ـ **«لا أعرف ما إذا كان ياني ضمنهم . اتصلت بي زوجة أخي تليفونياً وأخبرتني بكل شيء . أعني بأن كل أولئك الذين كانوا يعملون في ذلك الجناح الذي حدث فيه الانفجار لم يبرحوا مكانهم»** .

ومن انفعالها عندما علمت الخبر ، تركت المكواة الساخنة على قماش السروال في اللحظة التي أوشكت أن تحقق ما كان ينعى عليها ابنها إخفاقها في تحقيقه مازحاً مرة : **«أماه ، من جديد أخفقت في كواء ثنية** السروال . **ترى متى ستتقني ذلك ، حتى أقول لك رائع»** .

انصرفت عن الكواء ، وجرت إلى الشباك : **«ماذا عرفت أيضاً ؟ قولي لي ، أكاد أجن !»** . **«لا أعرف غير ذلك»** . هذا ما أكدته لها زوجة الخردواتي التي مضت تقول : **«هاك ما قيل لي في التليفون . عمال النوبة من ٢ إلى ١٠ حاق بهم الدمار . انفجر السرداب وانهارت عليهم أنقاضه . ما نوبة عمل ابنك ياني ؟»** .

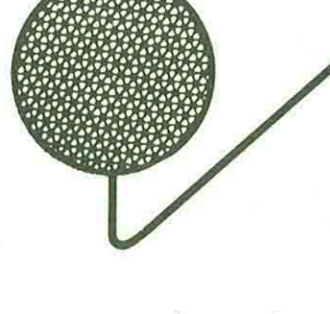
أجابت كما لو كانت نائمة : **«نوبة ٢ إلى ١٠»** .

من دكان الخردوات نادى أحد منبهاً إلى أن ثمة زبائن ينتظرون .

قالت لها المرأة : **«سأنصرف . تجلدي ، ربما كان قد نجا»** .

ذهبت وجذبت المكواة . كان القماش قد احترق من الناحيتين ـ **ماذا كان يهم القماش الآن ؟** الشيء الوحيد الذي يهم أن **ياني** ، ابنها الوحيد كان الليلة ، ليلة السبت ، في نوبة ٢ إلى ١٠ .

ألقت على كتفيها دثاراً ،



ألقت أيضاً نظرة على صورة الأب ، وترددت برهة : **هل تقول له ؟ تخبره أم لا تفضي إليه بكلمة ؟** نظر إليها الأب هادئاً مبتسماً كما لو لم يكن قد حدث شيء . هادئاً ومبتسماً أيضاً ، التفت إليها عندما جاء الألمان وأخذوه من البيت ، عام ٤٤ ، في شهر أغسطس (آب) ، الحادي عشر من أغسطس (آب) . كان ابنهما **ياني** آنذاك قد بدأ يحبو . لم يكن ينطق بالكثير من الكلمات ، بمجرد كلمات مثل « **بابا** » « **ماما** » « **توتو** » ، وبعد ذلك ، لم يعد يانّي ابناً لهما ، أصبح ابنها هي وحدها ، لأن الأب لم يطأ عتبة البيت مرة أخرى قط . راح ، ضاع ، رُحِّل مع آخرين إلى ألمانيا . قال واحد : إلى « **بوخينفالت** » ، وقال ثان : إلى « **داخاو** » ، ولكن ماذا يهم أن يكونوا قد أُخذوا إلى هذا المعتقل أو ذاك ؟ لقد امّحى هؤلاء من الوجود على أي حال .

كان عليها أن تغير ثلاث مواصلات كي تذهب من « **بيراما** » إلى « **كالوغريزا** » كان عليها أن تستقل الترام من « **بيراما** » ليخرج بها إلى « **بيريه** » حيث محطة « **الخط الكهربائي** » ومن هناك « **بالخط الكهربائي** » إلى « **أومونيا** » ، ومن « **أومونيا** » تستقل أحد الأوتوبيسات المتجهة إلى « **كالوغريزا** » .

كانت قد ذهبت إلى هناك مرة قبل هذه كي تلتقي ياني ، لا لأن شراً حاق به ، بل بمناسبة مرور واحد من أبناء عمومة أبيه منذ عام ونصف **ببيريه** . كان ابن العم يقيم منذ سنوات طويلة بأمريكا ، بمدينة اسمها **ديترويت** . لذلك سارعت تخبر ياني بأن عمه سيبقى بضع ساعات قليلة ببيريه . وعليه ، في المساء ، عندما يفرغ من عمله أن يذهب لمقابلته في فندق « **مقدونيا** » بجوار ميدان الساعة في المربع الثاني إلى اليسار . كان هذا العم قد عمده أيضاً عندما كان طفلاً ، ولا بد أنه سوف يعطيه هدية قيّمة . عشر سنوات كاملة كانت قد مضت على رحلته السابقة إلى **اليونان** ، وفي تلك المرة كان في عجلة من أمره . خلاصة القول ، ذهب وحيدها ياني إلى **فندق** « **ميقدونيا** » جاهداً أن يصل مبكراً قدر الإمكان ، وتلقى من عمه هدية : فتّاحة من تلك التي تفتح الزجاجات . أخبرها ياني الاسم الذي يطلقونه على مثل هذه الفتاحات ، لكنها لم تكن بقادرة أن تنطق بالتسمية ، فلسانها يتعثر كلما حاولت ذلك .

أما هذه المرة ، فقد كانت ذاهبة للقاء حبيبها **ياني** وفي قلبها حزن أسود . لم تكن تعرف ماذا سوف ترى عيناها .

في لهفة كانت تريد أن تمضي ، أن تجري إلى جواره ، أن تلحق ـ **تلحق بماذا ؟** ـ نسيت أن تجلب معها منديلاً . كانت من الأصل مصابة بالزكام ، كانت دامعة العينين . تحسرت كثيراً لأنها لم تجلب منديلاً . وبدا لها أن كل من في الترام وفي الخط الكهربائي ينظرون إليها كلما مسحت بين الحين والحين أنفها أو مقلتيها أو أنفها ومقلتيها معاً بطرف شالها .

كانت تردد قائلة لنفسها « **لو كنت طائراً أطير . . .** » وهي كلمات أغنيتها المفضلة في شبابها ، في ذلك الوقت الذي لم يكن بالبيت صورة الأب بعد ، بل كان الأب نفسه موجوداً . كانت تحصي الساعات والدقائق حتى تصل إلى تلك المنطقة المشؤومة « **كالوغريزا** » وعندما خلف القطار الكهربائي وراءه محطة (**الموناستيراكي**) قاصداً « **أومونيا** » لم تغالب لهفتها وقالت بصوت عال (**لو كنت طائراً أطير . . . .** » .

صاح فيها جارها ، وكان رجلاً يرتدي بابيوناً صغيراً ويضم إلى صدره حقيبة سوداء منبعجة كما لو كان يحضن طفلاً : « **لا تصدعي أدمغتنا ، يا امرأة ، بغمغماتك هذه** » .

انكمشت في ركنها صامتة وارتج عليها ، حتى لفت الركاب أنظارها إلى أنها لم تتنبه إلى فوات محطة « **أومونيا** » بل والمحطة التالية لها أيضاً . وفي النهاية نزلت في محطة « **اتيكي** » .

رجعت أدراجها صاعدة نحو « **باتيسيون** » ومضت بين الفينة والفينة تتوقف لتلتقط أنفاسها ، فقد كانت تعاني من ضيق في التنفس منذ سنوات ، لكن كان يجب أن تصل إلى جواره في أقصر وقت ، فقد كان ياني الحبيب ينتظرها .

أحصت ما كان في كيسها الصغير من نقود ، كي ترى ما إذا كان ما معها يكفي لتستقل سيارة أجرة . كان كل ما معها إحدى عشرة دراخمة وستين .

في ميدان « **أميريكي** » موقف لسيارات الأجرة . ذهبت وسألت كم يكلف المشوار إلى **كالوغريزا** .

قالت لسائق سيارة من سيارات الأجرة بصوت خفيض ، كما لو كانت قد ارتكبت إثماً : « **معي إحدى عشرة دراخمة وستون** » .

قال لها كلا ، لا يكفي ، فالأجرة إلى هناك ضعف هذا المبلغ .

وقفت كما لو كانت تفكر في اتخاذ قرار :



«حسناً، لو ذهبنا إلى هناك ودفع ياني؟»

قال السائق مستفسراً **«ياني؟»**.

قالت كما لو كان الأمر غريباً حقاً أن لا يعرف الرجل من هو **ياني**:

«ابني!»

وافق السائق وفتح لها الباب قائلاً: **«عندئذ يتغير الأمر»**.

همت بالدخول إلى العربية. وضعت قدماً، ثم توقفت. تساءلت سراً **«لو أن ياني...»** وفي التو تراجعت خارجة من العربة. لفت وشاحها حول كتفيها بقوة. وعندما فكرت فيما **«لو أن ياني...»** أحست بالبرودة تدب في صدرها وفي قدميها، في أخمص قدميها.

قالت **«لا يهم. سوف أذهب بالأوتوبيس»** ومضت قدماً والليل من حولها.

كانت السكينة سائدة عندما وصلت إلى منجم الفحم، سكينة جعلتها تعتقد برهة أن ثمة خطأ حدث، وأن المكالمة التليفونية كانت لشأن آخر، غير وقوع كارثة في **كالوغريزا**. كل شيء هادئ ومجلل بصقيع ليالي الشتاء. لكنها عندما اجتازت الفناء رأت تحت سقيفة رهطاً من الأهالي والجنود تجمعوا يتناقشون. شاهدت أيضاً سيارات واقفة وبأعلاها أنوار حمراء، ولمحت نساء وأولاداً. كيف لم تتبينهم هؤلاء جميعاً، من قبل؟

اقتربت. وقد انعقد قلبها بشدة.

وقفت إلى جوار عامل مثخن بالجراح، مضت زوجته تضمه إلى صدرها، بينما راح هو يدلي بالإيضاحات.

اندست بين شرطي وشخص آخر يرتدي الملابس المدنية ويدخن بلا انقطاع. سألت: **«وابني ياني؟»**.

سألوها عن لقبه، فقد كان في نوبة ٢ إلى ١٠ خمسة اسمهم **ياني**. وعندما أخبرتهم عن لقبه، لم تتلق إجابة. كل ما هنالك أن التفت إليها جميع هؤلاء الغرباء، ونظروا إليها. علق انتباهها بزوجة العامل الذي نجا وقد ازداد ضمها له إلى صدرها.

عادت تقول: **«وابني ياني؟»** ولحسن الحظ أدركها الجاويش قبل أن تخر واقعة على الأرض.

كلا، ما كان بإمكانها أن تقضي الليل بغير وحيدها **ياني**. كل أملها الآن، الأمل الوحيد الذي بقي لها، أن تجده هناك في المشرحة. لو شاء لها الحظ أن تلتقي به، أن تضمه إليها، أن تطويه بين ذراعيها، أن تدفئه، مثل زوجة ذلك العامل.

عندما قالوا لها إن **ياني** ربما قد ذهب إلى هناك، ربما قد حملوه إلى هناك، خفق قلبها بشدة. آه، لو تكون هذه المعجزة قد حدثت، ويكون **ياني** قد أفلت من غياهب الأرض الباردة، أن لا تكون قد ابتلعته الأرض، وحيداً، دون ان يُبكى عليه، دون أن يُمشط شعره ويُدهن بالطيب جسده. لو تلتقي به هناك، وتأخذه إلى البيت، تغسله، تبدل ثيابه، تلبسه أفضلها، ملابس يوم الأحد، السترة الرصاصية الخضراء ذات المربعات، والسروال الذي كوته منذ هنيهة وأتقنت الثنية لأول مرة.. أما عن مكان الحرق فقد كانت تعرف كيف ترتقه وتصلحه على خير ما يرام، ولن يبدو منه شيء للعيان. وبعد ذلك، ستذهب به بنفسها، بوحيدها **ياني**، غداً، بعد ظهر الأحد، وقد ارتدى أحلى ملابسه، ملابس يوم الأحد، كما في الأيام الخوالي عندما كان صغيراً، وكانت تذهب به بعد ظهر كل يوم أحد في نزهة. والآن سوف تذهب به في نزهة، لكن هذه المرة سوف تعود وحدها إلى بيتها الصغير. غداً الأحد. عندما يزحف الغروب ستكون وحيدة. غداً، وبعد غد، وإلى الأبد.

لم يكن **ياني** ضمن الحالات الأولى. لم يكن من بين الثمانية الذين نجوا من المجموع الكلي. كانت أسماؤهم مدرجة في كشف تلاه عليها الجاويش اسماً اسماً، وبتأنٍ كما لو كان يوجه نداء. كان في النوبة عشرة آخرون. وفي الجملة ثمانية عشر. ومن العشرة الذين لم ينجوا، كان أربعة يرقدون الآن في المشرحة. والستة الباقون في غياهب المنجم ملقون في بطن الأرض، مثل أجنة بلا حياة ولا غد.

ـ «ابنك، قطعاً، ليس من بين الأحياء. إنه من بين.. من بين



الآخرين . اذهبي وابحثي ، ربما كان واحداً من الأربعة الذين بالمشرحة . نُقلوا إليها ـ كما ترين ـ على عجل ولم أجد الوقت لتدوينهم في الكشف . إذا لم يكن ضمن الأربعة . إيه ، هذا يعني أنه ضمن الستة الذين بقوا في الأعماق ، وقد دفنتهم سقيفة المنجم التي انهارت . لنر بعد كم من الأيام سنستطيع أن نخرجهم إلى فوق . في ثلاثة ؟ في خمسة ؟ في عشرة ؟ بل وربما أبداً » .

قال لها أحد الحارسين الواقفين عند باب المشرحة ، أطول الاثنين ، وكان يمسك ترانزيستوراً صغيراً يدير أزراره باحثاً عن محطة «**ضحايا كالوغريزا !** » : «**ها هم . وضعناهم هناك . الممشى الثاني ، إلى اليمين . الباب الأول على الشمال** » .

وقفت ، ونظرت إليه . ثم نظرت إلى الآخر ، كما لو كانت تنتظر أن يصحباها إلى هناك . لم يسبق لها أن ذهبت إلى مشرحة .

قال لها الحارس الطويل :

ـ «اذهبي وحدك ! لماذا تنظرين إلينا ؟ عملنا أديناه . وضعنا كلاً منهم على حدة . بل وغطيناهم بملاءات أيضاً . هيه ، هذا يكفي على ما أعتقد ، نظير المرتب التافه الذي تدفعه لنا الدولة . إنها تدفع لنا ما يعادل أن نبسط عليهم الغطاء فحسب ، لا أن نزيحه عنهم كل وقت وآخر أيضاً » .

اشتعل غضبه عندما تذكر المرتب الذي يتقاضاه ، فتح الترانزيستور إلى أعلى صوت ، وفي القاعة الفسيحة الجرداء دخلت نغمات رقصة مجنونة .

قال له زميله :

«خفضه !» .

ـ «لماذا ؟ تخاف أن ينزعج الزبائن ؟» .

ثم التفت إليها ، وصاح فيها قائلاً : «**نحن الاثنان ، ما عندنا قلناه . الممشى الثاني إلى اليمين . الباب الأول على الشمال** » .

تقدمت وحدها . وفي صدرها هبوط .

صاح بها الحارس الطويل لحظة دخولها إلى الممشى الرئيسي :

ـ «هيه ، يا خالة ، افتحي الباب ، وادلفي إلى الداخل مباشرة . ليس ثمة حاجة إلى أن تدقي الباب . فاهمة ؟» .

فتحت الباب الذي حدثها عنه الحارس ، الممشى الثاني إلى اليمين ، الباب الأول على الشمال .

توقعت أن يئن الباب .. هكذا أحست في تلك اللحظة ، أبواب المشرحات دون شك يصدر عنها أنين أو هذا ما يجب . لكن عندما دفعت الباب انفتح بنعومة ورفق ، بغير أن يصدر عنه أنين أو أدنى صوت .

كانت في الحجرة مناضد أخرى كثيرة أيضاً . مناضد عالية ضيقة مستطيلة . شغلت أربع منها بجثث **كالوغريزا** .

فكرت «**لا بد أنها غير مريحة ، هذه المناضد** » .

كانت الغرفة كئيبة . والضوء أصفر . أصفر كاب .

تقدمت . بمن تبدأ . توقفت ، كما لو كانت ستجري قرعة . وفي النهاية مضت إلى ذلك اللصيق بالحائط .

كلا ، لم يكن الأول ابنها **ياني** . رويداً رويداً ، كما لو كانت خجلة من أمرها ، سحبت الغطاء ، انحسر الرأس . لم تكن بحاجة إلى أن تنظر إلى الوجه ، فقد رأت الشعر . أشقر كان . أشقر للغاية . وكان ابنها ياني أسمر .

كلا ، لم يكن الثاني ابنها **ياني** . كان لهذا الثاني شارب . وكان **ياني** ابنها حليق الشارب .

كاد الثالث ، أن يكون هو **ياني** ابنها ، ووجهه مشوه . لم يكن بالإمكان أن تقول نعم ولم يكن بالإمكان أيضاً أن تقول لا . وأطوال الجسد متفقة مع أطوال **ياني** . تركت الجسد وانتقلت إلى القدمين . نحّت الغطاء جانباً . أمسكت بحذاء القدم اليسرى ـ كان الجميع يرتدون ذات الصنف من الأحذية ذات الرقبة ـ . جذبت الحذاء بشدة ، لم يكن ينخلع . بذلت جهدها كله ، وفي النهاية اقتلعته . كادت تقع على ظهرها وهي تجذبه بتلك القوة . ثم خلعت الجورب . كلا ، كلا ، ابنها ياني ، ابنها **ياني** كان إصبعه الأوسط مقطوعاً . انفجر فيه صاروخ من صواريخ الأطفال بتره ، ولم يكن قد بلغ العاشرة من عمره بعد ، عشية يوم **عيد الفصح** .

أما عن الرابع ، فلم تكن بحاجة أن تتفحصه طويلاً ، فقد كان بشارب هو أيضاً .

بعد ذلك أحست بركبتيها تتزعزعان ، لم يكن بالحجرة مقعد . صعدت بعناء إلى منضدة الرابع وجلست إلى جوار قدميه . أحست بأنها على ما يرام هناك فوق . علقت أبصارها بقدم الثالث التي كانت قد جردته تواً من حذائه وجوربه ، وتركته عارياً .

فكرت «**لا بد أنه يشعر بالبرد** » .

انزلقت من فوق المنضدة

وذهبت إليه . ألبسته الجورب والحذاء . غطته ونسقت الغطاء عليه .

سمعت دقات ساعة . أهي من كنيسة ؟ عدت الدقات . من الواحدة إلى الثانية إلى الثالثة ، إلى العاشرة ، إلى الحادية عشرة ، إلى الثانية عشرة . . .

فكرت **« منتصف الليل »** لكنها ما لبثت أن سمعت في ذات اللحظة الدقة الثالثة عشرة .

رفعت صوتها الآن قائلة : **« لم أكن أعرف أن الساعة يمكن أن تدق ثلاث عشرة دقة »** . ثم أردفت تقول : **« منذ متى تغير النظام ؟ إيه ، أشياء وأشياء تتغير كل يوم في بلادنا الصغيرة ! »** عطست وقالت : **« معذرة ! »** .

هكذا تعودت أن تقول عندما كانت تعطس في حضرة آخرين . والآن أيضاً ، كان هناك آخرون في الحجرة . كان هناك العمال الأربعة الذين رقدوا على تلك المناضد الضيقة المستطيلة . ولم يكن ثمة آخرون غير هؤلاء الموتى . لا أغراب في الحجرة . أولئك الأربعة من **كالوغريزا** فحسب .

أما **ياني** ابنها ، فلم يكن بين الأربعة . كلا ، لم يكن بينهم . كانت قد أزاحت الغطاء عنهم واحداً واحداً . كانت قد دققت النظر فيهم جيداً . لم يكن الضوء كافياً ، ولكنها أمعنت النظر فيهم جيداً . لم يكن **لياني** ابنها الحظ أن يكون من الأربعة ، ومن ثم قد بقي جثة عارية هامدة في بطن الأرض . ضمن الفحم قطعة من الفحم هو .

كم من الوقت ظلت في الحجرة مع الأربعة ، لم تكن لتستطيع أن تعرف . نصف ساعة ؟ ساعة ؟

صعدت إلى منضدة الثالث ، عجباً ، نضبت دموعها . لم تعد في مآقيها دموع . كان عندها زكام فحسب ، ولم يكن معها منديل . كيف نسيت أن تأخذ منديلها الصغير وهي تغادر البيت ! همّت أن تمسح أنفها بشالها ، لكنها خجلت . كان الأربعة يرونها ، وقد تركت وجوههم مكشوفة . أزاحت الملاءة وبحثت في جيوبه . وجدت منديله جعداً مرتقاً في موضعين .

قالت بداخلها **« لا بد أن أمه قد رتقته له »** .

تمخطت ودست المنديل في جيب ردائها . آه ، كم عنيت بدورها أن تغسل وتكوي وترتق مناديل **ياني** ابنها ! **هي أمه . . . أمهم** .

وكلما مضى الوقت ومن حولها الأربعة ، زاد إحساسها يقربها منهم ، لم يكن أحد يقربهم ، لم تكن أمهم بالقرب منهم . ألم تكن هي بقربهم ؟

في أول الأمر ، خيل لي أنها إنما ترى حلماً . . حلماً اكتظ بأناس كثيرين حوطوا بها ، وأمسكوا أوراقاً مضوا يكتبون عليها . . ولكن الأمر لم يكن حلماً على الإطلاق . عندما فتحت عينيها فقد ــ راحت في إغفاءة على المنضدة ــ رأتهم ، رأت أولئك الكثيرين الذين يحملون أوراقاً يدخلون إلى الحجرة . كانوا ستة أو سبعة .

نزلت من على المنضدة . وكاد ثوبها يعلق بمسمار .

صاح واحد من الكثيرين متسائلاً : **« ألا يوجد أحد هنا ؟ »** .

ــ **« أنا »** .

أحاطوا بها .

قال أحدهم : **« نحن صحفيون »** .

قال آخر : **« جئنا من أجل ضحايا كالوغريزا »** .

قال آخر : **« وسيادتك ، من تكونين ؟ »** .

ــ **« أنا ؟ أمهم »**

ــ **« أمهم ؟ »** .

ــ **« آه ، أمهم »** .

ــ **« وهل هؤلاء أبناؤك جميعاً ؟ »** .

ــ **« الأربعة ؟ »** .

ــ **« أبنائي »** .

مضى الصحفيون يكتبون ويكتبون : **« مأساة لم يسبق لها مثيل . أم تفقد أبناءها الأربعة »** .

سأل أحدهم : **« وأسماؤهم »** .

جذبت شالها . ذهبت إلى أول الأربعة ، ونظرت إليه طويلاً . قالت :

ــ **« ياني ، ياني »** .

ــ **« والآخر ؟ »** .

مضت إلى الثاني وربتت على جبينه . قالت :

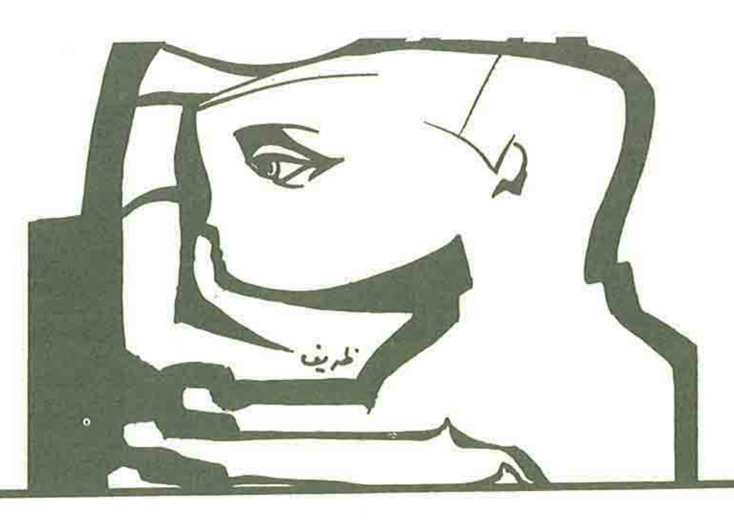
ــ **« يانّي ، ابني »** .

ثم إلى الثالث ، ورفعت ذراعه الأيمن التي كانت قد انزلقت من مكانها . قالت :

ــ **« يانّي ، ابني »** .

ومضت إلى الرابع ، ورتبت شعره الذي تهدل على جبينه وعينيه :

ــ **« يانّي ، ابني »** .



بقلم :
السراج الحسن محمد

العم علي ، جثة من اللحم المترهل والعظام ، كهل في الهزيع الأخير من عمره ، طويل القامة ، ذو شاربان كثيفان أبيضان ، يضع على عينيه الغارقتين ، نظارتين محدودبتين ، وفوق رأسه طربوشاً وطنياً يغطي به صلعته . يرتدي صيفاً وشتاءً معطفاً صلصالي اللون طويلاً يغطي ركبتيه ، وسروالا عريض الردفين ، ضيق الرجلين ، يعتقد الذي يراه لأول مرة أنه من فطاحل علماء السلفية .

ثقافة العم علي مسجدية وقروية ، جمع بين نتف من اللغة ، والفقه ، والتاريخ بعد استقلال بلاده ، كانت في أمس الحاجة إلى أمثاله ، فرشحته نتف ثقافته ووساطة بعض الأصدقاء إلى تقليده منصب محترم في بلدية بلدته .

يملك العم علي سيارة زرقاء ، من بقايا عهد الحلفاء ، يأتي بها إلى العمل من سكناه الواقعة خارج البلدة ببضعة أميال ، يضعها في الصباح بمحاذاة نافذة مكتبه في ظل الجدار الخلفي لمبنى البلدية ، وقاية لهيكلها من لافحة الهجيرة ، وفي المساء يوقفها بين ظلال النخلتين الوحيدتين في ساحة البلدية وقاية لها من حرارة الأصيل .

حجرة مكتبه صغيرة ، تشبه الزنزانة ، أنيقة رغم عتاقة أثاثها ، فيها كرسي عريض يضع عليه جثته المترهلة ، ومكتب مصنوع من خشب الصنوبر الذي تكسو أشجاره الهضبة المحيطة بالبلدة ، فوقه أوراق من مختلف الأحجام والألوان ، فوق رأسه على الجدار خريطة الوطن وصورة لرمز السيادة .

يستقبل الناس في زنزانة مكتبه ببراءة الأطفال ووداعة الحملان ، إن كانت جيوبهم مملوءة بالبقشيش والحلوان ، ويعرض عنهم وينفر منهم ، ويماطلهم ويسوفهم في قضاء حوائجهم إذا جاؤوه والوفاض خال من كل صيد سمين ، أو صفر الأيدي ، ترقص نظارتاه وربطة عنقه فرحاً إذا علم أن الذي يستقبله عائد من الخارج ، حيث البقشيش يرتفع ويصل في بعض الأحيان إلى ضعف أجرته الشهرية .

الحقول المحيطة بالبلدة ذهبية اللون ، وحرارة الصيف في أوجها . . . سكان البلدة قد آووا إلى بيوتهم الطوبية الباردة . خيم الصمت على البلدة وهي ما تزال في عز النهار ، فلا تكاد تسمع سوى صرصرة الصراصير ، وحفحفة المناجل وهي تحصد المحصول السنوي ، وأهازيج الفلاحين على الأثير ، قادمة من ذرى الجبال المحيطة بالبلدة .

فترة العمل الصباحية شارفت على النهاية ، ولم يبق في مبنى البلدية غير بعض الأعوان والعم علي . في هذه الأثناء ، أقبل محسن يلهث ، قيصه يتبخر عرقاً ، ووجهه يلمع سيولا دهنية . إنه شاب ذكي ونبيه في كل الميادين ما عدا ميدان الدراسة ، رفضته إعدادية البلدة بعد رسوب مزمن ، فبقي متسكعاً في قريته حتى فُرجت . . . حيث بعث إليه أحد أقاربه من الخارج بعقد للعمل هناك .

سلم محسن على العم علي ، سلاماً ينم على السوابق التي كانت بينهما ، حيث سبق للعم علي أن طرده من مكتبه عدة مرات ، وأحجم عن استقباله مرات أخرى ، لأنه كان يأتيه بدون بقشيش لقضاء بعض مآربه من البلدية .

اغتاظ العم علي واشمأز من محسن كالمرات السابقة ، وحاول تجاهله لكن محسن الذكي في كل الميادين ما عدا ميدان الدراسة ، أدرك ما يدور بخلد العم علي ، فوقف على أنامل قدميه وأحنى رأس العم علي ، وبدأ يقبلها عدة قبلات حارّة متتالية ، ثم تمتم في أذنه بكلمات غير مسموعة . . . بانت ابتسامة عريضة على وجه العم علي . سالت لعابه . . . أخرج لسانه ومرّره على شاربيه ، فدلكهما دلكة

قوية بسبابته وإبهامه ثم جرّ محسناً من يديه وسار به إلى زنزانة مكتبه .

وفي المكتب ... فتح محسن محفظة صغيرة كان يحملها معه ، وأخرج منها أوراقاً بيضاء : عقد عمل بالخارج ... شهادة ميلاد ... شهادة حسن السلوك ، وأخرى ملونة : شهباء وزرقاء ، من فئة المائة ، والمائتين ، أخذ العم علي كلا النوعين من الأوراق ، فوضع البيضاء منها في قطر مكتبه وأحكم إغلاقه ، والملونة في جيب معطفه الداخلي ، ووعد محسن بقضاء حاجته دون تماطل أو تسويف .



وَدَّعَ محسن العم علي ، وخرج مسرعاً إلى الركن الشمالي لمبنى البلدية حيث وقف هامد الحركة . . . ألقى العم علي نظرة شاملة على نوافذ وأبواب مكاتب البلدية وتفحصها بيده كعادته قبل الانتهاء من العمل للتأكد من إغلاقها .

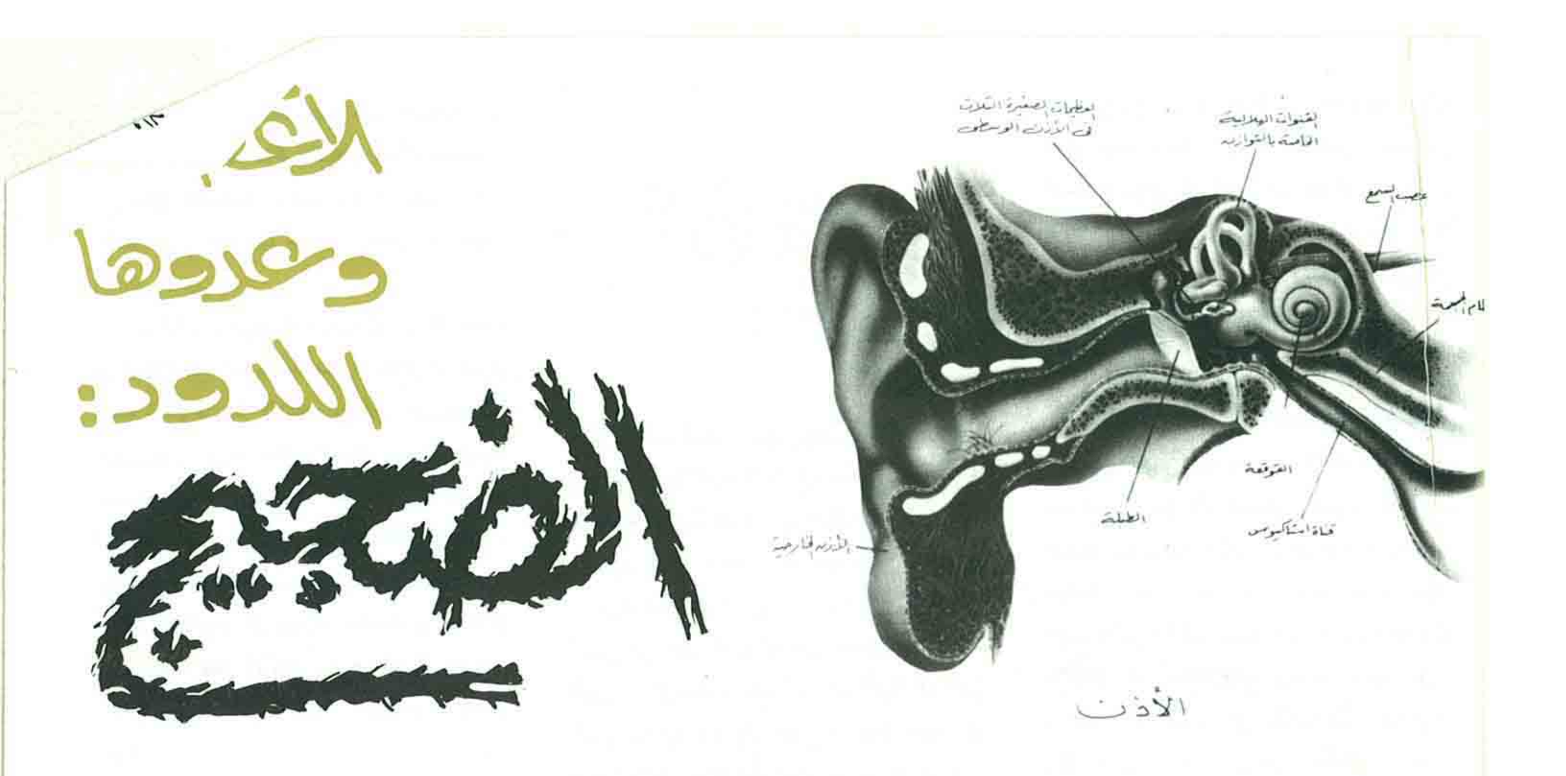
وعند باب البلدية الخارجي وجد الأعوان ما زالوا ينتظرون خروجه ، ودّعهم ، ثم وصّاهم على غلق الباب الخارجي بإحكام ، ثم [illegible] إلى سيارته الزرقاء ، فتح بابها ثم دلف إلى داخلها . . أدار محركها ، ثم غمس يده في جيب معطفه الداخلي ، وأخرج منه حصيلة الصباح من البقشيش والحلوان ، والذي كان آخره ما أخذه قبل قليل من محسن ، وشرع في عدّ هذه الحصيلة وتصفيفها وتصنيفها ، وبينما هو غارق في العد إذ برأس فضولي يطل عليه من نافذة سيارته ، ويخاطبه . . لا داعي للعد ، فهذا كشف بعدد الأوراق النقدية وفئاتها وأرقامها المتسلسلة التي جمعتها هذا الصباح ، وهذا قيد حديدي سأكبل به يديك ، وهذه بطاقة هويتي « ضابط مباحث » .

أطفأ العم علي محرك سيارته ، وخلع طربوشه الوطني ، فبانت صلعته الخفية وبدأت نتف الدموع تتساقط على خديه ، كما كانت نتف الثلج في أيام الشتاء القارسة تتساقط على زجاج سيارته ، ونتف العلم التي تعلمها في القرويين تتطاير من رأسه كما تطاير شعره من قبل .

احمرّ وجهه ، وارتعدت نظارتاه وشارباه ، وبدأت قامته تقصر ، وجثته المترهلة تهزل ، وردفا سرواله يضيقان ، وضابط المباحث يقيد يديه ، ويقوده إلى سيارة الجيب البيضاء الواقفة بين النخلتين الوحيدتين في ساحة البلدية .

انطلقت سيارة الجيب البيضاء بسرعة جنونية فائقة ، تاركة وراءها سحابة سوداء من الدخان والغبار ، وقهقهة ساخرة آتية من الركن الشمالي لمبنى البلدية . . إنها قهقهة محسن الذكي في كل الميادين ما عدا ميدان الدراسة .





الأذن

الإنسان ، في عصرنا هذا قد عرّض نفسه عمداً لمصادر الضجيج والإزعاج ، وفي الأقطار الصناعية الكبرى في العالم يصعب على الإنسان أن يجد مكاناً لا يطاله الضجيج الذي أصبح مصدر خطر ومشكلة عامة للسكان ، فأخذت بلدان كثيرة تصدر القوانين للحد من مصادر الضجيج بقدر الإمكان . فكيف ينبغي لإنسان هذا العصر أن يقاوم الضجيج ؟

قال جرّاح العيون بعد أن أجرى عملية جراحية دقيقة أعاد فيها نعمة البصر إلى أحد المرضى : « إن الضجيج ألد أعداء الجرّاح فهو ليس مصدر إزعاج فقط ، بل إنه قد يصرف انتباهه عن العملية الجراحية ويؤدي إلى أفدح الأخطار . ولذلك فهو يحرص على الهدوء التام ، ونراه قبل أن يشرع في العملية يبعد كل مصدر من مصادر الضجة » .

والحقيقة هي أنه ما من شيء يصرف الجرّاح عن مجال جراحته مثل الصوت حتى ولو كان لحناً موسيقياً ، فالعقل البشري يستطيع أن يركز اهتمامه في شيء واحد فقط ، فإذا دخل الضجيج فجأة العقل الواعي للجرّاح كان رد الفعل الفوري الخوف والتوتر . إن الزلل والحكم الخاطئ يعقب الضجيج المفاجئ بطبيعة الحال .

بقلم : د . نبيل سليم

وفي عصرنا الحالي يصعب على الإنسان أن يجد مكاناً لا يطاله الضجيج في الشوارع والقطارات والطائرات والفنادق والمكاتب والمصانع ، وفي كل مكان يكون الإنسان معرضاً معظم الوقت فيه للضجيج الهادئ أو الصاخب . . ولقد أصبح الضجيج مشكلة عامة وأخذت دول كثيرة تصدر القوانين للحد من مصادر الضجيج بقدر الإمكان .

إن واجب الإنسان في هذا العصر أن يقاوم الضجيج مقاومته لتلوث الهواء والماء . إذ لم يحدث قط في تاريخ البشرية أن استقبلت شعيرات السمع من ألوان الضجيج المختلفة في تعدادها مثل ما نستقبله في هذا العصر . إن هذه الشعيرات تتأثر بأدق الأصوات وأعنفها من الهمس الخفيف إلى زئير المحركات النفاثة ، وبين هذين النقيضين أنواع وأنواع من الأصوات التي تصدر عن دوران العجلات ، ونباح الكلاب ، ووسوسة السلاسل ، وزئير (كلاكسات) السيارات ، وأصوات المناشير الكهربائية ، فضلاً عما يصدر من أجهزة الراديو والتلفزيون وغير ذلك مئات من مصادر الضجيج .

إن نتيجة هذه البطاريات الرهيبة من مصادر الأصوات ليست فقط الإصابة بالعصبية والتوتر والأعراض النفسية ، وإنما قد ينشأ عنها تلف في الأذن وربما صمم . وهنالك من الثقات في أمور الطب من يعزو أمراض القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وقرحة المعدة ، بل والضعف الجنسي إلى الضجيج الزائد .

قياس الضجيج

ولماذا يكون الضجيج الشديد خطراً فعلياً على الإنسان ؟ . . إن « الديسبل » هو وحدة قياس الضجيج ، و « الديسبل » هو أدنى فرق بين صوت وصوت آخر تستطيع الأذن البشرية أن تحسه ، وفيما يلي معايير بعض الأصوات المألوفة :

١ ــ صوت التنفس الطبيعي = ١٠ ديسبل .

٢ ــ خشخشة أوراق الشجر إذا مر عليها النسيم = ٥٠ ديسبل .

٣ ــ صوت المطعم الهادئ = ٥٠ ديسبل .

٤ ــ حركة المرور الشديدة = ٧٠ ديسبل .

٥ ــ الشلال المائي الضخم = ٩٠ ديسبل .

٦ ــ صوت المدفع الرشاش القريب = ١٣٠ ديسبل .

٧ ــ الطائرة النفاثة عند الإقلاع = ١٤٠ ديسبل .

٨ ــ صاروخ الفضاء عند الإطلاق = ١٧٥ ديسبل .

الضجيج

واسم المناسب للضجيج هو الصوت غير المرغوب فيه ، **وهناك خطر بأن يسبب الضجيج الصمم** . وهذه الآفة قد يصاب بها الإنسان بصورة تدريجية بحيث لا يفطن إلى احتمال إصابته بالصمم .

إن الأذن البشرية آلة متناهية في الدقة بحيث إن هناك أصواتاً خفيفة ناعمة تستطيع أن تحرك طبلة الأذن مسافة لا تتجاوز عُشر مسافة ذرة الهيدروجين . وزئير الطائرة النفاثة يساوي مليون بليون ضعف هذا الصوت الخفيف . **إن الزئير المرتفع بهذا الشكل يسبب الألم العقلي . والإنسان الذي يتعرض له بصورة مستمرة لا بد أن يصاب بالصمم الدائم بعد مدة من الزمن** . وفي العالم عشرات الملايين من الناس المصابين بالصمم التام أو الجزئي .

إن الأذن البشرية تستطيع أن تتحمل ضجيج ٩٠ ديسبل بدون ضرر ، فإذا تجاوز الضجيج هذا الحد كان لا بد من حماية الأذن بالوسائل الصناعية كحشو الأذن بالسدادات . والموسيقى الصاخبة إذا رفعت إلى الحد الأقصى في الراديو أو أجهزة التسجيل قد تنتج ١٣٥ ديسبل ، ومعنى ذلك أنها إذا استمرت مدة طويلة من الزمن فإنها تلحق الأذى بالأذن . **وكل صوت يحدث طنيناً في الأذن قد يسبب الإصابة بالصمم** .

وكثير من الأصوات التي تنتجها مدينة العصر الحاضر ، تضر أكثر مما تزعج ، فالأحاديث المرتفعة عند الجيران ، وصوت التليفزيون المنبعث من الغرفة المجاورة ، وصوت الراديو المنبعث من المطبخ ، ونقر الآلة الكاتبة في الردهة ، والموسيقى التي تعلو فجأة من المذياع ونحن نحاول تركيز الذهن . . كل هذه الأصوات تؤدي إلى حدوث توتر عصبي .

إن الضجيج آفة تصيب التفكير المبدع الأصيل . هل حاولت مرة أن تجمع أشتات التفكير الذي احتجت إليها لكي تفعل ذلك ؟ لا عجب إذن إذا كان موضع التفكير المبدع المنتج بعيداً عن ضجيج المدن في منتجعات جبلية . فهناك يستطيع الإنسان أن يوجد المخترعات العظيمة ، ويكتب الكتب ، ويرسم اللوحات الجميلة ، ويجدد ما تصدع من ذهنه .

وإذا كانت الأصوات العالية تزعج الأعصاب فإن الهدوء يدغدغها . إن الهدوء يحمي الأذن ، ويقول **الدكتور مويبرجان ، والدكتور روزين وهما أستاذان في مركز الكلام والسمع بكلية هنتر** ، إن هناك قبائل تبين أنهم يتمتعون بسمع حاد لا يعرفه غيرهم من الناس .

وضجيج المدينة كما هو معلوم يحرم الكثير من الناس من نعمة النوم الهادئ ويجعلهم فريسة الأرق . والإنسان يستطيع أن يزاول أعماله في الجو المشبع بالضوضاء ، لكنه يحتاج إلى بذل الجهد في سبيل التركيز ، والإرهاق الذي يتعرض له في مثل هذه الحالة يجعل العضلات متوترة مما يزيد من مقدار الأكسجين الذي يحتاج إلى استهلاكه ، وهكذا فإنه عند انتهاء النهار يكون منهوك القوى . وقد دلت الاختبارات على أن الإنسان يحتاج إلى زيادة مقدارها ١٩ ٪ في الطاقة التي بذلها من أجل أداء عمل ما إذا كان هذا الأداء في جو من الضجيج . فأخطاء الطباعة مثلاً يزيد عددها بمقدار ١٩ ٪ في المحيط الصاخب عنه في الجو الهادئ . ولقد خفض الضجيج في إحدى التجارب بمقدار ٤٠ ٪ فتبين أن الأخطاء انخفضت إلى الثلث تقريباً .

ولقد كتب **الدكتور و. جروف** في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية عن ضجيج المدن والمصانع فقال : « إن الجملة العصبية لم تخلق لكي تتحمل هذا النوع من الضجيج ، ولذلك يصبح الإنسان شديد التذمر والتوتر تحت تأثير الضجة المستمرة . والاضطراب العصبي الذي يحدث للإنسان في مثل هذه الحالة غير بعيد عما يحدث له في المعارك الجانبية » . إثر ضجة ما في مكان ينام فيه أحد الناس نلاحظ أن عضلاته تنقبض وتظل على هذه الحالة لمدة نصف ساعة ، فلا عجب إذا رأينا سكان المدن الصاخبة يستيقظون من نومهم وهم يشعرون بالتعب .

إن الناس جميعاً في حاجة إلى وحدة هادئة . فالوحدة من الشروط الأساسية لراحة العقل إذا كان مطلوباً منه أن يفكر . وكما أن البذرة الصغيرة تنمو في التربة الخصبة التي تدفئها الشمس فإن العقل يحتاج إلى الهدوء لا إلى الضوضاء لكي يغذي وينتج الأفكار . وعلينا أن نحمي آذاننا من الضجيج المؤذي إلى أقصى حد ممكن . وعليك إذا كنت في حاجة إلى التفكير أن تنشد مكاناً هادئاً بعيداً عن الضجيج والصخب وعندئذ استغرق في التأمل . إن عقلك في حاجة إلى هذا الدواء المقوي ، وكذلك جسمك .

هناك قصة تروى عن **الفيلسوف الإغريقي ديوجين** المشهور بقنديله الذي أشعله ظهراً وخرج يبحث عن رجل لأن الرجال قليلون . لقد كان ديوجين ينعم بحمام شمس ذات يوم غير مبال بالأخطار الجسيمة على حياته بسبب احتلال جيوش **الإسكندر الأكبر** لمدينته ، وكانت جيوش الإسكندر قد احتلت مدن الإغريق كلها وأسرت سكانها . وقد عجب الإسكندر لهذا الفيلسوف الذي لا يهاب الموت بل ظل مقيماً في مدينته .

وقف الإسكندر عند رأس الفيلسوف المتمدد على الأرض وقال له : « إنني معجب بشجاعتك ، وأريد أن أساعدك ، هل هناك طريقة ما أستطيع أن أساعدك بها ؟ » .

فقال ديوجين : « نعم إنني أنعم بحمام شمس ، فهل لك أن تنحرف عني قليلاً ؟ إن ظلك يسقط على جسمي » .

عندئذ ظهر الغضب على وجه الإسكندر وصاح قائلاً : « ألا تعلم أنني قد أخذت بلاد الإغريق كلها ؟ » .

فسأله ديوجين : « وماذا عساك فاعل بعد ذلك ؟ » .

ـ « سآخذ إيطاليا وأحتل روما » .

ـ « **ثم ماذا ؟** » .

ـ « سأحتل بلاد الفرس والهند » .

ـ « **وبعد ذلك ؟** » .

ـ « بعد ذلك سأعود إلى وطني وأخلد إلى الراحة ، وأنصرف إلى التأمل في حديقة منزلي » .

ـ « **إن هذا هو عين ما أفعله الآن** » .

ومات الإسكندر الأكبر في الثالثة والثلاثين من عمره بدون أن تتاح له فرصة التأمل الهادئ في حديقة منزله . ربما كان من الخير للكثيرين منا أن يتحلوا بحكمة ديوجين في تخليه عن متاع الدنيا ، والتكالب على متاعها الرخيص ، والتنعم بالحياة الهادئة . إن التأمل شيء مريح لروح الإنسان المتعبة . إنه يجدد روح الإنسان العصري ، ويهيئ له الأفكار العظيمة .





أ

الأحيمر السعدي :

من صعاليك **بني سعد** ، خلعه قومه بعد جناياته ، فعاش حياة الصعلكة ، وهام على وجهه في مجاهل الصحراء ، ويقال إنه لطول الف الوحوش له أنست إليه ، ولم تكن تنفر منه ، وقد صور الأحيمر حياته هذه في شعره ، وهو صاحب البيت المشهور :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوّت إنسان فكدت أطير

وقد عده صاحب (**العقد الفريد**) من الفرسان القلائل في العرب ، وقيل إنه تاب وتحدث عن توبته في شعره .



بكر بن النطاح :

عاش في صدر **العصر العباسي** ، وعاصر **الرشيد والمأمون** ، يصفونه بأنه كان فارساً شاعراً ، وبأنه كان صعلوكاً شجاعاً ، وشهرته بالشعر أكثر من شهرته بالصعلكة . يعده **التبريزي** من الشعراء المجيدين ، ويصفه بأنه « حسن الشعر ، جيد التصرف فيه » ، ونقسم حياته إلى قسمين : قسم زاول فيه الصعلكة ، وتجاوب مع حياتها وأحداثها ومشاعرها ، وقسم أقلع فيه عن التصعلك ، ثم ركن إلى **أبي دلف الأمير** متمتعاً بعطائه ، مفيضاً في مدح أخيه معقل ، ولذلك قيل فيه « كان صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر » أي « أقصر » عن حياة الصعلكة .



تابط شراً :

هو ثابت بن جابر الفهمي ، خال الشنفرى ، أبرز شعراء الصعاليك ، وأحد الثلاثة الذين اشتهروا بأنهم أقوى وأعدى من عرفهم زمانهم ، وقد بلغ من اعتداده بنفسه وبقوته وعدوه أنه كان يغير وحده على رجليه ولا يهاب أحداً . وكان مع ذلك من مشاهير الشعراء المجيدين ، وقد سجل الكثير من مغامراته التي تشبه الأساطير في شعره ، وتختلف الروايات حول موته ، فيذهب بعضها إلى أن **أمه** تواطأت مع زوجها **أبي كبير الهذلي** على قتله وهو غلام ناشئ ، حينما توقع أبو كبير الشر من تابط شراً .



ثمامة بن أشرس :

ينسب إلى الشعراء الصعاليك في **العصر الإسلامي**، وفي **العصر العباسي الأول** على وجه التحديد، وقد اشتهر بفكره الحر، وشعره الجريء، ونقده اللاذع، استدعي إلى بلاط الخليفتين **هارون والمأمون**، لسعة علمه، وذيوع شعره، ولما اشتهر بشدة نقده لآراء المحافظين، حاولوا الحط من شهرته، وعدوه من الصعاليك.



الجعفي، عبيد الله بن الحر :

كان من الشخصيات اللامعة في المجتمع، وله تاريخ بارز منه أنه شهد **القادسية** وأبلى فيها، ولكنه أحس في نفسه قوة ومنعة، فاستعصم بقوته ومنعته وأبى أن يسلم قياده لأحد، وأصبح من أوصافه أنه لا يعطي للأمراء طاعة. وقد جمع حوله صفوة من ذوي القوة والفروسية، وأخذ يعيث بهم في البلاد، ويبدو أنه كان من الذين مستهم عقدة الشعور بـرق الأمهات، فأراد بالتمادي في مظهر القوة أن يعوض شعوره بهذا النقص الاجتماعي وبصعلكته، وله شعر جيد أشاد به **البغدادي** في **«خزانة الأدب» والجاحظ** في رسائله **«رسائل الجاحظ»**.



الحرشي، عبد الله بن سبرة :

نسبة إلى **حرش** وهو موضع **باليمن**، وكان من المعروفين في المجتمع بالقوة والبأس، وتصفه الروايات بأنه من فتاك العرب، وله شعر جيد أشاد به **البكري** في **«التنبيه على أوهام القالي» والتبريزي** في شرحه **لحماسة أبي تمام**. وله حادثة مع **الروم** طغت على أخباره في الصعلكة، فقد استعان به أحد ولاة المسلمين ليغير في عصابة على بعض الروم، فقاتل في هذه الغارة بطريقاً رومياً فقتله، بعد أن قطع الرومي يد عبد الله أو إصبعيه على اختلاف الرواية.



الخزاعي، قيس بن منقذ :

وهو المشهور بابن **الحدادية**، نسبة إلى أمه، وكان ذا بأس شديد، وعد من شجعان الصعاليك، وقد كثرت غاراته، وثقلت جناياته على قومه فخلعوه، وأشهدوا على خلعه **بسوق عكاظ**، على ألا يتحملوا جريرة له، ولا يطالبون أحداً بجريرة يجرها على **قيس**، ولكن ذلك لم يفت في عزمه، ولم يصرفه عن غاراته وجناياته، بل ازداد ضراوة وشراسة، وجعل قومه هدفاً من أهدافه. وله شعر كثير، يبرز فيه جانب **الغزل**، وجانب **الفخر** بقومه قبل أن يخلعوه بالإضافة إلى شعره في محيط الصعلكة، وقد ورد ذكره وشعره في **أغاني الأصفهاني**.



دريد بن الصمة :

شاعر ينسب إلى الشعراء الصعاليك، **مات بأوطاس قرب الطائف** بعد أن عمر طويلاً، شهر بالشجاعة وجودة الرأي في الحرب، **اشترك في مائة غزوة** وأبلى فيها جميعاً بلاءً حسناً، نظم الشعر في وصف ما خاض من معارك، مفتخراً ومادحاً ورائياً، قتل في **غزوة حنين** دون أن يسلم، ويفضل بعض النقاد شعره على شعر **عنترة**.



ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي :

شاعر ولد **بالدهناء ببادية اليمامة**، ومات بها أو **بأصبهان** أو **بالبصرة**، عاش بالبادية وتردد على **اليمامة والبصرة والكوفة**، بدأ حياته الأدبية بالرجز ثم تحول إلى الشعر، وتغزل **بمية وخرقاء** فقيل هما امرأة واحدة وقيل اثنتان. برع في **التشبيه** أكثر من غيره، ولكنه كان دميماً شديد القصر، لم يحسن المدح ولا الفخر ولا الهجاء فانحطت منزلته عن الفحول عند نقاد عصره، كثر الغريب في شعره وما ينتحله من شعر غيره لذلك اعتبره البعض من صعاليك الشعراء.



الريب، مالك بن :

هو مالك بن الريب، من بني مازن، بطن من تميم، عاش في خلافة **معاوية بن أبي سفيان**، وكان يقطع الطريق مع رفقة اشتهر منهم : **شظاظ الضبي، وأبو حردبة المازني**، ويعتبر مالك بن الريب أشهر الشعراء الصعاليك في الإسلام لشدة بطشه في قطع الطريق، حتى لقد قتل **أفلح** الذي كان يقطع الطريق على القوافل وحده

بخراسان عشرين سنة ، ويعتبر الريب من الشعراء البارزين في إجادتهم وكثرة ما جادوا به من شعر ، وقد اكتسبت مرثيته التي رثى بها نفسه حين أحس الموت شهرة وذيوعاً ، وقد عدها **صاحب جمهرة أشعار العرب (القرشي)** من عيون المراثي . وله شعر عده النقاد في القمة من بين شعراء عصره .



الأزدي ، حاجز بن عوف :

من العدائين الذين اشتهروا بأنهم يسبقون الخيل ، ومن الصعاليك الذين سلكوا أسلوب الغارات ، ويظهر في شعره الاعتداد بسرعة العدو على رجليه ، ومع ذلك كان من أصحاب الخيل التي نالت شهرة عند العرب ، فقد **كانت له فرس اسمها الذنبة ، وكان حليفاً لبني مخزوم** ، وله شعر يعتز فيه بحلفهم ، وكان موته مجهول الموضع والسبب ، حيث خرج في بعض غاراته ولم يعد ، وقد وصفته عمته في رثائها له بقولها : «كان حاجز لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف» .



السعدي ، السليك بن عمير :

وهو المشهور بالنسب إلى **أمه السلكة** ، وكان من أغربة العرب ، لأن أمه **كانت أمة سوداء** ، فورث عنها لونها ، وكان لذكره وشهرته دوي في أنحاء الجزيرة كلها . **فهو مضرب الأمثال في سرعة العدو** ومضاء العزيمة وشدة البطش وتصفه الروايات بأنه **أحد العدائين الأربعة في العرب** ، وأحد الغربان الثلاثة ، وأحد خمسة قال فيهم الجاحظ : «فهؤلاء أسد الرجال ، وأشدهم قلوباً ، وأشجعهم بأساً ، وبهم يضرب المثل» ، حتى في الخيل المشهورة عند العرب كان يسهم فيها بفرسه المشهورة بالنحام ، وكانت قوة شاعريته من أبرز مواهبه حتى لقد جعلته من الشعراء المجيدين ، الذين يتردد شعرهم في سائر أنحاء شبه الجزيرة .



الشنفرى ، عمرو بن مالك :

نشأ في **أزد اليمن** ، أحس المهانة في مقامه بين **بني سلامان** ، فلجأ إلى الصعلكة ووجه نشاطه فيها إلى الانتقام من بني سلامان ، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ، وهو مضرب المثل في سرعة العدو الذي يسبق الخيل ، **وهو ابن اخت تأبط شراً** رغم أنه أكبر منه سناً ، وهو أحد رفقة ثلاثة اشتهروا بأنهم من أقوى الناس وأعداهم ، هو وتأبط شراً **وعمرو بن براقة** ، وهو أحد اثنين لكل منهما ديوان شعر ، هو **وعروة بن الورد العبسي** ، وهو صاحب **لامية العرب** التي يعتز بها الشعر العربي كله ، والتي فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها حتى لقد ترجمت إلى خمس لغات أجنبية ، ولقد ألف **الزمخشري** كتاباً لشرحها سماه **«أعجب العجب في شرح لامية العرب»** .



صخير ، الهذلي :

هو **صخير بن عبد الله الخيثمي الهذلي** ، من هذيل ، كان مع **إخوته صخر والأعلم وأبي عمر** يكونون عصابة قوية عنيدة وعتيدة ، دائبة النشاط والغزو ، وكان من العدائين ، وكان أكثر إخوته قرباً من **صخر حتى لقب صخير** ، وكان مثل أخيه يقول الشعر ، ويبرز في شعره محاسن الصعلكة ، وما فيها من جانب القوة والفحولة ، والحرية والانطلاق .



ضبيعة بن قيس :

لقب **جحدراً** لقصره ، وهو **من فرسان بكر** الذين أبلوا في **حرب البسوس** ضد **تغلب** ، واشتهر **بيوم التحاليق** ، حينما اتفقت بكر كلها على حلق رؤوسها في هذا اليوم لتكون علامة يتميزون بها ، ويعرف بها بعضهم بعضاً ، ولم ينفرد منهم إلا جحدر ، فقد كان دميم الوجه والجسم ، وأشفق أن تكتمل دمامته حين يحلق رأسه ، ويصفه **التبريزي** بأنه من الفرسان المعدودين ، ولكنه مع فروسيته كان ضعيف الهمة في الصعلكة ، وكان يعتمد على أسلوب التلصص وليس الغارة ، وكانت له حيل طريفة في التلصص ، وكان شاعراً مجيداً ، وشعره يعد من أبرز شعر الصعاليك .



الطبيب ، عبدة بن :

عاش في الإسلام زمناً ليس بالقصير ، وساهم في بعض الوقائع

والحروب ، وله قصيدة طويلة أنشدها على إثر موقعة القادسية ، **وكان أسود اللون** وتصفه الروايات بأنه **من لصوص الرباب** ، وشعره من أجود ما جادت به القرائح العربية ، وقد احتل شعره مكاناً مرموقاً ، ونال شهرة واسعة ، ولا نكاد نجد مؤلفاً من القدامى إلا ويشيع في أحاديثه الاستشهاد بشعره ، مع أنه يوصف بجودة الشعر وقلته في آن واحد ، وقد أجاد في كل ما تعرض له من أغراض .



العنبري ، عبيد بن أيوب :

والعنبري نسبة إلى **بني العنبر** من **بني سعد** ، وهو من أبرز الشعراء الصعاليك ، وله في اتجاهه الشعري طابع غريب من حيث الغرض ، فقد أولع بالحديث عن **الخرافات** ، وشاع في شعره وصف كائنات غريبة **كالغيلان والسعالي والجن** حتى أصبح هذا الاتجاه طابعاً مميزاً لشعره . وقد تحدث في شعره عن مخالطة الوحوش ، وعدم الخوف منها ، وإن سبقه في ذلك من الشعراء الصعاليك **الأحيمر السعدي** . وقد عرف العنبري في أواخر حياته طريق التوبة عن الصعلكة ، وتحدث عن توبته في شعره حديثاً يظهر فيه استنكاره لما صدر منه من فعال ، من ذلك قوله :

يا رب عفوك عن ذي توبة وجل
كأنه من حذار الناس مجنون

وقد ورد ذكره وشعره في « **الكامل** » للمبرد وفي « **الحيوان** » للجاحظ .



الغي ، صخر :

هو **صخر الغي الهذلي** ، ويقول **الأصفهاني** عن سبب تلقيبه [illegible] من شدة بأسه واعتزازه بشجاعته أنه حينما أحاط به أعداؤه من **بني المصطلق** ، أبى أن يسلم نفسه إليهم ، بل ظل يقاتلهم ويرتجز بشعر مؤثر حتى قتل ، كان مع **إخوته صخير والأعلم وأبي عمر** يكون عصابة قوية غادرة ، وكان من العدائين ، وكان شاعراً قوياً عميقاً ، أبرز شعره شعر الصراع مع أعدائه ، ومنافراته مع عدوه **أبي المثلم** ، وشعر الطبيعة الذي يعكس حياته في الصعلكة .



فضالة الأسدي :

هو **فضالة بن شريك الأسدي** ، الذي قال فيه **الأصفهاني** : « كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام » ، وهو من القلة بين شعراء الصعاليك الذين احتكوا بالمجتمعات ، فاضطرهم هذا إلى أن يخوضوا في المدح . ومع ذلك كان جريئاً في الهجاء ، وممن هجاهم في شعر مأثور **عاصم بن عمر بن الخطاب** ، **وعبد الله بن الزبير** ، **وابن مطيع** أمير الكوفة . ومات فضالة قبل خلافة **عبد الملك بن مروان** .



القيني ، أبو الطمحان :

هو **حنظلة بن الشرقي القيني القضاعي** ، من الشعراء الصعاليك ، وصفه **الأصفهاني** بقوله : « شاعر فارس ضارب صعلوك من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام » ، وقد روت له الأخبار قصصاً كثيرة في صعلكته وركوبه المخاطر ، وتنقله في أنحاء كثيرة من الجزيرة ، وله شعر كثير ، أكثره ما كان في الاعتداد بالذات ، وبأخلاق الصعلكة ، وفي شعره إشادة بالحيلة والمكر والدهاء ، وهي من فنون الصعلكة التي كان يجيدها حنظلة .



كريب ، شبيب بن عمرو :

أحد صعاليك طيء ، كان يقطع الطريق في خلافة **علي بن أبي طالب** ، فبعث إليه علي **أحمر بن شميط** وأخاه في فوارس ، فهرب شبيب ، واستطاع النجاة منهم ، وقال في ذلك شعراً ، ذكره **الجاحظ** في كتابه « **البيان والتبيين** » ، وأشاد بذكره التبريزي في شرحه لحماسة أبي تمام .



اللص ، الجرنفس :

هو **الجرنفس اللص** ، وإن لم تفصح الروايات عن أكثر من هذا

اللقب في ترجمته ، وإن كان ينسب نفسه في شعره إلى **بني ثعل** . وهو ممن وقع في قبضة السلطان من الصعاليك ، وذاق مرارة القيد والسجن ، وقال في ذلك شعراً كثيراً . ذكره **الجاحظ** في كتابه عن « **الحيوان** » .



المازني ، سعد بن ناشب :

من **بني مازن من تميم** ، اتخذ من **البصرة** موطناً ، وزاول صعلكته وجناياته ، فهدم **بلال بن أبي بردة** والي **بني مروان** داره وتوعده ، ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه الشديد ، واندفاعه بأساليب الصعلكة نحو غاياته ، بل سخر بشعره من هدم داره ، واستصغر أن يكون هدم الدار صارفاً لمن كان في مثل عزمه وقوته عما يريد . ويعتبر شعره من خير ما يمثل شخصية الصعلوك الواثق من عزمه ، المتمكن من قوة إرادته . وله أبيات كثيرة شائعة التردد مشهورة ، ولم يخل شعره من الحديث عن خلته ، فهو يقول إنه كريم في فقره وغناه ، إن أعسر وافتقر فهو خير كريم ، وإن غني وأيسر فيساره شركة بينه وبين اليأس .



النهشلي ، أبو النشناش :

غلبت عليه هذه الكنية حتى طمست اسمه فلم تتحدث عنه الروايات ، وكان من صعاليك بني تميم ، واسع النشاط في صعلكته ، حتى إنهم يصفونه بأنه كان يقطع طريق القوافل بين **بين الحجاز والشام** ، وكان يجمع حوله رفقة من الصعاليك ، وهو شاعر مجيد ، اهتم في شعره بتصوير نفسية الصعاليك وحياتهم ، وهو يصور شعار الصعاليك وآمالهم في مثل قوله :

فللموت خير للفتى من قعوده
فقيراً ومن مولى تدب عقاربه



الهذلي ، أبو خراش :

هو خويلد بن مرة ، من **بني هذيل** ، وكان أحد عشرة إخوة كلهم عداء لا تسبقه الخيل ، وكان **أبو خراش** أبرزهم موضعاً وأشهرهم ذكراً ، وهو أحد فرسان العرب وفتاكهم ، **أسلم وهو شيخ كبير** ، ويبدو من أخباره أنه كان كريماً سمحاً إلى حد بعيد ، وقد تحدث عن سماحته في شعره ، وكان من الشعراء المجيدين ، وقد بلغنا من شعره قدر كبير ، وقد تمثل النبي **صلى الله عليه وسلم** ببعض شعره ، فقد كان أبو خراش يقول وهو يسعى بين الصفا والمروة :

لاهم هذا خامس إن تما
أتمه الله وقد أتما

وقد أشاد بذكره وشعره **البغدادي** في « **خزانة الأدب** » .



الورد ، عروة بن :

هو **عروة بن الورد العبسي** ، ويلقب **بعروة الصعاليك** ، وذلك لأنه استطاع أن يضفي على الصعلكة كثيراً من التقدير والاحترام ، سواء في **الجاهلية** أو في **صدر الإسلام** ، فقد امتاز بالخلق الكريم والعطف على الفقراء ، وقد قال فيه **عبد الملك بن مروان** : « من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد » ، وهو أحد اثنين من الشعراء الصعاليك لهما ديوان مطبوع ، هو **والشنفرى** ، وقد جمع **ابن السكيت** ديوان شعره ، وكان ابن الورد من الشعراء المجيدين والمكثرين ، ويعد من أكثر شعراء الصعاليك تناولا لأغراض مختلفة في شعره ، وقد عده **أبو عبيدة** في الطبقة الثالثة من الشعراء ، أما صاحب جمهرة أشعار العرب فقد عده من الشعراء ذوي القصائد المنتقاة .



يزيد بن الصقيل :

هو **يزيد بن الصقيل العقيلي** ، كان صعلوكاً شهيراً وكان شاعراً كبيراً ولكنه تاب عن الصعلكة ، وكان صادق التوبة ، كان يسرق الإبل ، ويبدو من شعره ما كان له من رهبة وخطورة عند أصحاب الحائض من الإبل ، ولذلك يطمئنهم يزيد بتوبته فيقول :

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا
فقد تاب مما تعلمون يزيد

ورد ذكره وبعض شعره في كتاب « **الكامل** » **للمبرد** ، وإن كان ما بلغنا من أخباره وأشعاره قليل .

عزيزي المواطن



الصناعة هي المستقبل المشرق
لمملكتنا الحبيبة فلتكن لك مساهمتك
الإيجابية في صنع هذا المستقبل

مع تحيات
سابك
الشركة السعودية
للصناعات الأساسية
























مناقشات

و تعليقات

المصطلحات الأجنبية

علّق السيد **إسماعيل عدرة** (سورية)، في العدد الأخير من مجلتكم رقم (٦٥) على **المصطلحات الأجنبية**، وعلى الأسماء التي تكتب بالحروف اللاتينية... وأبدى استنكاره لهذه الظاهرة الطاغية المزعجة.

والحقيقة... فإن هناك التباساً في اللفظ لحروف اللغة العربية نفسها، وخاصة بعد أن أصر إخواننا **المصريون** على عدم التفريق بين الجيم المتعطشة، والجيم القاهرية؛ التي يلفظونها بلهجتهم الخاصة.

فهم لا يريدون إلا لفظ الجيم القاهرية وحدها تطغى على كل لفظ للحرف العربي (ج).

لقد أقر المكتب الخاص للتعريب في الجامعة العربية إيجاد الحرف (گـ) ليقابل لفظ الحرف (gue) اللاتيني.

وعلى هذا فإن عدم استعمال هذا الحرف الجديد علينا؛ لا يمكن الحروف العربية من اللفظ (gue) اللاتيني تماماً.

الجندول أم الگندول، جوته أم گوته؟!...

حتى الأدباء الذين درسوا في مصر من بلاد العرب يستعملون الجيم القاهرية بدلا من الگيم في كتاباتهم.

ولهذا **فكتابة الأسماء الأجنبية بالحروف اللاتينية تعطي الاسم اللفظ المضبوط والكامل**. وعلينا العمل على التخلص من هذا الاضطراب. فلغة الجيم القاهرية لا يلفظها قراء القرآن الكريم! وهذا دليل على عدم صحتها، أو أنها لغة غير فصيحة.

أما التعابير فإنني أوافق الأستاذ إسماعيل على استنكاره لها... حتى بعض الأسماء يجهلون ما يقابلها بالعربي (أسماء الأشياء)... فيترجمونها على هواهم (كزنبق الماء) (اللينوفر) مثلاً... مع أن له اسماً بل اسمين باللغة العربية.

وهؤلاء مع أنهم يبدأون اسمهم بالحرف (د.) فهم لا يقرأون كتب اللغة، ولا يغوصون في بحار كتب المفردات والقواميس والمعاجم.

هم يحملون هذا اللقب (د.) وهذا الحرف يكفي لفتح صدور المجلات والجرائد... لهم.

وفقنا الله لما فيه خير لغتنا الحبيبة والسلام.

محمد غالب سالم
حلب ـ سورية

المجلة.. نزهة العقل الإنساني...

المجلة، ما المجلة؟ وما أدراك ما المجلة؟؟.

إن المجلة سفينة النجاة من طوفان الجهالة، ونزهة العقل وبستانه، وغذاء ذهني لكل إنسان مثقف، كما أنها تعد وسيلة رقي الإنسان الثقافي، وملتقى الإبداع الإنساني، وهي فوق كل هذا: «أداة من أهم أدوات الوعي التثقيفي والتعليمي تشكل ركناً هاماً، فهي بمثابة مدارس فكرية سيارة، ينهل منها القراء، ويشكلون ثقافتهم الرفيعة التي تساعدهم على مهارات علمية وعملية تؤهلهم لارتقاء سلم التوفيق[1]». فالمجلة كما وصفها أحد المحررين العالميين «تشبه عصا الرجل الأعمى».

ويقول أحد شخوص مسرحية (**لوليم سارويان**) الكاتب الأميركي: «**إن جميع مشاكل الإنسان يمكن أن تحل، لو أن في العالم عدداً كافياً من المجلات...**».

ويقول **الأستاذ عبد الله عريف**: «المجلات تمثّل نوعاً من النشاط العقلي يلوح لي أنه ضروري في هذا العصر المضطرب.. والمجلة هي الرسول الطبيعي للروح اليقظة وللفكر الذي لا يريد أن يتخلى عن رسالته.. **فاختفاء مجلة أدبية في الوقت الحاضر يعد كارثة على التفكير المهدد في نشاطه وفي وسائل إذاعته**. ولعل الكثيرين منّا يذكرون ماكان لاختفاء **مجلة «الرسالة» المصرية** من هزة أدبية ثقافية في العالم العربي.. وكذلك أخواتها «**الثقافة**»، و«**مجلتي**» و«**أبولو**» و«**الكتاب**»، مما غيَّر من صور الحياة وتطورها الذهني[2]».

حقاً.. للمجلة مساهمة فعّالة في حل مشكلات الإنسان، ولكن ينبغي علينا أن نعلم أن للمجلة المساهمة في حل مشاكل الإنسان مواصفات وحدود تعمل ضمنها دونما اجتياز.

هذا «وفي عالمنا العربي ـ كما يقول **الأستاذ عبد الغني عبد الهادي** ـ: ظاهرة ثقافية جميلة مبشرة بتيار من الوعي لأبعاد الماضي والحاضر والمستقبل العربي، تتجلى في ظهور هذه المجلات بل الشعلات الخيرة المنبجسة من خلال ظروف التخلف والركود وما أحوجنا اليوم ـ أكثر من أي يوم مضى ـ لمثل هذه المجلات التي هي: ميدان للأقلام المعاينة للواقع والمصير[3]».

● .. المجلة.. أم الكتاب..

لقد استطاعت المجلة المعاصرة أن تغلب الكتاب لأسباب كثيرة.. فالمجلات ـ كما نعلم ـ تنشر التجارب في الوقت المحدد قبل صدورها في أي كتاب، كما أن المجلة تمنح أحدث ما توصل إليه عالم التجارب والاختراعات الجديدة، إضافة إلى المصادر والمراجع العلمية الصحيحة التي يتطرق إليها العالم والباحث والأديب على متابعة أحدث ما توصل إليه العلم والمعرفة متابعة صحيحة، كما تعطيه صورة واقعية حسيّة عن كل ما نشر أو كتب، أو بحث في هذا المضمار.

لأن المجلة عبارة عن: قليل من كل شيء كل أسبوع، أو كل شهر، أو كل شهرين أو ثلاثة. ولهذا فللمجلات: «مكان وسط بين الكتب والجرائد وهي لازمة

مناقشات

وتعليقات

لحفظ التوازن العقلي في تلك البلاد التي تعتبر اليوم مسؤولة عن كنز حضارتنا[٤] ».

كما أن المجلات تبيّن للباحث المستخلصات والنتائج التي عادة ما تكون مركزة على أرقام وجداول وفهارس توفر على كل باحث عناء التفتيش عمّا يريد. وهكذا فقد بقي الكتاب مرافقاً أميناً، وصديقاً مخلصاً للمجلة.

● ... المجلات وأنواع ...

المجلات أنواع عديدة **كالأصدقاء**: فكما أن الأصدقاء ـ حسب تجاربنا في الحياة ـ ثلاثة أنواع: صديق **كالغذاء**، وآخر **كالدواء**، وثالث ـ والعياذ بالله ـ **كالداء**. فالمجلات كذلك ـ من خلال اطلاعنا عليها (حوالي عقد تقريباً) ـ ثلاثة أنواع أيضاً:

● **مجلات كالغذاء**: ليس باستطاعة أي إنسان مثقف واع الاستغناء عنها كالمجلات الأدبية والعلمية، ذات الثقافة الرفيعة الممتعة الإنسانية، والأفكار البناءة، والحقائق البديهية، والقيم السامية.

مثل مجلة « **الفيصل** » السعودية، و« **العربي** » الكويتية، و« **الهلال** » المصرية و« **الدوحة** » القطرية، و« **المعرفة** » السورية.

● **ومجلات أخرى كالدواء**: يحتاج إليها الإنسان أحياناً، ولكنها نافعة ومفيدة في كل حين، كما يجب علينا التنويه بأنها لا تحمل فتيلاً، بل نقيراً من الضرر.

كالمجلات الطبية والعسكرية والاقتصادية والزراعية. وهذه المجلات تهم ذوي الاختصاص بادئ ذي بدء.. مثل مجلة « **طبيبك** » السورية، و« **طبيبك الخاص** » المصرية، و« **قافلة الزيت** » السعودية، و« **الجمعية الطبية** » الكويتية وغيرها.

● **وأخيراً مجلات ـ والعياذ بالله ـ كالداء**... ينبغي على الإنسان العاقل الواعي أن يفر منها، فراره من المجذوم أو المسلول. لأنها تلحق أضراراً جسيمة به كالمجلات الجنسية والغرامية والبوليسية المثيرة، التي تصور الجنس الفادح والجريمة والعنف.. ويجب علينا أن نعلم أن من وراء هذه المجلات المهدمة للأخلاق، والمقوضة لنظام الأسر ـ بشتى الوسائل الممكنة ـ ولا سيما الأسر العربية دور طبع صهيونية.. لأن مخططي الدولة الصهيونية العالمية التي تريد السيطرة على العالم ـ كما هو معلوم ـ اتفقوا في « **بروتوكولات حكماء صهيون** » على أن من السبل التي يجب اتباعها لإخضاع من يسمونهم « **الجوييم** » أو « الأمميين » إلى حرب الأخلاق وتقويض نظام الأسرة بوساطة: **المجلات** الجنسية، **والأزياء** الميكروبية، **والأفلام** الخليعة الماجنة، **والقصص** الغرامية المثيرة[٥] ».

وأقول في نهاية هذه الفقرة: لا مجال لذكر أي مجلة من هذه المجلات. لأن السبب الذكي ـ كما يقال ـ من الإشارة يفهم.

● .. الاهتمام العالمي بالمجلات..

بما أن المجلة تعتبر مدرسة فكرية، لذلك لا عجب أن يبلغ الاهتمام العالمي بها حداً بعيداً.. وقد أحسن « **جورج ديهامل** » في كتابه (دفاع عن الأدب) حول فائدة وأهمية المجلات والدور الذي تلعبه في حياتنا الحديثة حينما قال: « وهي (أي المجلة) كما يدل معنى لفظها الاشتقاقي، تسعى، أو تحاول أن تسعى إلى أن تستجلي، أي توضح حقبة من العالم.. والحياة.. وهي قد تظهر كل أسبوع.. وأحياناً مرة واحدة كل شهر.. ولها على الحوادث اليومية نوع من الرقابة.. وهي تصفي تلك الحوادث.. أو على الأصح ترفع من قيمتها إذ يمر ما يعلو تفاصيلها من غبار بمنخلها فيختفي ولا يبقى منها إلا ما يصلح لأن يكون غذاءً لتكوين النفوس الحريصة على ذاتيتها[٦] ».

كما أن المجالس والندوات العالمية قد عقدت بشأنها وكان آخرها[٧] **ندوة المجلات الأدبية والثقافية التي عقدت بدمشق** في أواخر عام ١٩٧٤ م، وقد بيّن فيها **الأستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور** أهمية المجلات حيث قال: « إن المجلات تقود التغيير الثقافي، وتبشر بالقيم الجديدة في مجالات الحياة والأدب والفن من نشر كتابات كبار رجالها الإصلاحيين والثوريين ». كما بين **سوفرونوف** في مقالته: « المجلات الأدبية والاتحاد السوفييتي » فقال: « المجلة الأدبية واحدة من أفضل الوسائل الفعالة لاتحاد الكتّاب، وخلق جو أدبي في البلاد، كما أن المجلات الأدبية نفسها أسهمت في تنشيط حركة الإبداع الفني، بعد الحرب العالمية الأولى، وخلال فترة الانتداب ».

● المجلات العربية.. وواقع الحال..

قال **الدكتور سهيل إدريس** معلقاً على البيان الختامي للندوة السالفة الذكر: « المجلة في عالمنا العربي خاصة، مهملة الشأن، مكسورة الجناح، إلا أن تكون محمية من السلطة الممثلة بوزارة الإعلام، أو سواها من وزارات الدولة ».

أما في بقية الدول كإنجلترا وفرنسا والبلدان الأسكندينافية فإن المجلات الثقافية والأدبية تصدر الغالبية منها عن جمعيات ومنظمات وأحزاب ونواد علمية وثقافية وأدبية وفكرية.

فنحن نجد وراء **مجلة (أنكاوتر)** البريطانية هيئة ومنظمة عالمية جبارة، حيث تنشر هذه المجلة أفكاراً ومبادئ تدعو إليها المنظمة وهي « **المنظمة العالمية لحرية الثقافة** ». كما أن وراء مجلة « **الأزمنة الحديثة** » التي أسسها **سارتر** في فرنسا هيئة عملاقة. وهذه المجلة تشبه بعض الشبه، المجلات ذات الاختصاص، مثالها في البلاد العربية، مجلات المجامع العلمية، التي كانت ولا تزال تصدر في **دمشق والقاهرة وبغداد**، بمعنى أن الهيئات والمنظمات والجمعيات التي ترعاها، وتتولى شؤونها، وتهتم بانتشارها، تظل المسؤولة عن نموها وتطورها أو موتها واختفائها.

لهذه الأسباب استمرت « **رسالة** » **الزيات**، و« **ثقافة** » **أحمد أمين** مدة طويلة من الزمن. وقد بيّن الناقد **الدكتور عز الدين إسماعيل العناصر الداخلية** التي تهدد كيان المجلة وتنسفها من الداخل: « المجلة التي لا تستجيب في مادتها وفي فلسفة تحريرها للهموم والمطالب الروحية والفكرية والآنية، أو التي تخطئ فهم هذه الحاجات الملحة فتنحرف أو تنجرف إلى مشكلات وهمية أو قضايا لم يعد لها في الواقع رصيد من هموم الناس، والمجلة التي تنغلق دون ما يجري في العالم،

مناقشات وتعليقات

سواءً للجهل به ، أو لتجاهله أو رفضه ، والمجلة التي لا تفتح صدرها للمغامرات والكشوف الجديدة ، المجلة التي هذا شأنها تصبح مهددة من داخلها ، ويؤذن نجمها بالأفول[8] » .

● عوامل ازدهار المجلات ورواجها

يمكن إجمال عوامل ازدهار المجلات ورواجها فيما يلي[9] :

(١) **المضمون الجيِّد والمستوى الرفيع للمواد المنشورة** : وهذا يحتاج إلى هيئة تحرير جيِّدة قادرة على انتخاب الأعمال الصالحة للنشر من مقالات وبحوث ودراسات . . إلخ .

(٢) **إلغاء منطق النفعية** ، وعدم تكرار أسماء الكتاب . فالنشر يجب ألا يكون لاعتبارات فوق شخصية فيكون لأهمية المضمون وقيمته ، وجمال الأسلوب .

(٣) **مراعاة عامل التنوع والتوازن في المواد** ، كأن تكون جامعة تغطي شتى أنواع المعارف ، أو متخصصة بعلم من العلوم ، وكذلك يجب مراعاة المواد المترجمة والمواد الأصيلة .

(٤) **قضية الإخراج** : فالقارئ يرتاح للإخراج الجيِّد الجميل . ابتداءً بالغلاف الأول وانتهاءً بالغلاف الأخير .

(٥) **زوايا القراء** : وهذه تزيد من مدى الثقة بين المجلة وقرائها .

ختاماً : هذا الذي ذكرناه غيض من فيض ، أو نقطة من بحر من مجلات عربية شكلت أوعية للفكر النابض المجدد والخلاق . . المنتج باستمرار لم أجد مناصاً من التعرض لها ولو بإعطاء لمحة صغيرة عنها .

هذا كما أن هناك الكثير منها بالطبع ممن ساهمت بالنهضة الفكرية والثقافية عندنا ، منها : العرفان ، البيان ، الآداب ، الأديب ، الأدب ، الفكر ، رابطة العالم الإسلامي ، الثقافة ، الوعي الإسلامي ، حضارة الإسلام ، العلوم ، الكاتب ، الكتاب ، المجلة ، المقتبس ، الحديث ، الضاد ، أفكار ، الثقافة العربية ، العلم والإيمان ، الشباب وعلوم المستقبل ، دنيا العلم ، إلخ . . إضافة إلى مجلات التراث العربي الجادة وهي كثيرة أيضاً .

مجدل علي ـ سورية

المصادر والمراجع

(١) مجلة « أفكار » كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧٧ م .

(٢) مجلة « **الفيصل** » ، العدد السابع ، محرم سنة ١٣٩٨ هـ ، كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٧٧ م .

(٣) مجلة « أفكار » ، العدد السابق .

(٤) مجلة « **الفيصل** » ، العدد السابق .

(٥) كتاب « ماذا عن المرأة » للدكتور نور الدين عتر .

(٦) مجلة « **الفيصل** » ، العدد السابق .

(٧) مجلة « الآداب » ، كانون الثاني (يناير) ، سنة ١٩٧٥ م .

(٨) مجلة « أفكار » ، العدد السابق .

(٩) مجلة « البيان » ، كانون الأول (ديسمبر) ، سنة ١٩٧٤ م .



المسلمون في روسيا

جاء في مجلة **« الفيصل »** ، **العدد (٧٤)** مقالا **للدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ** ، بعنوان : **(خريطة العالم الإسلامي من منظور تاريخي جديد)** ، أورد الكاتب فيه ما نصه : إن تفريغ الناس من معتقداتهم الدينية المسيحية والبوذية وغيرها في الدول التي تتخذ موقفاً مناهضاً للدين ، هذا التفريغ هو في النهاية لصالح الإسلام .

ولا يخفى على الكاتب أن حرمان الشعب من ممارسة طقوسه الدينية المختلفة في **الدول الشيوعية** مثلاً ، هذا الحرمان والقهر لا يبقي ولا يذر ، بل إن الدول الملحدة تنظر للإسلام نظرة ريبة وتوجس لأن الإسلام خطر عليهم بواسطة توعية الناس . خذ مثلاً في **الجمهوريات الإسلامية التي احتلها الروس** ، فهم لا يسمحون ببناء جوامع ، ليس هناك جامع واحد في **طشقند** مثلاً ، بالإضافة إلى هذا الإرهاب الملحد ، هناك إرهاب فكري ضد المسلمين ، فعدا عن حرمان الشباب المسلم من دخول الجامعات إن لم يكن منتظماً في **صفوف الحزب الشيوعي** ، **لا يوظف أحد في الحكومة أو الجيش إذا لم يكن شيوعياً** .

ومع تفاؤل الكاتب الكريم بزيادة عدد المسلمين ، إلا أننا نرى قليلاً ، وقليلاً من الشباب الذين يؤمون المساجد ، وأمسينا نرى كثيراً من الشباب المسلم يؤمون دور اللهو التي تشجع عليها حتى الحكومات التي تقول دساتيرها إن الإسلام دينها .

ولهذا ينبغي أن نوجه جهودنا من أجل خلق جيل مسلم يتحمل أعباء الأمة .

لذا فإن عددنا لا يرهب العالم ، بل إن ما يرهب الطامعين فينا هو قوة عقيدتنا ، والله الموفق .

منهل كردي الرشدان
لاهور ـ باكستان



مع الأصدقاء

تطور الشعر العربي الحديث

بمزيد التقدير والاعتزاز لمجلة **«الفيصل»** الغراء التي تعد بحق من أرقى المجلات العربية شكلاً ومضموناً، والتي تبذل ما في وسعها لإفادة قرائها، ورفع مستواهم فكرياً وثقافياً، يشرفني أن أبعث إليكم بتصحيح الفقرة التالية الواردة في مقالة «تطور الشعر الحديث» للدكتور يوسف عز الدين (العدد ٧٣، الصفحة ٥٥).

(.. وفي المغرب ظهرت بوادر التطور معتمدة على التراث الأصيل، فقرأنا **لعلال الفاسي**، **والمكي الناصري**، **والشابي**، **والحليوي**، ورغبتهم في التجديد والخروج على التقليد متأثرين **بجماعة أبولو** في مصر بضوء دعوات الإصلاح والحرية، ومحاربة الاستعمار حتى جاء **المعداوي** (وليس المعزّاوي) **والفرقاني** متأثرين بحركة الشعر في المشرق والأدب العربي..).

رجائي أن يستفيد من هذا التصحيح البسيط كافة قراء المجلة خدمة للأدب والأدباء.

وتقبلوا خالص التمنيات، والسلام.

عبد الرحمن القباج
الدار البيضاء
(المغرب)

● **المجلة**: شكراً للصديق القارئ القباج على تصحيحه.. ونحن على ثقة من إدراكه بأن ما حصل كان خطأ مطبعياً.. هذا المرض الذي لا تخلو منه الصحافة.. ونحن حين نرحب بتصحيحات قرائنا لا ننسى أن نذكر أننا ـ يعلم الله ـ نبذل جهوداً كبيرة لتلافي مثل هذه الأخطاء.. ولكن الكمال لله وحده سبحانه جل شأنه.

روجيه جارودي

في البداية أقدم لكم شكري وتقديري على ما تبذلونه من جهد في سبيل إصدار مجلتنا «الفيصل».

ولكن، لديَّ اقتراح أتمنى أن تأخذوا به.. وهو إجراء مقابلة عبر مجلتكم ومجلتنا «**الفيصل**» مع **المستشرق الفرنسي الذي أسلم في الفترة الأخيرة روجيه جارودي**.

لأن عملكم هذا يعطي للشباب المسلم رؤية الإسلام ومدى تأثيره على أفكار كبار المفكرين الذين كانوا غير مسلمين فهداهم الله عز وجل إلى دين الحق والعدل والحرية.

محمد حميد فارس
سورية ـ منبج

● **المجلة**: نشكر للأخ محمد اهتمامه بالمجلة.. ونعده بأن ننشر لقاء موسعاً مع المستشرق المسلم (روجيه جارودي) إن شاء الله.

المجلة.. وبعض أبوابها

إنني فخور حقاً بمجلتي «**الفيصل**»، تلك المجلة العربية التي يفخر بها كل عربي ينتمي إلى الأمة العربية.

وحيث إنني قارئ جديد للمجلة الرائدة فأود أن أضع ملاحظاتي في النقاط التالية:

(١) موضوع «**رحلة في كتاب**» شيق للغاية ومفيد أيضاً، كما أنه يعطي الفرصة للقارئ أن يقرأ الكتاب دون أن يقتنيه، ويعرف الأفكار والنقاط الأساسية التي يدور حولها موضوع الكتاب.

(٢) «**الموضوعات الخاصة**»، التي تُنشر على صفحات المجلة، موضوعات مفيدة لكل إنسان يريد أن يُزيد من ثقافته.

(٣) كل هذا إلى جانب الموضوعات العديدة الأخرى التي يخرج القارئ منها بحصيلة جيدة من الثقافات المختلفة.

وفي نهاية رسالتي، تمنياتي لكم بمزيد من التقدم والرقي والإبداع.

محمد منصور
الزقازيق ـ كلية العلوم
جامعة الزقازيق ـ مصر

● **المجلة**: شكراً للأخ محمد، ونسأل الله التوفيق.

قسيمة المسابقة

حبذا لو استبدلت قسيمة مسابقة مجلة «**الفيصل**» الشهرية التي تقص من المجلة شهرياً لمن يريد الاشتراك في مسابقتها، حبذا لو استبدلت هذه القسيمة بقسيمة يتم نزعها من المجلة ومن أي صفحة يتم وضعها فيها وتحمل هذه القسيمة نفس المعلومات الموجودة في القسيمة السابقة، ووضع رقم العدد خلف القسيمة المقترح عملها وتكون أيضاً سهلة النزع.

وبهذه الطريقة يمكن الحفاظ على صفحات المجلة دون تشويه.

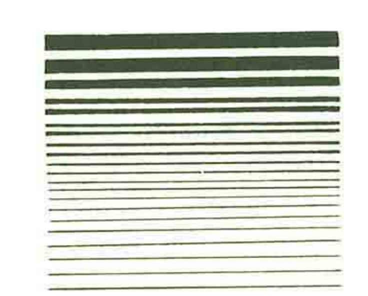
أرجو أن ينال هذا الاقتراح اهتمام المسؤولين في المجلة.

أحمد إبراهيم القحطاني
بيشة ـ السعودية

● **المجلة**: الاقتراح معقول، وتنفذه كثير من المجلات.. ونحن في المجلة نحرص على عدم تأثير القسيمة على المادة التي خلفها في حالة قصها.. ونأمل تحقيق هذه الفكرة مستقبلاً.. مع شكرنا لاهتمامك بمجلتك.







شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

مسابقة مجلة «الفيصل»

السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب والدواوين التالية :

المجاز بين اليمامة والحجاز ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ـ قمم الأولمب ـ نفحات من الجنوب .

السؤال الثاني :

متى أنشئت أول وزارة للمعارف في المملكة العربية السعودية ؟

السؤال الثالث :

اذكر أسماء خمسة من أسماء وصفات السيف في اللغة العربية ؟

السؤال الرابع :

صحابي شهد البيعة الثانية الكبرى بالعقبة فاختاره النبي صلى الله عليه وسلم نقيباً من بين اثني عشر نقيباً .. أمه هند بنت المنذر بن الجموح من بني حرام الخزرجية الأنصارية .. شهد بدراً وأحد .. لقبه الرسول بـ «المُعنق ليموت» .. وقد كان من القلة الذين يجيدون الكتابة في الجاهلية .. روى حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم .. قاد سرية الدعاة من الشبان القرّاء فاستشهد مع صحبه في «بئر معونة» في شهر صفر من السنة الرابعة الهجرية (٦٢٥م) .. ما اسم هذا الصحابي ؟

السؤال الخامس :

البارانويا» .. من الأمراض النفسية .. عرفها في سطور قليلة .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٨٠)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

أجوبة مسابقة العدد (٧٣)

ج ١ نشرت المجلة في باب «**لقاء مع**» للسنة المنصرمة مجموعة من اللقاءات مع عدد من المفكرين العرب وغير العرب .. وهم :
د. غازي القصيبي ـ ليوبولد سنجور ـ عبد العزيز الرفاعي ـ جورج ليوز بورج ـ د. تركي رابح ـ إبراهيم الأبياري ـ أحمد محمد جمال ـ توفيق بربر ، ود. حلمي نصر ـ المستشرق الياباني المسلم ـ د. شيروتا ناكاشيرو ـ ود. يحيى الرخاوي ـ غابريال غارسيا ماركيز ـ د. محمد مصطفى هدارة .

ج ٢ نشرت المجلة في باب «**رحلة في كتاب**» عن عدد من الكتب بلغات غير عربية ، لعدد من الكتاب غير العرب على النحو التالي :
مناهج علم الأدب ، تأليف «يوزيف شتريلكا ـ الموجة الثالثة ، تأليف ألفن توفلر (حلقتان) ـ أدب الأطفال ، تأليف فرجينيا هافيلاند ـ جوته .. حياته وزمانه ، تأليف ريتشارد فريدنتال ـ الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، تأليف الكاتب التركي د. محمد أشرف منان ـ إفريقيا الحديثة ، تأليف ريتشارد هل ـ وسائل الإعلام الجماهيري ، تأليف و. فيليبس دافيسون ، وجيمس بويلان ، وفردريك ت. يو ـ هنا .. والآن ، تأليف فرنسوا ميتران ـ الأحداث .. لماذا ؟ تأليف موريس كوسون ـ مكتشفو بلاد العرب ، تأليف زاره فريث وفيكتور ونسن ـ العربية السعودية في القرن التاسع عشر ، تأليف د. بيلي ويندر .

ج ٣ (١) في باب «**من عادات الشعوب**» نشرت المجلة عن :
بهوتان ـ أعياد لها تاريخ ـ الغابون ـ مهرجان بازل في سويسرا ـ الأقدام الملتهبة .

(٢) وفي باب «**من متاحف العالم**» نشرت المجلة عن المتاحف التالية :
متحف غاليري في لندن ـ متحف باردو في تونس ـ المتحف الوطني في دمشق ـ متحف ما وراء البحار في ألمانيا ـ متحف اللوفر في باريس .

(٣) ونشرت في باب «**رحلات تاريخية**» عن :
رحلة الشتاء والصيف ـ ماركوبولو ـ مراكب الشمس ـ رحلة عبد اللطيف البغدادي .

(٤) كما نشرت في باب «**عالم الرياضة**» عن :
ألعاب الجمباز ، الألعاب الأولمبية .

(٥) وفي باب «**دائرة المعارف**» نشرت المجلة عن :
لغويون نحويون ـ أعلام من المغرب ـ من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ جيولوجية السيارات ـ الحروف الهجائية ـ المستشرقون (حلقتان) ـ الأوبرا ـ العناصر ـ فيزيائية ـ المكتبات الشرقية .

(٦) وفي باب «**لوحة وفنان**» نشرت :
غيط رقم ٢ ، شاكر بهاء الدين المعداوي ـ ليلة مرصعة بالنجوم ، فينسنت فان جوخ ـ تكوين سريالي ، تركي محمد مطلق ـ تكوين ، علي عبد العزيز الرزيزاء ـ الرقص الشعبي ، عبده محمد الحذيفي ـ منازل من عسير ، اندرو فيكاري ـ رمز رقم (١) ، فؤاد الفتيح ـ الشجرة ، حيدر غالب ـ خبير بالمداواة ، رينيه ماجريت ـ السلام ، محمد عاصم جاها ـ تكوين لفرس ومنازل ، سليمان أحمد باجبع ـ نقوش وأوان ، أحمد الزهراني .

(٧) نشرت المجلة مجموعة كبيرة من «**القصائد الشعرية**» خلال العام المنصرم لهؤلاء الشعراء :
الأمير عبد الله الفيصل ـ محمد علي السنوسي ـ محمد أحمد العقيلي ـ علي أحمد علي النعمي ـ جليلة رضا ـ د. أسامة عبد الرحمن ـ مقبولة شلق ـ محمود محمد بكر هلال ـ إبراهيم أبوالنجا ـ محمد مهران السيد ـ راشد عيسى ـ فاروق بنجر ـ عبد الرحمن صالح العشماوي ـ سعد البواردي ـ أحمد محمد آل خليفة ـ عصام الغزالي ـ أحمد الشامي ـ أحمد مرتضى عبده ـ جورج رجي ـ سليمان الرافعي ـ رياض المعلوف ـ محمود الشلبي ـ أحمد حسن القضاة ـ خالد محيي الدين البرادعي ـ أحمد سالم باعطب ـ سعيد فياض ـ فتحي سعيد ـ زكي قنصل ـ د. زكي الجابر ـ د. عزت

نتائج مسابقة العدد (٧٣)

اعتادت المجلة أن تخصص واحدة من مسابقاتها كل عام للموضوعات التي نشرت فيها خلال عامها المنصرم .. كما اعتادت مساواة كل الفائزين وعددهم (٢٠ فائزاً) في قيمة الجوائز بحيث يحصل كل فائز على خمسمائة ريال سعودي .. ونتيجة لفرز هذه المسابقة فاز الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم :

● من الزقازيق ـ مصر ، ٢ ش الحمام ، فوق قهوة عشري ، الأخ محمد جمال الدين محمد أمين محمد .

● من الجزائر ـ ولاية جيجل ، متوسطة بلال ، الطاهير ، الأخ عزاز الشريف .

● من جاوى الوسطى ـ أندونيسيا ، الأخت رفقة بنت عبد الحليم زبيدي .

● من البصرة ـ العراق ، الأخت رقية عبد الجبار علي .

● من الشارقة ، ص.ب (٦٤٦٥) ـ الإمارات العربية المتحدة ، الأخ محمد حسن عباس المهدي .

● من خميس مشيط ص.ب (١٠١٧) ـ المملكة العربية السعودية ، الأخ سليم صالح سليم ابن عاقل .

● من GENNEVILLIERS, 8 bis, AVENUE CHANDON - 92230 — FRANCE الأخ سومع محمد SOUMAA MOHAMED .

● من أكودة ، سوسة ـ تونس ، ٣٥ ، نهج عبد السلام الكتاني ، الأخ محمد بن علي الزغمهي .

● من ANKARA — TURKEY C 10

شندي موسى ـ د. يوسف نوفل ـ محمد صيهود النايف ـ د. عبدو مسوح ـ علي الحاج بكري ـ رضوان الشيخ محمد ـ د. عبد الحميد محمود .

(٨) ونشرت المجلة مجموعة من **القصص القصيرة** لعدد من الكتاب العرب وغير العرب (ترجمة) وهم :

أحمد حامد ـ غالب حمزة أبو الفرج ـ أندريه روسان ـ خليل السعد ـ لي فوا نقتيان ـ سعيد سالم ـ إنجي سندباد ـ أحمد الشيخ ـ أنطوان تشيخوف ـ أرنست هيمنغوي ـ د. محمد شحادة عليان ـ غابرييل غارسيا ماركيز ـ أندريه شديد ـ عيسى الجراجرة ـ د. يوسف نوفل ـ محمد الشافعي عبد العزيز ـ بنيامين فرانكلين ـ هدى جاد ـ يوسف الغزو ـ عدنان الداعوق ـ مانويل ارجويلا ـ يونس محمود عثمان ـ د. أحمد عردات ـ حمدي الكحلوت ـ أندوني ساماراكي ـ علي محاسنة ـ عمر سيف الدين ـ د. وليد قصاب ـ حسني سيد لبيب ـ حسن حسن سليمان ـ محمد علي قدس ـ د. محمد بن صالح الجاسر ـ فالتر تومان .

ونأسف لعدم تمكننا من ذكر عناوين القصة نظراً لكثرتها .

(٩) «من المكتبة السعودية» باب نشرت المجلة من خلاله عن الكتب التالية :

حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية ، تأليف يحيى ساعاتي ـ نشأة إمارة آل رشيد ، تأليف د. عبد الله العثيمين ـ أحزان عشب برية ، تأليف جار الله الحميد ـ خواطر جريئة ، تأليف حسن آل الشيخ ـ المعارضات في الشعر العربي ، تأليف د. محمد بن حسين ـ الساعة والنخلة ، تأليف خليل الفزيع ـ الحضارة .. تحد ، تأليف د. محمود سفر ـ خالتي كدرجان ، تأليف أحمد السباعي ـ نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ، تأليف د. محمد الشامخ ـ غرباء بلا وطن ، تأليف غالب أبو الفرج ـ رحلات حمد الجاسر ، تأليف حمد الجاسر ـ التعليم الابتدائي ، تأليف د. سعيد بامشموس وآخر ـ الصمت والجدران ، تأليف سباعي عثمان ـ سيرة شعرية ، تأليف د. غازي القصيبي ـ أغنيات لبلادي ، تأليف سعد البواردي ـ سيفيات المتنبي ، تأليف سعاد المانع ـ الروض الملتهب ، تأليف أحمد باعطب ـ معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية (صحيفة أم القرى) ، تأليف د. منصور الحازمي ـ النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ، تأليف د. محمد الشامخ ـ من مقالات حسين سرحان ، تأليف حسين سرحان ـ حديث قلب ، تأليف عبد الله الفيصل ـ حصاد الكتب ، تأليف علي العمير ـ ديوان ضياء الدين رجب ، تأليف ضياء الدين رجب ـ رباعيات ، تأليف محمد حسن فقي ـ النفط والسياسة العربية ، تأليف د. عبد العزيز الصويغ ـ حصة زمن ، تأليف علي حسون ـ رسائل إلى ابن بطوطة ، تأليف عبد الله العباسي ـ التاريخ العربي وبدايته ، تأليف أمين مدني ـ خدعتني بحبها ، تأليف عبد الله بوقس ـ موت على الماء ، تأليف عبد العزيز مشري .

ج ٤ المناسبات التي غطتها المجلة خلال عامها المنصرم هي :

عام الكبار الدولي ـ مذبحة صبرا وشاتيلا ـ مرور خمسين عاماً على وفاة شوقي وحافظ إبراهيم ـ فوز غابرييل غارسيا ماركيز بجائزة نوبل للآداب ـ الاحتفال بتوزيع جائزة الملك فيصل العالمية ـ ذكرى الـ ١٥٠ عاماً لوفاة أديب الغرب وشاعرها جيته ـ مناسبة مرور ألف عام على مولد الفيلسوف الإسلامي ابن سينا .

ج ٥ نشرت المجلة ١٢ موضوعاً من خلال الباب الثابت **«موضوع خاص»** وهي :

محيط جديد يشطر قارة إفريقيا ـ المدينة التي وأدها البركان ـ بيوت المستقبل ـ الغدد والهرمونات ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ يوهان فولفجانج جيته ـ على أبواب العصر الرابع ـ الكائنات الحية والبرد ـ الجزر من عجائب الطبيعة ـ ميلاد الجزر بين النار والجليد ـ الأسكيمو .. شعب العالم الثلجي ـ أسلحة الحيوانات الدفاعية والهجومية .

الأخ ATEF ALI, 3 YURT 315 O.D.T.V. مروان محمد محفوظ العزازي .

● من دلهي ١١٠٠٠٦ ، الهند ـ ١٧٠٩ ، رودجران لال كنوان ، الأخ سيد نثار علي .

● من جدة ـ المملكة العربية السعودية ، ص.ب (٥٥٥٤) ، الأخ أحمد عبد الله التركي الدوسري .

● من أم درمان ـ السودان ، الأخت دها نفيد يانارسيداس .

● من عمان ـ الأردن ، مكتب بريد القويسمة ، ص.ب (٣٨٤٠٣) ، الأخ شريف حسن محمد .

● من صنعاء ـ اليمن ، ص.ب (١٠٠٣٢) ، الأخ سالم محمد عبد الله .

● من الرباط ـ المغرب ، الأخت الزويعي مريم .

● من صنعاء ـ اليمن ، وزارة التربية والتعليم ، قسم الرواتب ، الأخ عبده بن عبده حسين الوصابي .

● من المحرق ـ البحرين ، الأخت هيا حمد شريدة .

● من الشرقية ـ مصر ، شارع الجمهورية ، فرع أبو امباب ، عمارة محمد علي يوسف ، الأخ أمجد محمود عبد العزيز مرسي .

● من شقراء ـ المملكة العربية السعودية ، الأخت أمينة محمد فؤاد إبراهيم .

● من تطوان ـ المغرب ، الرقم ٨٥ ، الفنيدق ، إقليم تطوان ، الأخ فريد عليطو .

ألف مبروك للفائزين ، مع تمنياتنا للإخوة والأخوات الذين لم يكتب لهم الفوز في هذه المسابقة بحظ أوفر في مسابقات قادمة .. والله الموفق .



كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

المدينة المنورة وأول بلدية في بلاد الإسلام

كتاب من تأليف **الأستاذ محمد عبد الجليل التمر** مزوّد بالكثير من الصور، يعكس الصورة التاريخية العريقة للمدينة المنورة كأول بلدية في العالم الإسلامي وما حفلت به من أحداث في ماضيها وحاضرها وما بلغته من تقدم وحضارة وازدهار. **الكتاب أصدرته بلدية المدينة المنورة**. يقع في (١٢٦) صفحة من الحجم المتوسط.

الحساسية

من تأليف **الدكتور صباح ناصر العلوجي**. ويعتبر باكورة سلسلة طب وعلوم التي تصدرها **دار القادسية للطباعة ببغداد**. يتناول الكتيب أحدث البحوث في استكشاف **أنواع ومسببات الحساسية** ووسائل السيطرة على ردود الفعل المسببة لها وعلاجها والوقاية منها. يقع في (١٠٠) صفحة من الحجم الصغير.

رباعيات مختارة

ديوان شعر يضم مائة رباعية من نظم الشاعر المهجري الكبير **الياس قنصل** نشرت بعد وفاته (الطبعة الثانية)، ولم يضع الشاعر عناوين لرباعياته. يقع الديوان في (١٣٢) صفحة من الحجم الصغير، وقد أصدرته **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية مع دراسة نظام مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية

بحث من إعداد **الأستاذ عبد الله عبد المحسن المنصور الطريق**، تناول فيه دراسة جريمة الرشوة وآثارها على المجتمع وموقف الإسلام منها متمثلاً في التربية الدينية القويمة والتشريعات السديدة الهادفة لحماية حقوق الأفراد والجماعات، الأمر الذي يتطلب العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد التي أهملت تطبيقها، كما تضمن البحث نقداً لنظام الرشوة في المملكة العربية السعودية مشيراً إلى ضرورة إعادة دراسته. يقع الكتاب في (٢٣٦) صفحة من الحجم المتوسط، **أصدرته مؤسسة الرسالة ببيروت**.

نجوم في آفاق العربية

من تأليف **الدكتور عبده بدوي**، يضم سيراً لبعض أعلام الحضارة الإسلامية ممن أسهموا إسهاماً واضحاً في مجال صون اللغة العربية وتطورها. الكتاب من **منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض، ويقع في (١٧٦) صفحة من الحجم الصغير**.

موازين القرآن والسنّة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة

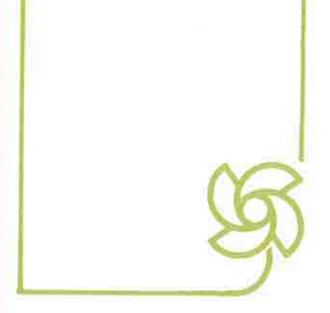
يشتمل الكتاب على موضوع البحث الذي تقدم به الكاتب اللبناني **عز الدين بليق إلى ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر بالجزائر**. وقد ابتدأه بمقدمة عن القرآن الكريم والسنّة النبوية وجهود المسلمين لحفظ الحديث. كما استعرض أسباب ظهور الأحاديث الموضوعة التي تتعارض مع القرآن الكريم والسنّة النبوية ومقاييس العقل والمنطق، مبيناً لعلاماتها ووسائل كشفها. يقع الكتاب في (١٣٦) صفحة من الحجم المتوسط، وقد صدر عن **دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت**.

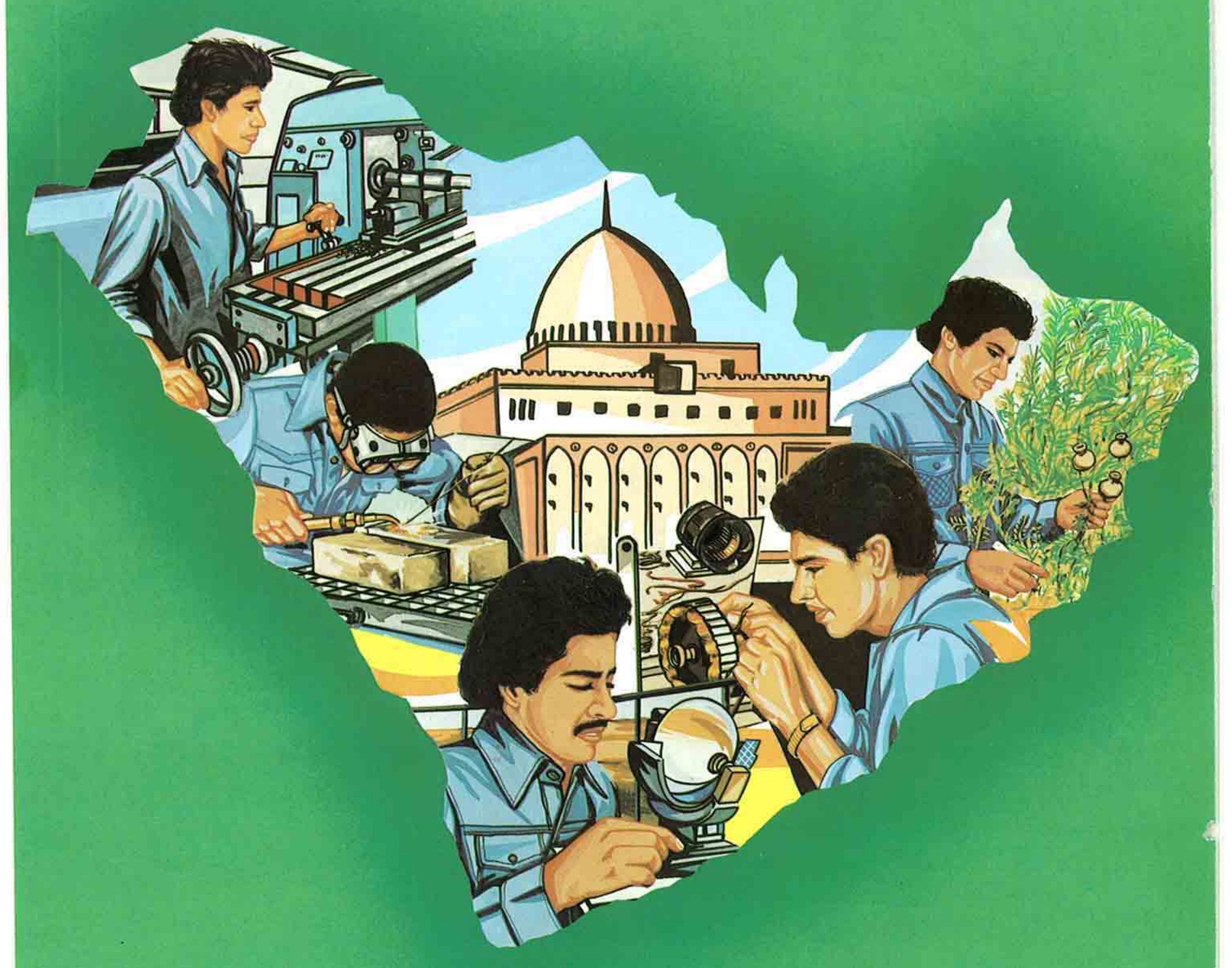
أصول البحث القانوني

بحث من أربعة فصول تناول فيه **الدكتور عصمت عبد المجيد بكر** شرح أصول البحث القانوني والقواعد التي يستحسن توفرها والتقيد بها للوصول إلى بحث متكامل يحقق الغاية المرجوة. يقع الكتاب في (١٠٤) صفحات من الحجم المتوسط. إصدار **دار القادسية للطباعة**.

الوجيز في شرح قانون العقوبات القسم العام

شرح للقسم العام من **قانون العقوبات العراقي** أعده **الدكتور ضاري خليل محمود** وقد اشتمل على أربعة أبواب تضمنت أساسيات قانون العقوبات، مفهوم الجريمة، عوارض المسؤولية الجزائية والمفهوم القانوني للعقوبة وأنواع العقوبات في التشريع الجزائي العراقي. يقع الكتاب في (١٤٤) صفحة من الحجم المتوسط. صدر عن **دار القادسية للطباعة في بغداد**.





عربون محبة.. ورباط صداقة
عطر يذوب رقة في زجاجة صنعت بجمال ودقة

PERFUME

PRINCESS
CHAMSY

الأميرة
شمسي

باقة من أثمن الورود النادره جمعت بيد ماهره
نضعها بين يديك لتقدمها لأحب الناس إليك.



تباع في جميع محلات العطور الكبرى